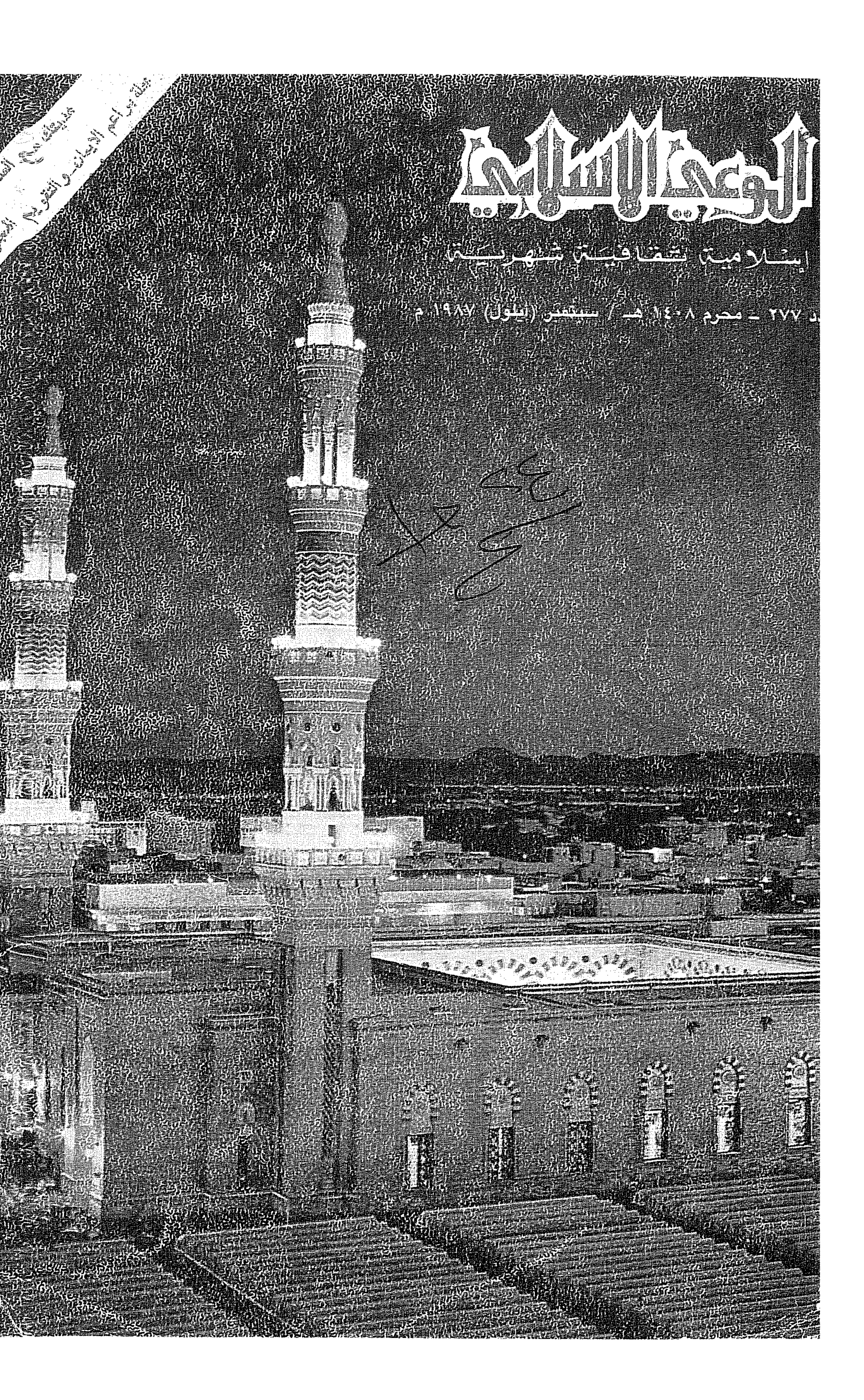
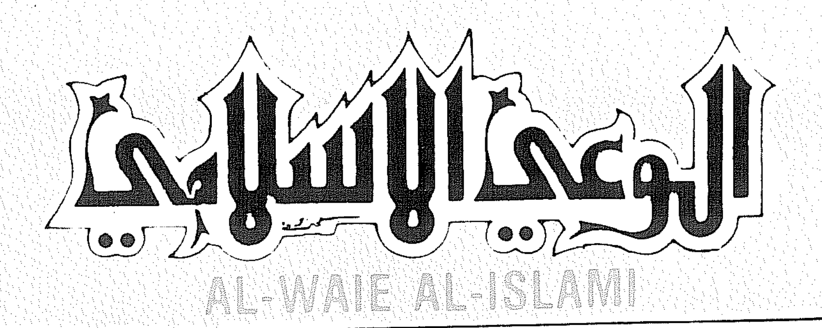

الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
د ٢٧٧ ـ محرم ١٤٠٨ هـ / سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ م


محتويات العدد



العدد ٢٧٧ ـ محرم ١٤٠٨ هـ / سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

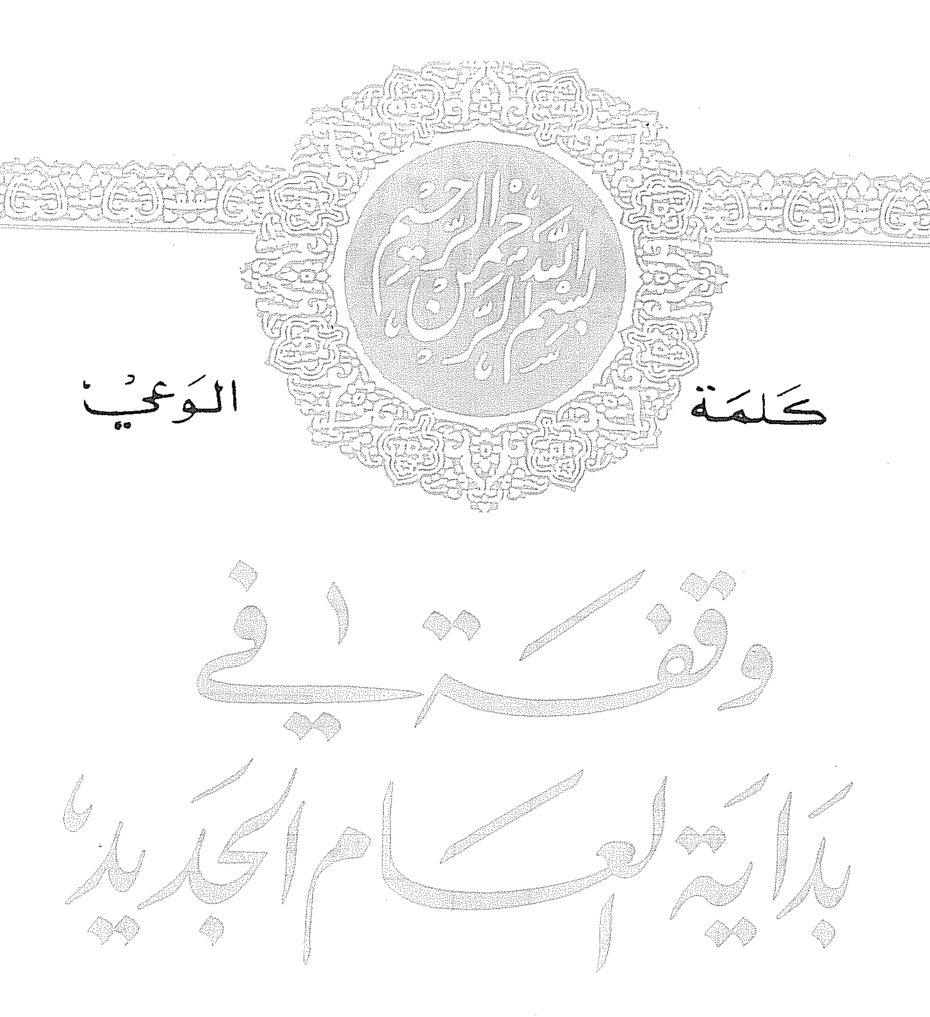
هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

الكويت .... ٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية ٣٥٠ مليما
السودان .... ١٥٠ مليما
السعودية .... ريالان
دولة الامارات العربية ٣ دراهم
البحرين .... ٢٠٠ فلس
العراق .... ١٥٠ فلسا
الاردن .... ٢٠٠ فلس
سوريا ليرتان
لبنان .... ليرتان

تونس .... ٢٥٠ مليم
الجزائر .... ديناران
اليمن الشمالي .... ريالان
قطر .... ٣ ريالات
سلطنة عمان .... ٢٠٠ بيسة
المغرب .... ٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا



وقفة في بداية العام الجديد

لابد لأمة القرآن من وقفة التأمل والحساب الصريح ، وهي تستقبل عاما هجريا جديدا يطل عليها مع هلال المحرم ، كما يطل عام دراسي جديد ، به تستأنف الحركة التربوية مسيرتها وهي تنطلق نحو آفاق الفكر والوعي والعلم والنور ، نعم لابد من وقفة أمام حدث الهجرة تغاير ما سبقها من وقفات ، طال فيها الوقوف أمام أمجاد وبطولات ، ولكن الى متى يطول بنا الوقوف ؟ وإلى متى يخلو حاضر الأمة من تحرك إيماني يصل الحاضر بعز الماضي ، ويؤكد أننا من سلالة ابطال ابيض بهم وجه التاريخ ؟ لا يجوز بحال من الأحوال أن نواجه عامنا الجديد ، بنفوس يعصرها الألم والضيق ، ما دام ديننا يحارب اليأس والاحباط والانكسار ، بل يفرض علينا أن نواجه قدرنا برءوس يرفعها العزم والعمل ، وجهاد

يحقق الأمل ، ويقرب الفتح ونصرالله المبين ، وإذا جاز للمسلمين أن يحتفلوا بذكرى هجرة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فعليهم أن يستخلصوا من أحداثها العبر والعظات ، وما ينبغي ان يقتصروا في الذكرى على اجتماع يلتئم ساعة من الزمن ثم يتفرق ، أو على كلمات تلقى ثم تنسى دون ان تأخذ طريقها الى القلوب ودون ان يظهر اثرها في السلوك والأعمال ، بل يجب عليهم ان يتعلموا من الهجرة مبدأ الثبات على الحق مهما واجهتهم الأخطار وتألبت عليهم قوى الشر وجبهات العدوان ، وان يتفهموا قيمة التجمع الاسلامي تحت مظلة الاخاء ، وهم يطالعون في صفحات الهجرة الحكمة من مبادرة النبي المهاجر بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وأنه بهذا التآخي لله وفي الله أوجد قوة تحمي الدعوة وتحرس الاسلام ، وانه استطاع في الوقت نفسه سد ابواب فتنة الفرقة والتمزق التي يثيرها اليهود بين الاشقاء ، [وهذه صنعتهم في كل زمان ومكان] بالمؤاخاة عرفت الأمة الناشئة طريقها إلى الوحدة وجمع الشمل والتحام الصف في إطار الحب والتضحية والايثار ، وكان التآخي بداية انطلاق الدعوة الخالدة ، بعد أن ظلت حبيسة في مكة تحت ظروف صعبة وقاسية ، وفي جو خانق لا تزدهر معه قيم وخلق انساني ، وكانت الهجرة اهم حدث غير مجرى الدعوة ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا .

على أمة القرآن وهي تجتاز أقسى مراحل تاريخها الطويل ، أن تعيش في جو الاخاء والصفاء ، وأن تهاجر من الفرقة الى الوحدة ، ومن التخاذل الى التناصر والتعاون ، ومن ضعف الانقسام إلى قوة الالتحام ، عليها أن تتلاقى بعد قطيعة ، وتصطلح بعد خصومة ، وأن تفيء إلى أمر الله في وحدة تقهر الطامعين وترد كيد المعتدين ، لقد انتصر الأولون حين واجهوا خطر الانقسام بالاتحاد والترابط ، كأنهم بنيان مرصوص ، وبتضحيات تعلو على المناصب والمطامع والأهواء ، يشهد بذلك التاريخ الاسلامي وقد كادت الفتنة أن تطل برأسها بين المهاجرين والأنصار ، ، بعد وفاة الرسول الكريم

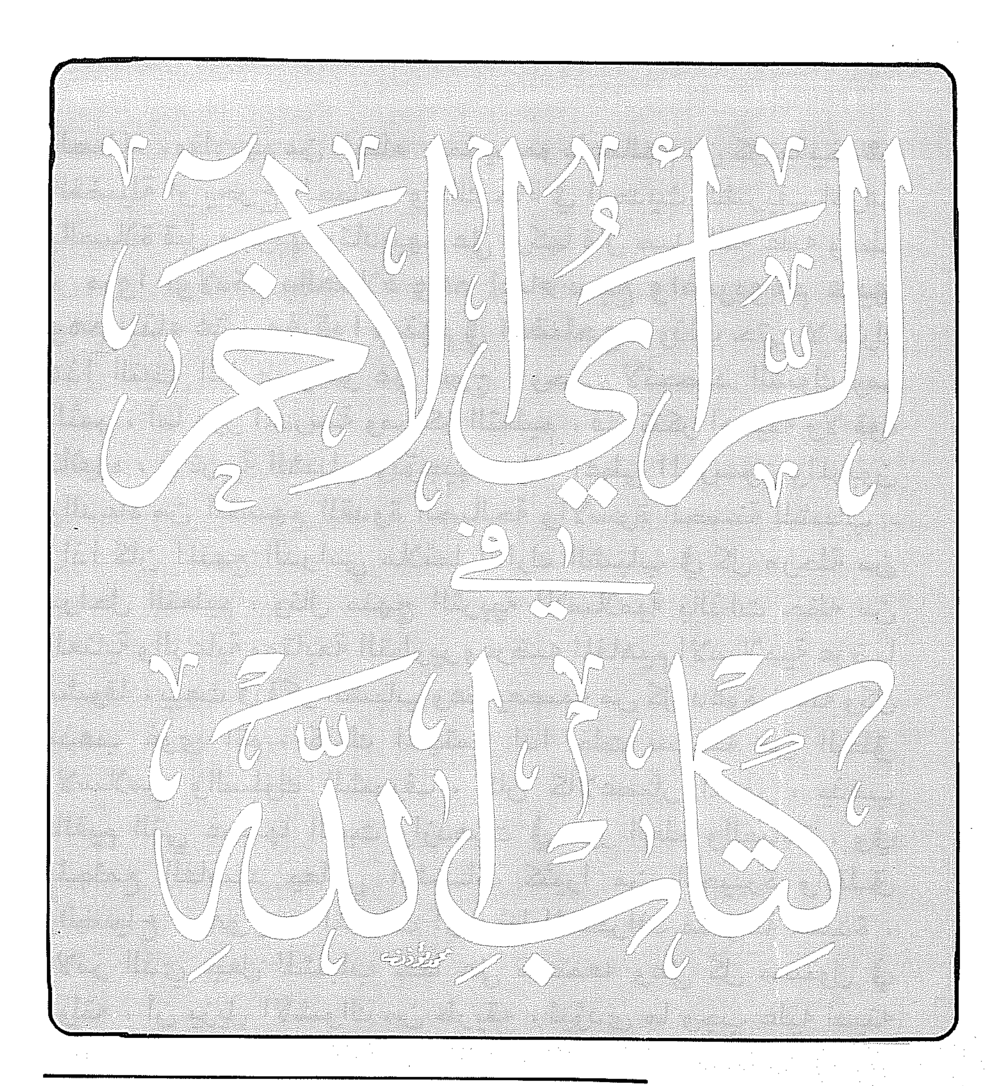
مباشرة ، وطالب كل فريق ان يكون الخليفة من بينهم ، وفي سقيفة بني ساعدة ، تبادل المسلمون الرأي بفكر مستنير ، وفي صفاء ووفاء ، اتفقوا على خليفة واحد وقاموا جميعا يبايعون أبا بكر رضي الله عنه بالخلافة ، فانطلق يهودي كان يشهد الموقف وهو يولول قائلا:« ما صبر المسلمون على ان يفترقوا ساعة من نهار ! » هذه بعض الدروس المستفادة من الهجرة ، تفرضها علينا الظروف المعاصرة ، ونحن نستعيد مغزاها في مطلع العام الجديد عسى ان نضع خطانا على طريق الآباء والأجداد ، وعسى ان نعيد الأمجاد إلى دنيانا من جديد ، وأن نغسل ذل الانكسار بعز الانتصار .

كذلك لابد مع بداية العام الدراسي الجديد من وقفة ، فيها تأمل ومناقشة ، حول تربية الشباب وواجب الأمة نحو هذه الفئة العريضة في المجتمع ، ومما لاشك فيه ان الشباب هو أمل الأمة ورجاؤها ومناط أملها ، كما أنه في مسيرة حياته تستهدفه عوامل مؤثرة في نشأته وتعليمه وتوجيهه ، لذا يتحتم تحصينه بالقيم الروحية والمثل العليا ، ليتمكن من التغلب على الموجات الهادرة من الانحراف والاباحية ، ومن الصمود في قوة امام دعاوى الالحاد والفسوق ، وأمام تحكم الغرائز الجنسية ، فلا تأسره الشهوات ، ولا تصرفه الملذات عن الطريق السوي ، ومما هو معلوم ، ان تقويم الفتى والفتاة ، لا يبدأ دوره مع بداية المراهقة ، بل يجب ان يولد التوجيه مع بداية الطفولة ، وذلك بتنشئة الطفل من صغره في جو اسلامي ، حتى إذا وصل إلى دور المراهقة استطاع أن يخوض معركة الصراع بين الخير والشر بسلاح الفضيلة ، التي استحالت في قلبه وفكرة عقيدة نقية واقية ، هذا وقد اتفق المفكرون والمصلحون من المسلمين على ان تربية الناشئة جسما وروحا أمانة ومسئولية ، وواجب مشترك بين البيت والمدرسة والمجتمع ، فالبيت المسلم المستنير تكون مسئوليته بقدر ما يقدم لأبنائه غذاء روحيا ، ينظم سلوكهم ويملأ وجدانهم بالمشاعر العفة والقيم السامية في ضوء الاسلام وتعاليمه ، فمبادىء الاسلام تجعل نفوسهم من

الصفاء ، وقلوبهم من النقاء ، بما يسمو بأعمالهم عن كل ما يخدش الفضيلة او يجرح الحياء ، ولذلك جاء في الحديث الشريف امرهم بالصلاة قبل وجوبها وتأديبهم على تركها قال صلى الله عليه وسلم « **مروا اولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع** » وذلك حتى لا نترك هذا النبت الطري ينمو على عوج ، وحتى لانحصد الشوك ومر الثمر ، اما دور المدرسة ومراكز التعليم ، فلا تنكر اهميته ولا قوة تأثيره ، في تربية الشباب وتوجيهه ، إذا أعطى المدرسون والمربون والدعاة من أنفسهم القدوة الصالحة والأسوة الحسنة للشباب ، واذا كان المنهج الدراسي ملائما لمدارك الشباب في كل مرحلة من مراحل التعليم ، ونال منهج التربية الاسلامية بالذات حظه من العناية والرعاية ومتابعة التطوير وعرضه المفاهيم الاسلامية عرضا مشوقا ، يبعث في فكر الشباب وعيا يعصمه من كل دعوة ضالة وكل مذهب غوي آثم ، كذلك المجتمع اذا خلت ساحته من الخلق الاسلامي والسلوك الشريف ، كان كالاعصار المدمر ، يذهب بالقيم التي غرسها البيت وازدهرت في دور العلم والعبادة ، وفي المجتمع الفاسد يعاني الشباب كثيرا من الحيرة والقلق والضياع ، وهو يجد الممرات الى دنيا الانحراف مفتوحة معبدة ، الامر الذي جعل للشباب حقا على مجتمعه وعلى كل مسئول في دولته ، أن يزيل الأشواك من طريقه ، ليؤدي ما وجب عليه لدينه ووطنه ، ولن تسعد الأمة بأبنائها وبناتها إلا بتنشئتهم في جو اسلامي طهور ، وهذا ما دعا ابن القيم في كتابه (تحفة الودود) ان يقول:« من أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سدى ، فقد أساء إليه غاية الاساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء ، وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فاضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا هم بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا » .

رئيس التحرير

حسن مناع



للاستاذ/عبد السلام الأحمر

إن ظاهرة الرأي الآخر في كتاب الله ، تعكس مدى تجاوبه مع متطلبات الفكر البشري ، الذي يطمع دائما الى إزالة مايعتري القضية المطروحة أمامه من لبس وغموض ، وتوضيحها اكثر بسبر كل الاعتراضات الواردة عليها واسقاطها بالدليل والبرهان .

الرأي المكي :

وتأتي أهميته بالنظر الى ما يتوفر عليه من معرفة دقيقة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم

وقد عارض القرآن الكريم من أول آية نزلت ، ولم يجد بدا من ذلك لما لمس في

خطابه ثورة عارمة على معتقداته المألوفة كما أن مُبَلِّغَ القرآن الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن معه جاه او سلطان يكف عنه ألسنة الناس وأيديهم .

فوجود هذه المعارضة الضارية ينسف الادعاء بأن محمدا صلى الله عليه وسلم واجه قوما غفلا ، تقبلوا القرآن الكريم دون نقاش ، او أنهم رأوا فيه اساسا لتقوية صفهم ، والتعبير عن آمالهم القومية ، فغضوا الطرف عن مزاعمه .

(**ولا أنا عابد ماعبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين**) (سورة الكافرون)

واشتداد الرفض لكلام القرآن الكريم يستدعي الاطمئنان بأن المكيين لو علموا في حياة محمد صلى الله عليه وسلم ما يسعفهم في الاعتراض على نبوته لأحالوا الناس عليه . وقد كان حالهم معه كفيلا بدفعهم الى تلمس عوراته قبل وبعد البعثة . لكن اعتراضاتهم ظلت محصورة في دائرة

الوحي ومحاولات تفسيرها . (**بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فلياتنا بآية كما أرسل الأولون**) (سورة الأنبياء/ ٥)

والغريب أن المستشرق « جورج سبيل » لم يدرك أن إيراد القرآن الكريم لهذه الاعتراضات . يقطع لسان من يحاول تكرارها مثله فقال :

« أما ان محمدا كان في الحقيقة هو مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل ، وإن كان المرجح مع ذلك أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك » .

والنتيجة المستخلصة من الرأي المخالف حول ظاهرة الوحي ، هي عدم إجماعه على تفسير محدد بل إن بعضه ينفي بعضا ، وتظل نسبة القرآن الكريم الى الله حقيقة لاريب فيها ولقد حاول الرأي الآخر التحرك في ميدان العقيدة طولا وعرضا وطرح مفاهيمه عن الله والملائكة واليوم الآخر ، عله يبلبل الفكر ويغرقه في بحر

من التصورات الواهية : (**أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب**) (سورة ص / ٥)

(**أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما**) (سورة الاسراء / ٤٠)

(**أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد**)(ق / ٣)

وكل هذه الآراء عارية عن الدليل ، وتغترف من ركام العادات الموروثة والافكار العتيقة التي لا تشهد لها حجة سوى مثولها في الواقع .

ولما احس هذا الرأي اضطراب مقولاته في مجال القول ، انتقل الى الفعل العنيف المدمر ، ليحسم المعركة بقوة لصالحه ، فصب سوط عذابه على

الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه .
لكن القرآن الكريم ظل يدافع من موقع الكلمة الصادقة والحجة القاطعة ، ويكسب الى جانبه مؤمنين آخرين ، كانوا بالامس يقفون في الصف المعارض ، معلنين بذلك عن إفلاس

الرأي الآخر وانهياره : (**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**)(سورة الأنفال / ٣٠) .

إن الثلاث عشرة سنة من الاعتداءات المتكررة والتهديدات المستمرة التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه ، وانتهت بخطة ماكرة لقتله ، وما ترتب عن ذلك من هجرة المؤمنين ، للبلد والاهل والمال ، إبقاء على الدين ، لتنطوي على دلالات هامة :
اولا : إن الجهد البشري على أية درجة كان لا يحتمل لوحده أن يصمد لتحديات بمثل هذا القدر إلا أن تكون من ورائه قوة تمسك الاحداث في الكون كله .
ثانيا : لو كان المحرك لمبلغ القرآن الكريم صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوه ، مكسبا ماديا أو قيمة أرضية ، لما رأيناهم يبذلون كل ذلك بسخاء ، مقابل الوفاء لمضمون القرآن الكريم .

الرأي المدني :

ما أن حل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، حتى كتب وثيقة بين المسلمين وغيرهم ، وادع فيها اليهود وترك لهم الخيار في اعتناق الاسلام او الاحتفاظ بديانتهم ، مما خول لهم أن يتصدروا واجهة الرأي الآخر ، وقد نقلهم اليها حيازتهم على التوراة والانجيل .

إن محمدا صلى الله عليه وسلم أعلن للناس أنه رسول الله ، يسير على سنن الرسل من قبله ، ويصدق بما جاءوا به من الكتب .
لكن اليهود ـ خلاف ما تقتضيه طبيعة الاشياء ـ وقفوا موقفا سلبيا من القرآن وناصبوا الرسول العداء .
والواقع أن رأيهم المناوىء له بهدف إعاقته وصرف الناس عنه ، ساهم بحظ أكبر في كسر كل جسر يمد بين محمد صلى الله عليه وسلم واي بشر يفترض العقل تدخله في إنشاء القرآن الكريم .
يقول المستشرق « ريشاردبيل » « إن النبي صلى الله عليه وسلم نقل قصص الأنبياء السابقين عن الكتاب المقدس ، كما أن احتكاكه بالجاليات اليهودية في المدينة مكنه من المعرفة بكتب موسى عليه السلام على الأقل »
ومع أن الرأي الآخر ذهب الى هذا في مكة التي خلت من أهل الكتاب :
(**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلّمه بشر**) (سورة النحل /١٠٣) فإن الرأي المدني لا يشاطره نفس الاحتمال رغم توافر بعض خيوط هذه الشبهة بوجود اليهود في المدينة .
ويضع القرآن الكريم أيدينا على

النفسية الصانعة للقرار اليهودي ، تجاه كتاب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم : (**بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده**) (سورة البقرة /٩٠) .

فهم يقرون في دخيلة أنفسهم ، بأن القرآن كلام الله ، ومحمداً رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن عصبيتهم الضيقة ، تأبي عليهم الانصياع للحق ، وأن رائحتها النتنة لتنبعث من

ثنايا آرائهم كلها .(**وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم**) (سورة البقرة ٩١) .

ولقد انتهت بالرأي اليهودي الى التحلل من معطيات ما بين يديه من الكتاب ، وتطويعها لخدمة الأهواء التي أضحت فيها بعد ، المرجع الوحيد في كل القضايا التي يخوض فيها :

(**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه**) (سورة المائدة / ١٨) .

وتماديا في هذا الغرور والاستكبار قرر أن يغلق أبواب الجنة في وجه المسلمين

(**وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى**) (سورة البقرة / ١١١) كما حاول أن يطرح اليهودية والنصرانية بديلين عن دين القرآن . (**وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا**)(سورة البقرة / ١٣٥) .

وآزر الرأي اليهودي ، رأي المنافقين الذين اختاروا التستر وراء قناع الاسلام ، والعمل في خفاء ، لتقويض صرح الايمان ، الذي ارتفع عاليا في المدينة وكان الفعل في رأيهم يطغي على القول حتى إن مواقفهم لا تكاد تطل إلا من خلال العمل .

ويبدو جليا أن النهج الذي ساروا عليه ، يستهدف رسم صورة شوهاء عن المجتمع الاسلامي الصاعد ، والإيهام بفساده وتداعيه . (**وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء**) (سورة البقرة / ١٣) فهم يتحينون الفرصة باستمرار لنهش أعراض المؤمنين ، وتلطيخ

كرامتهم : (**فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا**) (سورة الاحزاب /١٩) .

وكلما أحدقت الأخطار بالمسلمين وتطلب الحال وحدة الصف وتعبئة الطاقات للجهاد ونصرة الدين طفت مواقفهم على سطح الأحداث ونشطوا في تسريب الشك الى القلوب وتفكيك جماعة الاسلام ، وجر من استطاعوا

الى الوراء : (**قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلُمَّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا**) الأحزاب/١٨ ويبلغ بهم الأمر أحيانا الى فضح خبايا قلوبهم ، كلما اشتدت الخطوب بالاسلام ، وسولت لهم

الظنون أنها القاضية : **(وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا)** الأحزاب/١٢ .

وبالرغم من قيام قوى معارضة ، داخل المجتمع الاسلامي الفتي ،

تهوي بمعاولها على قواعده النظرية ، ومنجزاته على ساحة الواقع ، وتكالب قوى أخرى في الخارج تحشر إمكاناتها المادية والبشرية الهائلة لمحوه من على ظهر الأرض ، فإن القرآن الكريم مضى في طريقه ، يرصد الرأي الآخر القولي والعملي ، ويثبته في متنه ، بكل أمانة وتجرد ، سواء أكان علنيا مذاعا ، أم سريا لم يعلم به غير أصحابه ، ثم ينشره بين المؤمنين ، ليتلوه آناء الليل وأطراف النهار ، ويشفعه برد كاف شاف يغذي قناعتهم ويعمق ثقتهم في الله ورسوله وكتابه .

إن الرأي الآخر ، رغم ما اتسم به من حدة في القول ، وعنف في الفعل ، لم يكن ليضير القرآن في شيء بل اضطلع على عكس ما قصد ، بتزكية ربانية مصدره ، وسمو تعاليمه ، وخلف في كتاب الله ، مؤشرات كثيرة تنطق كلها بأنه عامل الواقع البشري ، بما يلائمه ويصلحه ، والعقل الانساني بما يهديه الى الحق ويرضي فضوله .

وعندما يطل المؤمن من فضاء القرآن السامق على واقع الفكر البشري ، يرى أنه كلما استقل عن الوحي الصحيح ، وانفلت من قيد التجربة العلمية وجد نفسه مضطرا لكي يزيد في عمره ، أن يصور الأباطيل في الأعين حقائق ، عن طريق تغليط المدروس بالدعاية المدوية ، أو بكمم الأفواه بالقوة الرادعة .

معاني أسماء بعض الأعلام

الأخطل : طويل الأذنين مسترخيهما ، الاصمَعي : اسم مشتق من الأصمَع وهو صِغَرٌ في الأذنين . كما يطلق على السيف القاطع ، ابو المتاهية : ابو الجنون ، الحُطَيئة : القصير صاحبُ الوجه القبيح ، السموءل : الذُبَاب ، حمزة : أسد .. كما يطلق على كل ما يَلْذَعُ اللسانَ من طعام او شراب ، طه : في اللغة الحبشية بمعنى يا رجل ، المقفَّع : صاحبُ الراس المنكَّس باستمرار ، عنترة : ذُبابة ، قَابُوس : رجل وسيمُ الوجه حَسَنُ اللون ، عِصام : النهاية الدقيقة من طَرَف الذَّنَب ، فَرَزْدَق : فُتات الخبز . كما يطلق ايضا على قِطَع العجين ..



للأستاذ / السيد محمد القاضي

المفهوم المستقر في الأذهان عن التاريخ أنه العلم الذي يتقصى الأحداث ـ أحداث الماضي ـ التي وقعت ، ويسجلها كما وقعت في الزمان والمكان المحددين ، دون تزيد أو نقص أو تفسير ، ولو خرج التاريخ ـ ولو يسيرا

ـ عن هذا الاطار لعد في عرف مناهج البحث شيئا آخر تماما غير التاريخ والنظر إلى التاريخ بمعيار السرد والتقصي والقص لأحداث الزمان يعتبر في المنظور الاسلامي نظرا منقوصا ، ونظرية متخلفة عقيمة ، والبديل

الاسلامي هو ، بالاضافة الى ما سبق ، التسلح بإيجابيات التجارب الماضية للبشرية ، والانطلاق منها وبها نحو المستقبل ويمكن - دينا - تحديد الغرض من استعادة الماضي واستحضاره . ويتمثل في القرآن الكريم في قصص السابقين - بأنه الاقتدار على التنبؤ بمصائر الأمم والجماعات وبما يتربص بها وينتظرها في آتى أيامها ، تأسيسا على القوانين التي استخلصت من تجارب من سبق ، وهو اتجاه سبق به الاسلام حقيقة لا ادعاء ، فلا ريب أن تجميع العبر والعظات التي ترسى الأساس المتين للقوانين ، وإخضاعها لقدرات التخيل والتوقع يمكن الانسان من التخطيط للمستقبل عن بينة وفهم ، ويعينه على تبين الملامح ، كما أنه يقى العبد شر الكوارث التي تعترض طريقه وتكيد له ، وإذا كان صرف الانتباه عن الماضي وعن التاريخ يؤدي الى حصر مجال الرؤية ، وتضييق أفق الادراك ، وعزل الحاضر عن مؤثراته ودوافعه ، وهي بطبيعتها تنتمى إلى الماضي فإن الاحاطة بالأحداث وتفهمها وفقهها يضيف إلى العقل أبعادا جديدة ما كانت له من قبلها ، وبها يتحول من عقل آحادي الاتجاه الى عقل ناضج مركب ذي أبعاد متعددة ومقتدر على النظر إلى الأمر الواحد من زوايا مختلفة .

ومن الملفت للانتباه أن القرآن الكريم مصدر العقيدة والمعرفة للمسلم في تناوله التاريخ جاء فذا غير مسبوق ، وظل كذلك غير ملحوق ، فالقرآن يعتبر التاريخ البشري تاريخا لكل البشر ، وإرثا لهم ، ويجعل لكل إنسان منه حظا ، طالما أن جذور ذلك الانسان تمتد به وتنسبه إلى المجموعة البشرية ، وتجعله حلقة من حلقاتها ، وبذلك يستقيم للانسان أن يقف شامخا على ارض التاريخ ، منحيا عنه كل شبهات الاغتراب والعزل ، ومنتسبا بجسده وروحه ووجدانه إلى كل البشر في كل زمان ومكان ، وبهذا الفهم تكون العلاقة بين الانسان - أي إنسان - وبين غيره من الأناسى ، وبالتالي بينه وبين تجاربهم علاقة جدلية لا تنفصم ، ولا يتوقف لها عطاء أو إيحاء ، وعلى الانسان أن يفيد من هذه التجارب ما وسعته الحيلة ، وأسعفته الطاقة .

ومن أبرز المضامين الفكرية التي جاء بها الاسلام في مجال الدراسات التاريخية انه جعل الانتفاع بالماضي وأحداثه وعبراته من دلائل الايمان وأياته ، فالمؤمن - مثلا لا يلدغ من جحر واحد مرتين ، ، والقرآن الكريم يعتبر إغفال الاعتبار بأحداث الماضي ، ، والانصراف عن عظاتها غفلة تستوجب التقريع (**انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون**) الانعام/ ٤٦ . وذلك لأن الغفلة تشكل خسارة وضررا يلحقان الفكر ، ويسببان هبوطا وانحدارا في المستوى الحضاري ويلحقان الأذى والاجحاف بالحياة .

والقرآن الكريم ، في تناوله للماضي وقضاياه يلح لبيان توجهات الأحداث والعوامل المؤثرة فيها ، ويظل القرآن الكريم يرافق تلك الأحداث منذ كانت دوافع مستكنة ورغبات جنينة تعتمل

في النفس وتضطرب حتى تصل إلى نهاياتها ، وتنهض في واقع الناس أحداثا مشهودة ، وحينئذ يبـرزها القرآن للبصائر كما برزت للأبصار ، ويضعها في موضوع الاعتبار ، وانما ينهج القرآن هذا النهج لأن وقائع التـاريخ معـدودة في الاسلام من الروافد الفاعلة في تكـوين العقلية الاسلامية التي تنهض عليها عقيدة التوحيد ، وهذا الاسلوب في تكوين العقلية الاسلامية كان نمطا غريبا على الحياة زمان تنزل القرآن ، وإن لم يكن غريبا على الفطرة ، لأن الفطرة بحسب الخلقة نقية مستقيمة ، أما الحياة حين تنزل القرآن فكانت مرتعا خصبا للتلـوث والفساد ، ومحـلا لتـوارد الأهواء والشهوات ، فالقرآن الكريم ـ مثلا وهو بسبيـل تكوين العقليـة الاسلامية لا يحيل في تفسيره للكون وظواهره ، وتفسيره لمسيرة الحياة الى أساطير باطلة ، كما كان الأمر عند كثير من الأمم المعاصرة له ، وكذلك لا يحيل الى قضايا فلسفية ، مشكوك في صـدقها ، ويكثـر الجدل حـولها ، ويجهد الفكر فيها ، ثم لا يخرج منها بطائل ، وإنما يلفت القرآن النظر الى :

ـ الكـون الكبير الممتـد من حـول الانسان ، بعناصره ومفرداته .

ـ تاريخ المجتمعات البشرية التي هي أصول العبد وجذوره ، أيا ما كان موقع العبد .

ـ النفس البشرية ذاتها ، في تقلباتها وهواجسها .

ثم يخضع القرآن الكريم كل أولئك للتمحيص والاختبـار والتجـريب ، قصدا الى استخلاص القواعد منها والنواميس ، والاستضاءة بها فيما يأتي من الزمان ، وقد صاغت تلك القواعد وهذه النواميس بالفعل فيما تعاقب من أزمنة ، عقلية إسلامية متميزة ، انعقد لهـا لواء التفـوق والسيادة أزمانا متطاولة ، وصار لها القول الفصل حين تتصارع التيارات والاتجاهات الفكرية ، ولا مراء أن ذلك كان إحدى السمات البارزة والمعترف بها للسلف الصالـح ، الذي تلقى الرسالة من منابعها زاكية خالصة .

والقوانين ، ومنها قوانين التاريخ ، إذا أهملت ، وصرفت الهمم عنها تحولت إلى هباءات لا وزن لها ، وفقـدت فعاليتها ، وعدمت القدرة على الاسهام في إثراء الحياة ، ودفع الحضارة ولم تعد شيئا آخر غير رنين الحروف وجرس الكلمات ، وهذا للأسف حال الكثير من قواعد وقوانين التاريـخ الواردة في القرآن الكريم ، انكماشا وتراجعا في حياة المسلمين .

أمـا الانسـان نفسـه في المنظـور الاسلامي للتاريخ فهو المخلوق ذو الشأن ، القادر بعون الله على تخيل الأحداث وإيجادهـا وتحريكهـا في الاتجاه الذي يشاؤه ، ثم هو المسؤول بعد ذلك عنها ، والمحاسب على ما قدمت يداه ، والمجازى عليها ولا جزاء بدون تكليف ، ولا تكليف بدون أهلية وسبيل العبد في حمل أمانة التكليف والنهوض بعبئها أن يرصد الوقائع والأحـداث ، ويحللهـا ، ويستنبط القوانين التي تجريها ، وتتحكم فيها ، ثم العمل من بعد ذلك بما توحى به .

والذين يتعرضون للتاريخ ودرسه لابد لهم من الاجابة عن سؤال يتردد

كثيرا ، ويراه البعض محيرا . وتتعدد حوله الآراء ، هذا السؤال هو : هل يعيد التاريخ نفسه ؟

أما القرآن الكريم فقد أجمل الاجابة في سورة محمد حين قال (**أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**) **الآية ١٠** فالآية تقرر في وضوح ، لا لبس فيه أن :

- التاريخ يصنع عن وعي وإعداد ، ولا يرتجل ، ولكن بناء على شروط وملابسات ، إذا ما توفرت وتهيأت فعلى العاقل أن يتوقع الحوادث ، بنفس الدرجة ، وفي ذات الاتجاه .
- ما يمكن بدؤه يمكن إعادته ، بشروطه .

فالكافرون - كما ذكرت الآية - دمروا بسبب إصرارهم على الكفر ، ومن أصر على الكفر إصرارهم فله مثل ذلك التدمير ، ومثل الكفر في استحقاق الجزاء كل مخالفة للقوانين ، أيا ما كانت طبيعتها ولا غرابة حينئذ إذا عدت حركات التاريخ في جانبيها الايجابي والسلبي جزاء وفاقا على ما كسبت أيدي الناس ، وبهذا المنطق فإن الانسان في الاسلام قد منح الصلاحية في ان يصوغ حياته بمحض الارادة والاختيار ، واعتبر مسؤولا - وهذا عدل - عن الخطأ ينزلق إليه عامدا ، أو ينحدر ساهيا عن السنة ، أو متهاونا في التقدير ، وإذا كان العبد مقدرا في ميزان الخالق ذلك التقدير فتلك منحة لها ما يقابلها . ومقابلها هو المسؤولية المتولدة من إيجابية الفطرة التي فطر عليها ، فليس الانسان في تقدير الاسلام بالعبد الذليل المهين ، المستلب ، الخاضع لما يفرض عليه من خارجه ، دون اختيار منه ، كما أنه ليس المخلوق الذي فطر على سلوك غريزى ، لافكاك له منه ولا تجاوز ، وحسبنا أن نعلم أن تحرك الأقدار في اتجاه التغيير جعل في القرآن الكريم تابعا ، وليس متبوعا ، لجهد البشر أنفسهم أيا ما تكون طبيعة الاتجاه (**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) الرعد/ ١١ (**ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) الانفال/٥٣ . فالآيات هنا تحض على التغيير والانتقال دائما الى الأفضل ، ونشدان الكمال ، وتعطي الانسان زمام المبادرة في هذا المجال كما في غيره ، طالما قد حمل عن طواعية واختيار أمانة المسؤولية ، وتحذر الآيات من عاقبة الوقوع في الخطر والخطأ ، إذ لا محاباة حينئذ في تطبيق القوانين (**إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا**) الانسان/ ٣ . وهل هناك تكريم للانسان أكثر من أن تكل إليه الأقدار مهمة صياغة حياته وتشكيلها بالطريقة التي يختار ، ثم تعينه على السعى بتهيئة القوانين المفطورة على الطاعة ، والمسخرة لتمهيد السبيل ؟

بقى أن نقول ، استكمالا لايراد الأفكار والآراء بشأن دوران التاريخ إن هناك رؤية تقول : إن التاريخ يعيد نفسه ، بمعنى أنه دورات متعاقبة ومتتابعة ، وأنه ينتقل من طور إلى طور ، ومن حال الى حال ، بمنأى عن الجهد البشري ، ورغم رضا الانسان

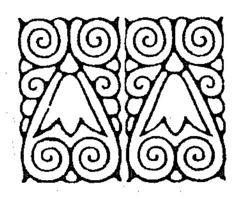
أو سخطه ، وأن حركات التاريخ رتيبة منتظمة ، ترتفع بقوم ، وتهبط بآخرين دون أن تكون هناك حاجة إلى قاعدة يعتمد عليها ، أو قانون يجوزه ويبرره ، أو جهد إنساني مشروع ، ومثل هذه الرؤية البالغة السذاجة والضحالة تذرع بها أقوام ، وظنوا الرزق يأتيهم حبوا ، ولو لزموا عقر دارهم ولو التزموا مصلاهم ، فعالج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ظنهم وتوهمهم بدرته ، وهو يقول قولته الخالدة لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني ، وقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

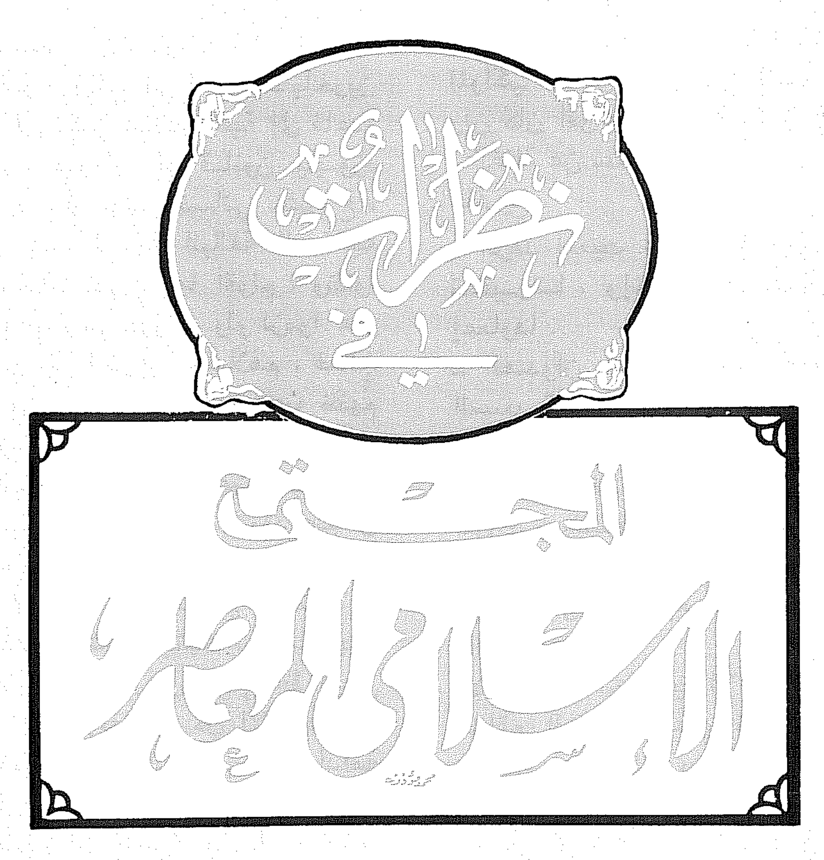
إننا لا نجد ، ولا نتوقع أن نجد في فلسفات البشر واجتهاداتهم ما نجده في القرآن من حرص على إيقاظ الوعي البشري ، وتفتيحه كل الاتجاهات ، والتنقيب في كل الجوانب ، إن إدامة النظر في التاريخ وفي أحداث الماضي ، واستخراج العبرة منها ، وأيضا إدامة النظر وتقليبه في عناصر الكون ، واستنباط القواعد التي تخضع لها في تحولاتها وفي حركاتها ، ثم استبطان النفس ، والميز بين فجورها وتقواها ، وإمدادها بما ينميها ويزكيها كل أولئك مما يغرس في ضمير المسلم ملكة الاقبال على الكون وعلى الحياة وحبهما والتعلق بهما عن فقه وفهم ، وهو بدوره من أقوى المؤثرات الدافعة الى الايمان بالخالق العظيم .

ولو أننا نحن ـ المسلمين ـ نظرنا بصدق وإخلاص إلى ما آلت إليه أحوالنا ، وأردنا خلاصا ونجاة مما نحن فيه من جمود وتخلف ، وشخصنا الآفات التي ترهقنا ، وتقض مضاجعنا وتبوئنا ذيول المواكب لما عز علينا تبين اسبابها ، وإن كان أقواها وأشدها يكمن في :

- الغفلة عن سنن الكون ، وعن عبرة التاريخ .
- الزهد المميت في الحياة ، إلى حد تحقيرها ، وإظهار الرغبة عن إعمارها .
- العدوان الصارخ على قوانين السببية ، والتعلق بالخرافات والأباطيل .
- جحد معالى الأمور ، والاهتمام المزرى بسفسافها وساقطها .
- الافتتان الشديد من قبل ذوي اليسار والترف بعاجل اللذات والشهوات .

ولا علاج لما نحن فيه الا بنقض هذا الواقع البغيض الذي نقيم عليه ، وندافع عنه ظنا بأنه الدين في صميمه ، وما هو منه في الحقيقة ، ثم التحول الى ضده ، والاعتماد في ذلك على القيم الراسخة الصحيحة التي أرساها القرآن الكريم ، وسنة رسوله الكريم ، وعمل بها السلف الصالح لهذه الأمة العريقة ، وملء فراغ الأنفس بها ، والا فهي الحالقة التي تحلق الدين والدنيا جميعا ، لا قدر الله ذلك ولا كان .





للأستاذ/ عمر بهاء الدين الأميري

العالم الاسلامي الذي يطلق عليه في التعبير الشرعي : « دار الاسلام » ، أصبح اليوم « دورا » متعددة ، ومجتمعات متباينة متباعدة مترامية الأطراف موزعة الاتجاهات ، متأثرة بشتى العوامل الاعتناقية والسياسية ، والتاريخية والجغرافية .. بحيث بات من العسير جدا اعتبارها مجتمعا إسلاميا واحدا واضح المعالم ؛ يمكن أن يدرس علميا كما تدرس الجماعات المحصورة ، ويعطى عنه حكم يرقى إلى درجة الحقائق العلمية .

يقول الأستاذ « جب » في كتابه : « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » : « لا يتيسر لأي إنسان بمفرده أن يحيط بجميع التطورات ومراتب الايمان المختلفة في شتى المناطق الاسلامية ، لأن النفاذ إلى حال البربر والعرب والأتراك والفرس والأفغانيين والبنجابيين والبنغاليين .. من أصعب الصعب دفعة واحدة ، فكيف إذا طالعنا من وراء هذه الأمم(ونحن ندعوها شعوبا) على اختلاف مذاهبها وفرقها ؛ أمم ماليزيا .. وجاوه .. وزنوج إفريقية الغربية والشرقية !!»ويمكن ان

نضيف الى ماسرده الاستاذ جب : الاكراد الموزعين بين البلاد العربية وتركيا وايران وقوميات الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي وتركستان ، والقرم ، وأذربيجان؛ والملايين القليلة او الكثيرة من مسلمي الصين والجاليات الاسلامية في اليابان وامريكا وبعض دول اوروبا ممن ينتمون في اعتبارنا العام الى الأمّة الاسلامية التي تضم مجموعة المسلمين في العالم كله .

★ الامة الاسلامية بين المثالية والواقع ★

اذا كان بعض الباحثين المتطرفين يرون ان مفهوم «الأمة » العصري لا ينطبق على جماعة المسلمين الموزعين في ارجاء الارض ، وان الاسلام لم يكون ، ولا يستطيع ان يكون أمة ابدا .. فإننا لا نقبل رأي هؤلاء ولا نتفق معهم فيما ذهبوا اليه . فالاسلام بعقيدته التي يؤمن بها كل المسلمين ، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، وبالمعالم الكبرى لشريعته التي ترجمها الفقه الاسلامي بشتى مدارسه الى احكام وانظمة ومناهج ؛ والسلوك المتقارب بين المسلمين في مدارج الحياة الامهات ، بوحدة وثبات موازين الخير والشرّ ؛ والقاسم المشترك في الآمال والآلام والمطامح والأهداف . كل ذلك وسواه يجعل الشعوب الاسلامية على ما بينها من تباين ، تؤلف «أمة» ذات شخصية معنوية لها خصائصها وحضارتها المتميزة عن خصائص وحضارات الأمم الأخرى .

فالامة كما عرفها الاستاذ محمد المبارك رحمه الله هي «الوحدة الاجتماعية المنسجمة ، او المشتركة في حد ادنى من الانسجام ، في أسسها الفكرية وعواطفها واتجاهاتها ..» ، وروابط العالم الاسلامي في الواقع اعمق واوثق مما جاء في هذا التعريف .

ولا بد لنا من أن نميز هنا بين الأمة الاسلامية باعتبارها حقيقة ماثلة ومنظمة اجتماعية قائمة بالفعل ، وبين تحرك هذه الأمة بالاسلام الحق اعتناقيا وحضاريا وسلوكيا . فالأمة كيان مجرد ثابت الوجود سواء مارس أبناؤه دينهم ومقتضياته ، أم أهملوا بعض ذلك وتراخوا فيه كما نراه في أمتنا ومجتمعاتها اليوم . والمسؤولية في ذلك ـ كما يقول الشهيد عبدالقادر عودة ـ « موزعة بين الجماهير والحكومات ورؤساء الدول وعلماء الاسلام » الذين ينطبق عليهم قول الامام ابن القيم : « جعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ، محتاجة الى غيرها ، وسدوا على أنفسهم طرقا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له ، وعطلوها بتقصيرهم في معرفة الشريعة والواقع ، ولما رأى ولاة الأمور ذلك ، أحدثوا من أوضاع سياستهم شرا طويلا ، فتفاقم الأمر وتعذر استدراكه ، وَعَزَّ على العالمين بحقائق الشرع تخليص النفوس واستنقاذها من المهالك . وهكذا ضعف تماسك أفراد الأمة وساءت حال المجتمعات ، وترهلت الوشائج بين الأفراد والجماعات ، ولكن الأمة الاسلامية بقيت بالمعنى الاصطلاحي « أمة » قائمة ، وان لم تكن كما أرادها وقال عنها الله عزوجل : (**خير أمة أخرجت للناس**) آل عمران/ ١١٠ وهذا أمر طبيعي

نعبر عن سببه بشكل عام مجمل أنه : « **البعد عن الدين ، وحوافزه الروحية ، وفعاليته الايجابية** » ؛ « فكل من يفقد قوته التصاعدية لا بد له من الانحدار بتأثير ثقله الذي لا يقاوم » . ومن هنا اعترى الجمود أمتنا أولا ، ثم الانحدار ، وأصبح الحرص على « المحافظة » بديلا عن الحرص على « النماء والارتقاء » ، الأمر الذي أدى الى طمع الأعداء ، وزيادة بغيهم وتوفير الفرص لهم ، واشتداد ظلمهم بشكل يأباه خلق الانسان السوي ، بَلْهَ المسلم المؤمن الأبي ، فجاشت الضمائر بآمال ثائرة ، ولكنها حائرة .. ودبت في العروق خلجات دافعة قوية ولكنها غير سوية ولا منهجية ، ثم ما لبثت أن حرصت على تلمس الطريق وتسديد الوجهة ، والتعبير عن المشاعر والتطلع إلى الأهداف فبدأت « الصحوة الاسلامية » ، هادفة غير عارفة كيف تنتظم الجهود المبعثرة وتنتهج المنهج المستقيم لتتخلص من التأثير الدخيل والرواسب الأجنبية ، وتنطلق مجددا من قواعد أصالتها الاسلامية ، مع إدراك لمقتضيات العصر وتطور الانسان وتبدل الزمان والمكان .

★ الانبعاث الاسلامي والغرب ★

وكان من الجهل بحقيقة الاسلام : « أن نشأت الفكرة القائلة بأن المسلمين لا يستطيعون مسايرة الرقي العالمي ما لم يتقبلوا القواعد الاجتماعية والاقتصادية التي قبلها الغرب ، وأن تقليد المدنية الغربية هو المخرج الوحيد من ورطة الانحلال الاسلامي » . وقد فند ذلك « محمد أسد ـ ليوبولد فايس » بقوله :
« لقد شمل العالم الاسلامي بعد الحرب العالمية الأولى ، وموت الرجل المريض ... وسقوط الخلافة ، وعلمنة تركيا ؛ فراغ هائل ، وبلبلة كبرى ، فقد أخذت تتكشف نوايا الاستعمار أكثر فأكثر ، وزاد عدد الدارسين في معاهد الغرب من أبناء المسلمين الذين تأثروا بروح الغرب ، فكان لكل ذلك أثره في ظهور الحركات الاستقلالية من جهة ، والنزعات الفكرية البعيدة عن الاسلام ، إن لم تكن معادية له ، من جهة أخرى . كما انكمشت العناصر المتدينة على نفسها ؛ والدين هو العامل المساعد على وجود القيم الاجتماعية في مرحلة نشوئه وامتداده .. فإذا انطوى الايمان على نفسه ، وكف عن الاشعاع ، انتهت رسالته ، وعجز عن بناء المدنية ، وأصبح إيمان الأتقياء الذين ينعزلون عن الحياة ، وينفلتون من واجباتهم ومسؤولياتهم » .

فلما وضعت الحرب الثانية أوزارها ، بدا العالم الاسلامي أكثر أهمية من ذي قبل ، فقد ظهرت منابع ثروته ، وأهمية مواقع بلاده الاستراتيجية الدولية ، وتكونت أكبر دولتين إسلاميتين في العالم منذ كان العالم : باكستان ، وأندونيسيا ؛ كما ظهرت منظمة الأمم المتحدة كرد فعل لويلات الحرب ، وظهرت قوة المعسكر الشرقي ، والتفتت الأنظار الى مبادىء الشيوعية ، وخاصة بعد تكون الصين

الشعبية ، وحرب كوريا وفييتنام . وكثرت وفود الزائرين لدول الستار الحديدي فأخذت تظهر بعض حقائقه بحسناتها وسيئاتها ، كما اختمرت فكرة العودة الى الاسلام الأصيل لدى دعاتها ، فاتصلت حركات الاصلاح الاسلامي وتطعمت الأفكار

بالمبادىء الأجنبية المختلفة ، ووجد المسلم نفسه في مجتمع لم يقم هو بتكوينه ، ولا بد له فيه من حفظ كرامته في حياة مستقرة ، مدفوعا الى ذلك بنزعتين : نزعة الأصالة التي تتصل بالضمير الاسلامي ، وتتعلق بالحفاظ على العقائد والقيم الاسلامية ؛ ونزعة المعاصرة التي تتطلع إلى مسايرة التحديث .

وهكذا أضحى عالم المسلمين بين مد وجزر ، فلا هو في حيوية الاسلام الخلاقة الأولى ، ولا هو في جمود عهود الانحطاط ! ولا هو في نهضته واعي المسالك ، متضح الهدف والمعالم . وقد عبرت عن هذا في إحدى قصائد ديوان « في بلادي » :

واستيقظت في فجاج الأرض مشكلتي ... وشمتني وسط إرغاء وإزباد
في أمة مزعت أوصالها غِيَرٌ ... عبر الزمان فمن عاد إلى عاد
وقد أطل عليها غابر صنعت ... أيامه الغر من خير وأمجاد
تريد أمرا ولا تدري وسيلتها ... المثلى إلى حطم أغلال وأصفاد
وقد أحاطت بها من كل شاردة ... مناهج ليس تدري أيها الهادي
في غورها وثبة حارت معالمها ... وهمها ملء أحشاء وأكباد
تأوهت في دمي آلامها وبكت ... فحشرجت في فمي أنغام إنشادي
وإبْتُ مُلتَبِسَ الآمال يثقلني ... من الهموم سفير رائح غاد
لا أستبين مدى عزمي ولا جدوى ... أحيا كهاجسة في غور آباد ..

★ تحول العالم نحو الاسلام ★

وفي ظل هذا الاضطراب ، ورغما عنه ، تتسع في كثير من المجتمعات الاسلامية روح الاخوة العامة ، وتتعمق إلى درجة تتكون معها للاسلامية قوة شعبية ضاغطة يجد بعض الحكام من مصلحتهم مسايرتها بشكل أو بآخر ، كما يزداد وعي الاسلام وقيمه وقدرته على تلبية التطلعات السوية للانسان المسلم ، لتأمين مستوى أفضل في كل ميادين الحياة المستقبلية عامة وخاصة . ويتفاقم بغي الأعداء ، ويستمر تطاولهم على الحقوق والمقدسات الاسلامية ، وتكون لذلك ردود فعل حافزة .

... ويتكاثر الاهتمام العالمي بالاسلام ، وتكشف مجامع الحوار والمؤتمرات واللقاءات الدولية جوانب من حقيقة الاسلام ، تسقط من الأذهان ـ ولو بمقدار ـ الصورة الخاطئة الظالمة التي كان يروج لها الأعداء أو الجهلاء .. ويشرق نور

الهداية خلال ذلك على عدد من علماء الغرب وفلاسفته ومفكريه ، بعد بحث ودراسة وتمحيص فيعلنون اعتناقهم الاسلام دينا ؛ يؤمنون بوحدانية الله ، وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام خاتما للأنبياء والمرسلين .. ويكتشفون من كنوز القرآن ما يزيد في تنوير الأذهان ، ويجعلهم كل ذلك ينقلبون من « عداة » إلى « دعاة » .. يبشرون بالاسلام ويعرفون به ويدعون اليه أقوامهم وهم أدرى بأساليبهم في التفكير والتعبير ، ويقدمون أنفسهم مثلا ونماذج جديرة بالاقتداء بها والنسج على منوالها ...

ويلفت ثبات المسلمين على اعتناقيتهم ، وتحمسهم لدينهم ، أنظار العالم ، ورغم كل المصائب والجوائح والأحداث المدمرة التي نزلت بالأمة الاسلامية ، نجد هذه الأمة وهي في صميم المكابدات والويلات المدلهمات لم ينقطع عنها مدد الحياة ، فلا تضعف إلا لتشتد ، ولا تتراجع إلا لتندفع .. ولا يخفت صوت الدعاة العاملين المخلصين في ساحته . بسبب ما يتعرضون له من منع وقمع ـ إلا ليعلو في ساحة أخرى ؛ يحاول الانطلاق من جديد حاملا الأمانة مؤديا الرسالة للناس كافة ، ممارسا ذاته الرائدة ، وجهاده لإعلاء كلمة الله ، واثقا بنصره جامعا شمل عباده عليه .

يقول الأستاذ «جب » : « إن الاسلام ما زال في قدرته أن يقدم للانسانية خدمة سامية جليلة . وليس هناك أية هيئة سواه يمكن أن تنجح نجاحا باهرا في تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جبهة واحدة أساسها المساواة » .

★ المجتمع الاسلامي والتيارات المعاصرة ★

لقد لفتت أحداث أوائل القرن العشرين أنظار المسلمين الى الغرب أكثر من ذي قبل ، فرأوا ألوانا جديدة من الحياة ، كمالفتت أنظار الغرب ، بل ووجهت أطماع دوله الى أجزاء الامبراطورية العثمانية ـ التي كانت من أكبر عوامل انهيارها ـ فسارعت الدول الغربية « العظمى » الى التنافس على اقتسام أوطانها وبسط نفوذها بالحماية والانتداب والاستعمار ، وبدأ من هنا صراع من نوع جديد بين الأجنبي الباغي الدخيل وبين الشعوب الاسلامية المستولى عليها والبلاد العربية منها بخاصة ، فاندلعت الثورات لا تهدأ حتى تبدأ ، ولا تخمد حتى تتقد ، ولم تستطع وسائل الاستعمار على براعتها في المكر وإيغالها في الفتن أن تقضي عليها ، لأن الحياة أقوى من الموت ، والكرامة أبقى من الذلة ، والأصيل أثبت من الدخيل ، والحق أظهر من الباطل : (**إن الباطل كان زهوقا**) الإسراء/ ٨١ .
وما مضت سنوات حتى وجدت الدول الاستعمارية نفسها مضطرة الى مصانعة حركات الجهاد التحريرية ، فلوحت ببوادر الاستقلال وخففت بذلك من جذوة الثورات التي وجدت فيها بعض الثغرات ، كما مرت على البلاد جيوب من الهدوء ، والتفاوض والتعايش ، وغير المستعمرون أساليبهم فحرصوا على

الاستثمار بدل الاستعمار ، وعمدوا الى غزو الأفكار عوضا عن غزو الديار .

وفي هذه الغمرات ومن تلكم الثغرات وجدت الآراء الغربية المعاصرة ، والقيم الاجتماعية الحديثة والاعتناقيات التي تنبثق عنها وجدت مساربها الى حياة بعض المسلمين وأفكارهم وأمزجتهم وأذواقهم ولا سيما الأجيال التي تخرجت من مدارس الغرب فظهرت في المجتمعات الاسلامية فئات تبشر بتلك الاعتناقيات وتدعو لها وتبرزها بأثواب وأساليب مغرية ، وصاحب ذلك تغلغل كثير من الأجهزة ووسائل الترفيه الحديثة ، وتهافت الناس على اقتنائها والانشغال بها ... ثم كانت الحرب العالمية الثانية ومحاورها ، فتجسمت وازدادت بعدها الأوضاع التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ، ومضت المخترعات الأجدّ والمغريات الأكثر جاذبية وإثارة أشواطا بعيدة جدا في التأثير على عامة المسلمين ، وتوضحت المذاهب والآراء والقيم الاجتماعية الجديدة ، وحفتها دعايات وعرضت بأساليب تجتذب الناشئة والسطحيين من الناس ، وتتفاعل مع الحياة وتعمل عملها في صبغ المتجمعات الاسلامية بأصبغة لم تألفها من قبل .

قد تكون القومية هي الاعتناقية الأكثر بروزا بعد الحرب العالمية الأولى ، وقد تكون الاشتراكية والشيوعية هما الاعتناقيتان الأكثر بروزا بعد الحرب العالمية الثانية في الشرق والغرب جميعا ـ وان كانت لهذه الأفكار أعماقها قبل ذلك بكثير ـ فلا غرابة بالتالي أن يكون تأثر عالم المسلمين بأفكارها أكثر من تأثره بسواها من الاعتناقيات ، ولذا فإننا نجد من الفائدة التوقف عندها قليلا .

رد فعل المجتمع الاسلامي على التيارات الأجنبية المعاصرة :

إن العالم بعد حربين متواليتين ينقسم اليوم الى كتلتين كبيرتين : الكتلة الشيوعية في الشرق ، وكتلة الرأسمالية في الغرب ، يقول سيد قطب في كتابه « **العدالة الاجتماعية في الاسلام** ص ٢٦٣ » : « إننا نعتقد أنه انقسام ظاهري لا حقيقي ، وأنه على المصالح لا على المبادىء ، وأنه على السلع والأسواق لا على العقائد والأفكار ، فطبيعة التفكير الأوروبي الأمريكي لا تختلف عن طبيعة التفكير الروسي . كلتاهما تقوم على تحكيم الفكرة المادية في الحياة » .

ويدافع البروفسور جب « الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ٩٢ » عن هذه النظرة المادية الى الغرب بقوله : « لا محل للتعجب من كون علماء المسلمين يعتبرون أن الغرب ينغمس في مادية خالصة ، فإنهم يجهلون ما وراء المظاهر الخارجية لمادية الغرب ويحاكمون ذلك على صعيد انعكاساتها في الحياة الاسلامية ، وفي التآليف الاسلامية ، مع أن الانعكاسات في أساسها لا تمت الى روح العقيدة الغربية إلا بصلة وهمية غالبا » ... ولا أدري هل يعتقد البروفيسور « جب » في أعماقه أن المدنية الغربية ـ بصرف النظر عن رأي المسلمين فيها ـ تتفق من قريب أو بعيد مع روح العقيدة المسيحية الأصيلة التي لا أظنه يدعي للغرب عقيدة دينية سواها ؟

ومهما يكن الأمر ، ألا يعذر علماء المسلمين إذا نظروا للغرب النظرة السالفة التي عبر عنها سيد قطب ؟ ألا يعترف البروفسور « جب» نفسه بأن العلماء الغربيين ، « هم الذين سهلوا وسائل نبذ السنة وأزالوا نفوذها » (الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ١٢٨) ويقرر « بأن المؤثرات العلمانية الغربية جاءت الى منزل خالٍ ، ودخلته عن طريق قوة التعليم العلماني ، وطغيان وسائل المواصلة والمصانع ، وكثير غيره مما تسرب من الغرب » ؟ .. (الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ٩٦) .

أجل لقد عملت كل تلك المؤثرات عملها ، ليس بالأسلوب الذي سبق للحضارة الاسلامية أن أثرت فيه بالغرب ، ولكن في ظل خطط استعمارية واستثمارية وتبشيرية مرسومة ، بعيدة كل البعد عن روح النصرانية الأصلية ، والتعاون الانساني ، ولا تستهدف خير المسلمين ، وإنما ترمي الى تصيدهم واستغلالهم .

لم يستوح الغرب تصرفاته حيال العالم الاسلامي من نظراته المجردة إلى الاسلام بل أصبح « تعصبه على الاسلام جزءا من تركيبه العضوي الموروث » ـ كما يرى غوستاف لوبون ـ (مستقبل الاسلام . مالك بن نبي ص ٢٩) .

ومن يقرأ في التاريخ معاملة الخلفاء المسلمين للعلماء والأدباء من غير المسلمين ، وتبني الحضارة الاسلامية لنتاج الحضارات القديمة ، وتقديمها بأمانة للانسانية بعد تمحيصها والتوليد منها والاضافات الواسعة إليها فضلا عن موقف الاسلام من حياة غير المسلمين في ظلال الحكومات الاسلامية ، ويوازن بينه وبين ما صنعه الغرب بالمسلمين حين قويت شكيمته ، يتضح له الفرق بين السياستين والروحيتين ، ومدى بعد نصرانية الشرق الخالصة عن عدوان الغرب الجائر ، بَلْهَ عن سماحة الاسلام .

★ المجتمع الاسلامي والقومية ★

ليست القومية في حقيقتها ـ كما أفهمها ـ مذهبا فكريا أو اعتناقية عقائدية ، وإنما هي واقع تاريخي ووجود جغرافي وحقيقة إنسانية ، فالعالم معمور بأقوام هنا وأقوام هناك ، وهو مكون من شعوب وقبائل ، وبلغة العصر ، مكون من قوميات متعددة لكل منها خصائصها وملابساتها ، يقول الله تعالى : (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات/١٣ ويقول : (**ومن آياته خَلْقُ السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم**) الروم/٢٢ . ومن نواميس الطبيعة البديهية أن شبه الشيء منجذب إليه ، وأن الجنس يألفه الجنس .. فمن نتيجة التفاعل الاجتماعي بين الجماعات البشرية عبر العصور ، تكونت الأقوام المختلفة وتكونت قومياتها ...

فالقومية هي : « الواقع اللغوي والتاريخي والثقافي والجغرافي والاجتماعي العام » . وقد أراد الله للقوميات : (الشعوب والقبائل) أن تتعارف ـ في المعنى الواسع للتعارف الذي يقتضي حسن الصلة والنظر في خصائص ومميزات كل قوم وتبادل المنافع لتعمير الكون وتحري المصلحة الانسانية العامة ...

فليست القومية ـ في هدي القرآن ـ عنصرية ، لأن كل الأقوام من (ذكر وأنثى) وليست تعصبا وتعاليا وأنانية : (**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) ، وليست انعزالية انغلاقية لأنها (**لتعارفوا**) ...

وهكذا قد يكون تحديد جغرافية العالم على أساس القومية الواعية لهذه المعاني المطبقة لمقتضياتها ، هو الطريق الطبيعي الأفضل لسعادة الانسانية ، وإبداعها ، ولا يتنافى ذلك مع الرسالة الانسانية السامية المشتركة التي يحقق بها البشر خلافة الله في الأرض .

وإذا كان وعي القومية وبروز فكرتها في عالم الغرب ومن تقمص روح الغرب ، قد تدرج بمراحل ورافقته أحداث ، وانتهى الى نتائج واتخذ أشكالا معينة قد تنحرف عن مفهوم القومية الانساني السوي الذي أسلفناه ، وقد تتطاول وتغالي فتجعل من القومية عقيدة ، وقد تصل الى حد الردة فتنادي بها دينا ، فليس معنى ذلك أن الاسلام يرفض القومية المجردة السوية كوجود حي له وظائفه الاجتماعية . وأثره الفعلي في المجتمع الاسلامي .

لقد كان جهل المسلمين بالاسلام ، أو بالأحرى العمل على تجهيلهم ، ولفت أبصارهم عن بعض حقائق الاسلام لمآرب سياسية ، أهمها إبعاد العرب الذين اختارهم الله مهدا لدعوته ، واختار جزيرتهم منطلقا لشريعته ، واختار أشرفهم محمدا (عليه الصلاة والسلام) حاملا لرسالته ، لقد كان هذا التجهيل وما أدى إليه من نتائج خطيرة ، صارفا لنفوس المسلمين عن تفهم معنى القومية الصالحة التي لا تتنافى قط مع الاسلام ، بل تؤدي مهمتها في خدمة البشر كافة ، في ظل رسالة الاسلام وهدي شرعه المبين .

وقد صادف تبلور مفهوم القومية في أوروبا ، وآثاره في جغرافيتها وتاريخها ، وأحداثها السياسية ، تردي الخلافة العثمانية ، ثم سقوطها وإغماؤها بالمرة ، وتنبه أفكار المسلمين من مختلف القوميات والعرب خاصة ، واندفاعهم لإشادة كياناتهم الجديدة ، بعد أن أصبحوا بعثرة في الأرض ، ورافق ذلك تغلغل الأفكار الغربية في عالم المسلمين والتأثر بالقيم الاجتماعية ، والمذاهب الأجنبية ، ومن جملتها القومية بمفهومها الغربي !

وهكذا تفتحت أعين المسلمين ، في تلك الحقبة ، على القومية تفتحا غير سديد ، لأنهم لم يبحثوا عن قومياتهم السليمة في ظل الاسلام قبل انحرافهم عن حقيقته ، بل تلقفت عقولهم ونفوسهم القومية الواردة من الغرب ، كما تلقفت كل صادراته الفكرية وغير الفكرية ، فبدأت الحركات القومية طريقها على غير هدى وصراط مستقيم ، ووجد من نفخ فيها روح الشطط والمغالاة ونشأت من هنا الخلافات الكبرى بين دعاة القومية الجديدة ودعاة الاسلام .

فالذين بشروا بالقومية العربية أول الأمر مثلا ، ووضعوا لها نظرية علمية ... قد نفوا الاسلام كعنصر رئيسي في تكوين الأمة العربية : « مأساة العربي المسلم ص ١١٠ / بشير رفعت » وكان من ثمرة هذه الخلافات تباعد في صفوف العناصر الواعية العاملة ، أدى إلى توزع قوى الاصلاح في العالم الاسلامي عامة ، وفي العالم العربي خاصة ، ما زالت آثاره الضارة تتفاقم وتعمل عملها الهدام حتى اليوم .

بيد أن توضح الحقائق مع الزمن ، وعمق الثقافة الاسلامية واتساع ساحتها ، وإخفاق كثير من التجارب القومية المتطرفة وتبصر العقلاء المخلصين في جرثومة ونتائج هذا الخلاف الضار أخذ يقرب بعض وجهات النظر وسينتهي ذلك إلى نبذ المتطرفين وتهافت دعوتهم وتلاقي جهود العقلاء المؤمنين من الاسلاميين الوعاة والقوميين المتبصرين في حقول الاصلاح لمصلحة الرسالة المشتركة والواجب المقدس .

والحديث عن القومية واسع رحب ليس هذا مجاله فأختم الحديث عن أثر القومية في المجتمع الاسلامي بفقرة من مقولات بعض دعاة القومية النيرين : « إن الانسانية الحقة تبتدىء من القومية الحقة ، وان القومية المعوجة تؤدي الى انسانية معوجة ، ففقدان الوعي القومي الانساني الصحيح واتخاذ القومية عقيدة ودينا هو الذي يسبب الحروب ويهيىء الفرص للاستعمار . فما لم يعمل الانسان . بهدي الدين على تحقيق انسانية المجموع القومي الذي يحيا فيه ويربطه التاريخ به ، لن يستطيع ان يعمل على تحقيق انسانية الانسانية جمعاء ..

وهذا يتفق مع رسالة الاسلام وروحه الواقعية وآفاقه الواسعة ونظرته العميقة في معالجة حاجات البشر بشكل مرن وتحقيق قيام المجتمع الفاضل الذي يتميز انسان الاسلام بشعوره انها مسؤوليته النابعة من صميم دينه والتي يوفر لها الاسلام الشرائع والانظمة والمنظمات الاجتماعية بشكل يتميز به عن سواه من الشرائع والمذاهب ويجعله المصدر الخالد عن جدارة لهداية البشرية .

★ المجتمع الاسلامي والمذاهب اليسارية ★

تتمثل المذاهب اليسارية في تطرفها بالماركسية الشيوعية التي يطلق عليها أربابها « الاشتراكية العلمية » تنكيرا لحقيقتها واستبعادا لتوقف النفوس عنها في المبادرة الاولى .

وتتمثل في اعتدالها بالاشتراكية التي لها أجنحة وفروع واتجاهات شتى ... ولسنا هنا في صدد الحديث المطول عن المذاهب اليسارية وتقديمها ودراستها ، فلذلك مجاله الخاص ، إنما الذي نقصده هو إلقاء نظرة عجلى على أثرها في المجتمع الاسلامي المعاصر ، ويهمنا باديء ذي بدء ان نؤكد أننا نستبعد إضافة هذه المذاهب ـ بأي اسم سميت ـ إلى الاسلام ، كأن نقول اشتراكية الاسلام أو

شيوعية الاسلام ، لأن لهذه المذاهب منابعها ونظمها واستقلالها ومناهجها وفلسفتها التي تختلف كليا عن الاسلام في عقيدته وشريعته وفلسفته ومناهجه .

تهدف المذاهب اليسارية حسب دعواها الى إقامة نوع من المساواة بين البشر ، هي المساواة المادية المتعلقة بحاجات الجسم فتسعى لتأمينها في نطاق الحواس الظاهرة ... وهذه فلسفة لها جذور معروفة في القدم منذ افلاطون ، وقد تطورت وتعمقت واستمرت حتى وجدت لها في القرن الميلادي العتيد ظروفا ملائمة فأصبحت بعد فتن وثورات نظاما لدول تقوم عليه حكومات وتنظم فعاليته أحزاب وتستقطب لتأييده جماهير لجبة كانت تعاني الظلم والخصاصة ، وخيل إليها أنها تستطيع ان تحقق إنصافها ورغد عيشها عن طريقه . وهذا حال جل العامة في شعوب المعسكر الشرقي .

أما المجتمع الاسلامي فلم يحس بمثل هذه الحاجة لأن الاسلام في أساسه يكفل لمجتمعه من المسلمين ومن يعيش في كنفهم العدالة الاجتماعية ، فهو وإن صان حق الملكية المشروعة ولم يحل دون الغنى الحلال ، إلا أنه ضمن لإنسانه حد الكفاية الأدنى بشكل يصون كرامته وأقام من فروضه وتشريعاته نظما ومؤسسات وتشريعات تحفظ للفقراء والمحرومين حقوقهم بالزكاة والصدقات ومسؤولية بيت المال ، وحرّم الاستغلال من أي نوع كان وعلى أي مستوى كان بالتساوي بين الرعاة والرعية .

والاسلام يقوم في أساسه على وجود الله ووحدانيته ثم على شريعة رسوله ، والمبادىء الاخلاقية التي يدعو إليها والسلوك الذي يمارسه ... ومن هذه الأصول تتفـرع تعاليم الاسلام ومناهجه في الحكم ونظمه في إقامة المجتمع على أسس من الحق والعلم والعدل والمحبة .

وقد يخيل لمن يرى تقاربا في جوانب من مبادىء الاسلام مع بعض المبادىء التي تدعيها وتعلنها المذاهب اليسارية ، أن في الاسلام شيوعية او اشتراكية بما يعنيه الاصطلاح المعاصر لهذين المذهبين ، والواقع الحق مخالف لذلك كل المخالفة ، فمبادىء الاسلام في العدالة الاجتماعية وضمان الكفاية ومسؤولية بيت المال نابعة من ذات الاسلام وقد يكون في الشيوعية والاشتراكية ملامح من هذه المبادىء ، ولكنها جاءت متأخرة اربعة عشر قرنا عما في الاسلام .

إن الله جل جلاله حقيقة غير حسية ولا مادية ، إنه موجود حي خلاق فعال لا تدرك كنهه الأبصار ، والمؤمنون بالله يؤمنون بالغيب وبعوالم ما وراء الطبيعة ، وينطلق سلوكهم من هذا الإيمان ... أما فلاسفة المادة فيجعلون النشاط الانساني كله نابعا من الجسد فلا مجال عندهم لاعتبار القوى الروحية والقيم الأخلاقية المنبثقة عنها ، لأنها لا تنبع من الجسد ، وبالتالي فالروابط الأخوية في المجتمع والدين والايمان وما يتبع ذلك من أخلاق ونظم ـ عندهم ـ أمور مصطنعة سخيفة لا يعترفون بها ، وهكذا يكون نظام الأسرة مثلا ، مفتعلا لأنه ليس في جسم الانسان ما يحمل على الارتباط بالأسرة وكل الذي في جسمه هو الطاقة الجنسية

وهي مسألة بيولوجية فلا يحتاج الإنسان الى أكثر من تلبية تلك الحاجة الجسدية على أي شكل من الأشكال ، أما المثل العليا والأخلاق التي تنبع من الأديان فخرافة يضحك بها الانسان على نفسه ... وما الحقيقة الثابتة الواحدة الا المادية الواقعية ، وحقيقة الأرض والنوازع المشابهة لنوازع الحيوان (الانسان بين المادية والاسلام/ محمد قطب ص ٦٠ ـ ٦٦) .

يقول فريدريك انكليز « تبدأ النظرية المادية من المبدأ التالي : وهو أن الانتاج وما يصحبه من تبادل المنتجات هو الأساس الذي يقوم عليه كل نظام اجتماعي » .

(النظام الاشتراكي/ ترجمة الدكتور راشد البراوى ص ١٢٠) ، ويتدرج ماركس فيقول : « أسلوب الانتاج في الحياة المادية هو الذي يعين بصفة عامة العمليات الاجتماعية والسياسية والمعنوية في الحياة ... » (النظام الاشتراكي/ ترجمة الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم) و « ليس شعور الناس هو الذي يعين وجودهم ، بل إن وجودهم هو الذي يعين مشاعرهم » (الانسان بين المادية والاسلام/ محمد قطب ص ٦٥) .

فالأخلاق لديهم ليست الا نتيجة التفاعلات الاقتصادية في المجتمع ، فإذا تغيرت علاقات الانتاج تغيرت معها القيم الاخلاقية ، والدين ـ أفيون الشعوب ـ شيء ابتدعه الاقطاعيون والرأسماليون لتخدير الشعوب وشغلها عن صراعها الطبقي ، وليس شيئا سماويا ولا حاجة سيكولوجية تنبعث من ضمير الفرد ، والمثل العليا أوهام الجائعين والمحرومين الذين حرمتهم الاحوال الاقتصادية من حاجاتهم فراحوا يحلمون بها . (مأساة العربي المسلم ص ١٣) .

لقد جعلت المذاهب المادية مطالب الانسان مقصورة على الغذاء والكساء والاشباع الجنسي ، وهي المطالب التي حددها ماركس في « المانيفيتو » ودعاها THE three satisfactions . وان أقسى امتهان لإنسانية الانسان وكرامته على ما نرى هو ما نادى به الفلاسفة الماديون من هيمنة الجسد وغرائزه الحيوانية على الفكر والروح ، وهم في هذا نقيض كلي للاسلام وعقيدته وروحه وفلسفته التي تجعل الجسم قالبا مسخرا للنفس ، والنفس عالم مستوعب للمعنويات والماديات يشمل سبحات الروح وتألقات الفكر ومشاعر الوجدان الى جانب متطلبات الجسد وكل ما يحتاجه ويصونه ، وكل ما في عالم النفس من روحي وجسدي أصيل ..

★ الوجود اليساري في المجتمع الاسلامي ★

على الرغم من تعارض الاسلام مع المذاهب اليسارية فإننا نجد لها وجودا في عالم المسلمين اليوم وليس للاشتراكية المعتدلة فحسب بل وللماركسية الشيوعية أيضا ، بنسب متفاوتة ، ولكنها في كل الأحوال والمواطن تعمل جاهدة على التغلغل في المجتمعات الاسلامية وتتخذ لنشاطها كل الوسائل التي تستطيعها ، ولا تعدم تجاوبا وتأثيرا بشكل أو بآخر ..

وليس ذلك فيما نعتقد نتيجة انسجام واعتناق ، بل هي جهالة وسطحية من جانب وظروف سياسية واقتصادية وعامة من جانب ثان ، وتأثر بتخطيط دعائي مثابر وبذل مادي سخي من جانب ثالث .

فتظاهر الاتحاد السوفيتي بتبني قضايا عربية وإسلامية وتأييدها في المحافل الدولية ، والتفوق العلمي الذي سبقت إليه في ميادين الصواريخ والأقمار الصناعية وغزو الفضاء ، والذي أحسنت الدعاية له فخلبت به ألباب الجماهير وامتزاجها في أذهان العامة بالدعوة إلى « السلام » ونزع السلاح وتعميم العيش الكريم على عامة الناس ، كل هذا من جهة ومواقف الدول الرأسمالية الامبريالية الظالمة الغاشمة والعقلية الاستعمارية الاستعلائية التي تتعامل بها مع دول العالم الثالث وتشدد أمريكا بخاصة في مباحثات نزع السلاح والتزامها الرفض تكرارا لحق الرفض (الفيتو) وانسحابها من منظمة اليونسكو في عهد رئيسها المسلم ودعمها الأعمى لإسرائيل وأطماعها الصهيونية (كل هذا وسواه من جهة ثانية أعطى للاتحاد السوفيتي ومن يدور في فلكه الفرصة لمزيد من التأثير في المجتمعات الاسلامية دون الانتباه الكافي الى الأخطار الضروس التي تنجم من تغلغل الشيوعية في أوساطها . والتي لا ينقذها منها إلا الاسلام الحي الحركي الايجابي الفعال في حياة الافراد والجماعات .

★ المجتمع الاسلامي والتجارب الاجنبية ★

إن المسلم لم يعان التجربة الغربية الامبريالية كما لم يعان التجربة الشرقية الشيوعية ، وإنما اكتفى بما اطلع عليه سطحيا أو قرأه عنها ، ولهذا فهو لا يقدّر خطر التورط في قبول الاعتناقيات الدخيلة على أصالته وحضارته .

ولو كانت الساحة حرة للانبعاث الاسلامي ودعاته لما كان الوقوف في وجه الأخطار والأفكار الغازية شديد الصعوبة ، ولكن الظروف والصروف تضافرت في عرقلة الصحوة الاسلامية عن أن تمضي بعالم المسلمين ومجتمعاته في صراط الله المستقيم الموصل الى النصر في معركة استرجاع الذات والتمكن من أخذ الأمة الاسلامية مقامها من جديد في ريادة الركب الانساني .

في عالم المسلمين اليوم ولاشك توثب جديد ، ولكنه وهو في عتبات نهضته . يعاني ازمات حادة ومجابهات وتحديات عنيفة تتولد عنها بلبلة في الانطلاق من حيرة وسطحية وارتجال وانكماش حينا وتهور حينا آخر وتردد ـ دون فقه حضاري ـ بين القديم والحديث والأصالة والمعاصرة .

ولكل هذا وسواه نجد الحركة الاصلاحية في المجتمعات الاسلامية لم تستطع الوصول الى تغيير النفس الاسلامية بالقدر الكافي ، كما لم تعرف وظيفة الدين الاجتماعية ، ولكنها نجحت ولاشك في إثارة المأساة التي تعيشها الأمة الاسلامية في ضمير أبنائها من الناحية الفكرية والوجدانية على الأقل ... ولكن كما يقول الاستاذ « جب » « لابد للحركة الحيوية من أن تنبعث عاجلا أو آجلا شريطة ان يبقى القرآن القوة الحية في حياة الأمة الاسلامية بكاملها » . (الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ٥٩) .

ولكي يتحقق ذلك لابد للمسلمين من ان يتخطوا ظواهر الأشياء الى جواهرها فلا يقتصر همهم على استظهار القرآن بل على فهمه والاهتداء به والاستنباط منه والعمل بأحكامه .

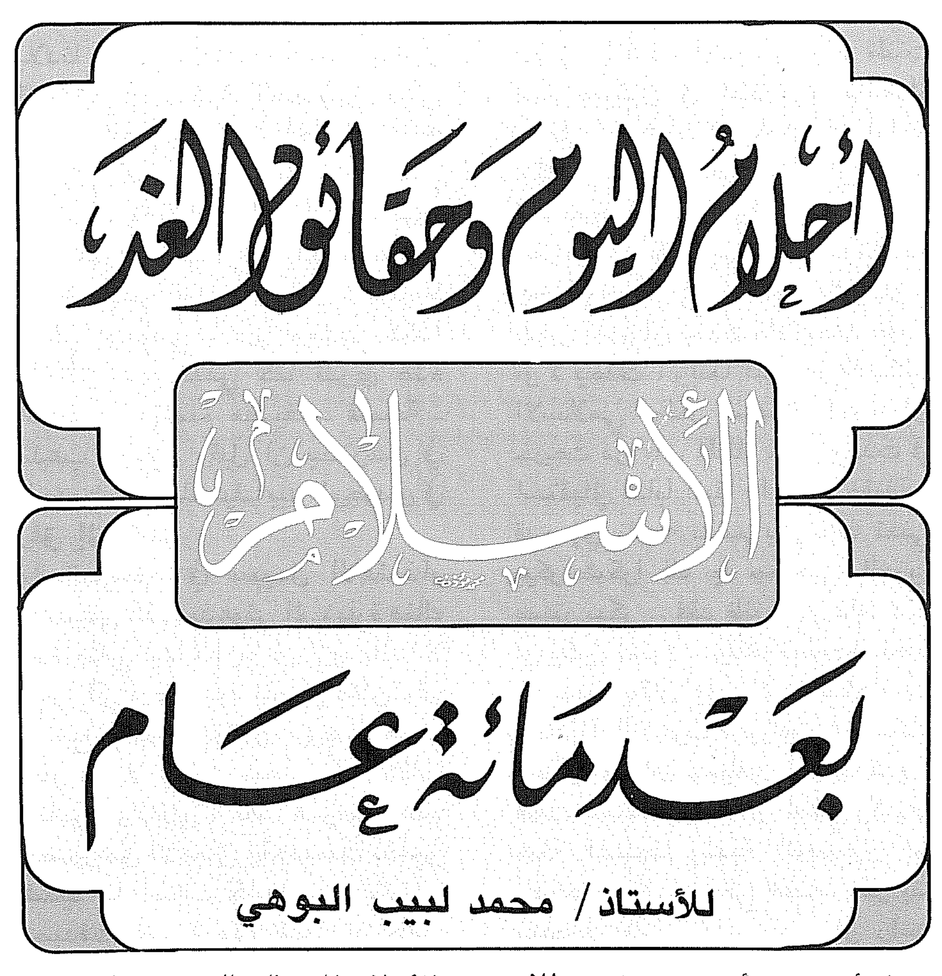
ولابد لهم من تجاوز استعمال المنتجات والمخترعات الأجنبية إلى إدراك حقيقتها والسعي لصناعة نظائرها ، بل والزيادة عليها ، وهكذا الأفكار والمبادىء الأجنبية لا يكفي ان يقبلها أو أن يرفضها بل عليه أن يعمد إلى تمحيصها ونقدها ومقارنتها بقيمه ونظمه ليمضي في حياته على بينة ، وليلتقط الحكمة أنى وجدها ويضعها في محلها من قيمة ونظمه على بينة أيضا : وإنا على الدرب لسائرون : **(وأن ليس للانسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يُرى * ثم يُجزاه الجزاء الأوفى) *** (النجم/ ٣٩/٤١) .

الزهد

روى ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة : أن رجلا جاء الى النبي – صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته أحبني الله ، وأحبني الناس . فقال : «ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » .

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » رواه الترمذي .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : – « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري ومسلم .



لا أرى من بأس حين يشتد ظلام الأمور أن يجنح الانسان للتخفيف عن النفس باستقراء بعض الخيال العلمي ، أعني الخيال القائم على تخطيط في النفس ، وقد يجد الانسان في مثل هذا الخيال راحة نفسية لا بأس من أن يستمتع بها . وقد يجد فيها إيحاء لعمل الغد ، أو تنشيطا للذهن . كما قد يكون في تسطيرها تخفيفا من دسامة دراساتنا ومقالاتنا الفياضة بكثافة الحكم لذلك استسمح السيد القاريء في أن أسير مع الخيال في هذا المقال فأنقل صورة من عالم الأحلام إلى عالم الحس ، والوجود ، إنه خيال قائم على الدراسة العلمية والمخططات الموضوعية .

فقد كنت منذ بضع سنين مدعوا من قبل قريب عزيز لزيارة أوروبا مع إحجام شديد من جانبي لقبول دعوته ، وكنت أردد له أنني أضيق ذرعا برؤية مجموعات من الشباب هناك ، ممن يأتون إلينا أحيانا في سياحة في مناظر مقززة ممن يسمون أنفسهم باسماء شتى (كالهيبز أو الوجوديين) أو غيرهم ، ومازلت أذكر واأسفاه قصة شاب مسلم ذهب في

بلادنا لخطبة فتاة مسلمة ، وخلال انتظاره في حجرة الصالون حتى تحضر العروس لاحظ أخوها انفتاح سروال الشاب الخاطب أو تمزقه حتى لتكاد عورته تبدو ظاهرة ، فلما نبهه إلى ذلك في أدب ، لم يأخذه حياء ، وإنما تبسم ضاحكا وقال : معذرة فإنني وجودي - أي وجدت هكذا وانطلق مع نفسي كما ترى هذه النفس .. وتبسم مضيفا - فلسفة - مذهب مريح ، وقبل أن يسترسل في الحديث أخذ المضيف بيد الوجودي في رفق إلى الباب .

واسترسلت في سبيل الاعتذار لصديقي الذي يدعوني إلى زيارة هناك أم تريدني أيها العزيز أن أزور بلادا لا بأس أن ترى فيها المستر فلان وقد أصبح باسم القانون زوجا لمستر آخر .. ألا يكفي بعض ذلك لاثارة النفس والنفور ، لقد هزتني هذه الصور من الأعماق وأحسست بضيق شديد لما أصاب كثيرا من الناس ، وصدفت نفسي في هذا المساء عن طعام العشاء فقمت إلى فراشي مبكرا ، وما أن أخذني النعاس حتى وجدتني في الطائرة وصوت المذيع فيها يطلب شد الحزام على البطون ، وحمدًا لله على سلامة وصولكم الى لندن في الساعة الخامسة من صباح اليوم الأول من إبريل عام ٢١٠٠ ميلادية وشكرا ، وكان هناك اختلاف في الزمن يقدر بنحو ثلاث ساعات بحكم اختلاف الأماكن .. وتدل الأوراق التي كنت أحملها انني موفد لحضور مؤتمر رعاية الأيتام ، وقد سرني كل السرور أن يقام في لندن مؤتمر يحمل معنى من معاني التكافل الانساني وقد ظننت أنه سيكون في انتظاري بالمطار مرافق ، وخشيت أن يكون ذلك المرافق المكلف باستصحابي فتاة أو سيدة فقد تعودوا ذلك كثيرا ، وهي صحبة أنفر منها بحكم ديني ، فإنه ما اجتمع رجل وامرأة إلا حضر الشيطان ، وليس المهم أن يحدث مالا يحمد عقباه أو لا يحدث ، وإنما المهم هو التحذير الاسلامي ، ولكن أسعدني أنه ما إن خرجت من باب المطار حتى وجدت في استقبالي شابا أنيقا ذا لحية خفيفة ، قدم إلي نفسه باسم بكر قلت تعني بيكر شكرا لك يا صاحبي العزيز مستر بيكر .. فقد ظننت أن ذلك لابد أن يكون اسمه .. ولكنه تبسم ضاحكا في حياء وقال بل بكر ، فاعتذرت وتبادلنا الترحيب ، ورأيت في ساحة المطار مئذنتين جميلتين لمسجد كبير ، فقلت مستأذنا أحب أن أصلي ركعتين سنة المسجد وتحية الوصول إلى بلدكم ، فقال مرافقي السيد بكر إنه سيصلي معي ، وقد هالني أن رأيت المسجد مزدحما بعشرات من القوم ربما لأننا كنا عقب صلاة الفجر ، ورأيت كثيرين قد وضعوا قبعاتهم جانبا واسترسلوا في خشوع ووقار في ذكر مجيد بتلاوة اسماء الله الحسنى بأصوات خاشعة عذبة كأنها دوي النحل ، ثم انطلق بي صاحبي في سيارته إلى الفندق كي أنال قسطا من الراحة ، وقال إنه سيمر على الفندق ظهرا فشكرته وانصرف ، ولكنني لم أجد رغبة في النوم فقلت في نفسي أجول وحدي في المدينة ، وكنت أحمل في أوراقي خريطة قديمة وقد نسيت أن

الزمن قد تقدم أكثر من مائة عام ورأيت في الخريطة القديمة علامات تشير إلى أماكن تسمى بنوادي العراة فاشمأزت نفسي .. عراة !!؟ إن الدواجن أكرم من ذلك فإن لها على الأقل ريشا يسترها ، والحيوانات لها فراء ، حتى القطط يسترها شعر جسدها .. وأخذت أردد .. ماكان ينبغي أن ينحط الانسان إلى هذا الدرك ، ولما جاءني بكر وقدم إلي مصحفا هدية لقدومي مع برنامج المؤتمر ، وقد تبسم ضاحكا عندما سألته مستنكرا أن يكون هناك ناد للعراة . فقال لقد نسيت أن الزمن قد تقدم بك مائة عام أو أكثر ، ثم أضاف نعم كان ذلك واأسفاه في عهد جاهلي مضى ثم أشار إلى صورة كبيرة معلقة على الجدار لشاب عربي وقال إنه عبدالله المهدي جاء لأكثر من مائة عام داعية لدين الله ، وانضم إليه كثيرون ، ومد الله في عمره ، وبارك إخلاصه ، حتى صرنا إلى بعض ما رأيت ، وستجد صورة عبدالله المهدي كثيرا في أماكن كثيرة ، حتى البيوت لقد انتقل إلى رحمة الله من ثلاثين عاما ، ونحن نحتفل حتى في بيوتنا بذكراه ، قلت وماذا تم في أمر نوادي العراة ؟ قال منذ خمسين عاما أعطيناهم مهلة للهدى ، ثم هدمنا ناديهم ، وحاول بعضهم الفرار إلى الأحراش الاستوائية ، ليمارسوا هوايتهم الشيطانية ، فطوردوا هناك شر طرده ولم يعد لهم ذكر .

وحاول بكر الصالح أن يمزق الخريطة القديمة فقلت : معذرة دعها معي ، فإنني أريد أن أقارن ، ثم قلت في حياء : إن في الخريطة أشياء أخرى ، ووضعت أصبعي على نقطة ، ووجدت خجلا في لساني أن يتلفظ ، فقال : نعم كان هنا ناد للفتيات الحبليات . ضربت يدا بيد مرددا لا حول ولا قوة إلا بالله ـ الفتيات ـ الحبليات ؟! قال ذلك زمن قد مضى وسترى بعينيك أشياء جديدة ، وركبنا طائرة صغيرة حطت بنا بعد دقائق في ساحة دار كبيرة ، كان أهلها يصلون الظهر في جماعة ، فاندمجنا معهم في الصلاة ، وبعد الصلاة انتحينا جانبا في إحدى الغرف ثم ضغط زرا صغيرا في الجدار فبدت علي شاشة في مواجهتنا صورة فتاة محجبة وقال : هذه إحداهن ـ قلت : إحدى ماذا ؟ قال : ما كنت تراه على الخريطة من نادي الحبليات ، هذه صورة إحداهن وقد انتقلت إلى رحمة الله من عشرات السنين ، وسترى وتسمع شريطا مسجلا منذ ذلك الزمن ، وظهرت صورة عبدالله المهدي يتحدث إلى الفتاة المحجبة القابعة إلى جواره ، قلت لمحدثي : إنك تريني التسجيل من نهايته . قال : نعم ـ ذلك أنني رأيت الفتاة تبكي ربما من يقظة ضمير بعد أن سمعت مواعظ الشيخ من قبل مرارا ، إن الفطرة النقية كامنة في نفس كل إنسان كما خلقها الله سبحانه ، وقد يحجبها الهوى والشهوات إلا أن يشاء الله فتعود بالتوبة النصوح والادراك السليم ناصعة بيضاء كما خلقها أول مرة ، كانت تسأل الشيخ هل يقبلني الله ويعفو بعد كل ما كان مني ، فتبسم الشيخ في حنان وهو يردد قول الحق

سبحانه : (**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما**) « النساء/ ١٧ و ١٨ »

وامتلأت عينا الفتاة بدموع الشكر وهي تقول : صدق الله العظيم . قلت لمحدثي : ترى كيف كانت بداية الانحراف ؟ قال : التمزق العائلي ، وخلوة الفتيات بالشباب دون رعاية أو رقابة أو توجيه حكيم ، فنشر الشيطان على الجميع مظلته واحتضنهم في حظيرته ، والنفس بطبيعتها أمارة بالسوء ، إذا خرجت من حصون العفة ، وهكذا كان ويكون الفساد والضياع ..

ثم مرت فترة صمت قال بعدها : يحدث ذلك غالبا بعد الحروب وكان بعض ما رأيت من ويلات الحرب العالمية الثانية حين تهدمت كل القيم وامتلأت نفوس الشباب بالمرارة فكان الانطلاق البهيمي كأنه احتجاج على ما أصاب الانسانية من فساد وجدوا فيه متعا جسدية لأن أمر الروح كان قد انتهى ، وأطلقوا على أنفسهم « الهيبز » ورما تعني في زعمهم السعادة الباقية من حطام الأهوال .

● ● ●

وعاد بي محدثي بكر الى التسجيل حيث ظهرت جموع غفيرة من الفتيات والشباب ، وقد أحاطوا بالشيخ الداعية وفي عيون الجميع حياء وندم ، لقد عرفوا الحق وعادوا إليه وقاموا جميعا إلى الصلاة فقد صاروا مسلمين .

شكرت صديقي وانتقلت معه إلى حديث آخر كان يهمني كثيرا عن إخوة لنا في إفريقيا قد أصابهم الجفاف وندرة الماء وقلة الزرع والنبات وموت الملايين من العجزة والنساء والأطفال ربما كنت أفكر في جمع تبرعات لهم من خلال المؤتمر .

فضحك صاحبي وقال : إنك نسيت أنك في العام المائة بعد الألفين إن ما تتحدث عنه ذهب مع الزمان .. إن إفريقيا الآن هي سلة القمح لكل العالم ، قلت متعجبا ؟ ماذا ؟ إفريقيا ! سلة القمح لكل العالم !! قال نعم .. نعم .. من أكثر من خمسين عاما ربما في العام السابع والخمسين بعد الألفين اتحدت كل بلادكم تحت شعار عملي للاكتفاء الذاتي للغذاء ، وتمت دراسة خصائص الأراضي في كل منطقة ، ووجدوا لديكم مئات الملايين من الأرض الخصبة ، وبخاصة في إفريقيا فكان يا صاحبي ما أشرت إليه من أنها أصبحت سلة القمح لكل بلاد العالم فسبحان مغير الأمور والأحوال ، ثم صاحب بكر الذي كان يسمى المستر بيكر سابقا يقول : تذكر قول الله سبحانه : (**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا**) الجن/ ١٦ و ١٧

قلت صدق الله العظيم لقد عادوا

إلى التضامن والتآخي الحق ، فانفتحت لهم أنوار البصيرة ببركات الله ، وحق فيهم قول نوح لقومه كما تقول آيات الله (.. **استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**) نوح/ ١٠ ـ ١٢

● ● ●

اسعدني كثيرا ماصارت إليه الأمور في العام المائة بعد الألفين وأشرقت في نفسي أنوار الأمل الذي كان قد خبا . وقد علمت من محدثي أن الأمور لم تقف عند هذا الحد . قال سعيدا مستبشرا . بلادكم هي منبع النور لنا لذلك أسعدني تقدم : « التكنولوجيا » العربية واستخراجكم لكنوز معادنكم ، لقد أصبحت صناعاتكم بحيث صارت اليابان تلهث في المنافسة معكم ، تود بكل جهد اللحاق بكم ، قلت سبحان الله ! لقد أشعت السرور في نفسي بما ذكرت غير أنني مازلت أرى أنني كمسلم مأمور بالجهاد في سبيل الله ، واذكر أن من جهز غازيا فقد غزا ، فهلا نقدم ورقة عمل للمؤتمر لجمع بعض تبرعات للاخوة مجاهدي أفغانستان الذين ديست أرضهم ، وهي أرض إسلامية ومتى حدث ذلك فقد صار الجهاد فرض عين على كل مسلم .

قال صاحبي : إنك تنسى التاريخ دائما .. إنك ما تنفك تذكر ما قد مضى منذ عشرات الأعوام وعفى عليه الزمن ، يجب أن تعيش الحاضر العام المائة بعد الألفين ـ فعن أي أفغانستان تتكلم ..؟ لعلك تعني أفغانستان العظمى .. لقد غزت منذ خمسة أعوام ثلث الأراضي الجنوبية من روسيا، والهيئة العالمية العامة وأعني ما كان يسمى بهيئة الأمم المتحدة توالى اجتماعاتها بناء على شكوى روسيا لاقامة هدنة مع أفغانستان العظمى .. إن مؤلفات عديدة تصدر الآن تباعا بلغات شتى عن تحليل أساليب الانتصار الأفغاني ، ولكن ليس إلا فضل الله مع المخلصين وصدق قوله العظيم : (**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون * إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين**) الانبياء/ ١٠٥ و ١٠٦ . ولاتنسى كذلك قوله تعالى :(**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون**) القصص/ ٥ و ٦

● ● ●

امتلأت اعجابا بما صار إليه مستر بيكر ، وصحوت من نومي مشرق الوجه سعيدا أقول : ليس بعيدا على الله القادر على كل شيء أن تتحقق الأماني ما صدقت النيات ، وصلح العزم واشتدت الارادة وسارت الأمور على ما يحب الله ، والمثل يقول إن طريق الألف ميل يبدأ بالخطوة الأولى .. فهل بدأنا ،،



للاستاذ / محمد محمود متولى

إن الناظر في أحوال المسلمين اليوم يجد أن لديهم فكرا غير منكور ، بعضه نظري في الآداب والقانون وعلوم النفس والاجتماع .. الخ ، وبعضه في الدراسات العملية التطبيقية كالهندسة والطب وغيرها ، وهم في العلوم النظرية لم يصلوا بعد ـ إلا نادرا ـ إلى المستوى العالمي وما وصلوا إليه منه مجحود فضله لعدم التعريف به تعريفا جيدا ، ولأن الذي يقرر العالمية لجان للصهيونية فيها سيطرة كبيرة كجائزة نوبل مثلا .

وفي الدراسات العملية يملك المسلمون عقولا مبدعة تزخر بها مواقع الصناعة والعلم في أماكن كثيرة من أوربا وامريكا ويقدر عدد علمائنا في هذه الناحية بما لا يقل عن ثلاثمائة الف عالم وبالاضافة إلى ما سبق فعندنا طاقات بشرية هائلة ، واراض شاسعة بها بحيرات وانهار وبحار مع مواد خام يمكن لو أحسن استغلالها ان يتغير حالنا من مستورد إلى منتج ومن دول نامية إلى دول متقدمة .

وبديهي أن هذا الذي لدينا يفتقر إلى خطة تربط بعضه ببعض حتى ينشأ التقدم المرجو ، وباديء ذي بدء لابد من إيجاد مناخ الترقي وأعني به الارتقاء الفكري للأمة ، وهو هدف لابد أن توظف من أجله جميع أجهزتها ، في خطة تجعل الكل يعمل نحو الهدف المنشود ، فلا يهدم جهاز ما يبنيه آخر ولا يناقض طريق الغاية التي يوصل إليها الطريق الآخر ، ويوضع في الحسبان توظيف كل امرىء فيما يحسنه ونحن ـ حقيقة ـ مشتتون لا تتضح لمتعلمينا الوجهة وبالأحرى لجاهلينا كذلك ، ويختلط في رؤوسنا الصواب بالخطأ ، ويغلب علينا طلب العلم للمنفعة العاجلة لذلك تأتي قشور الألباب فيها وإن كان فيها لباب فسرعان ماينسي ، كذلك نحن نطلب مع العلم الغلبة فيصبح سلاحا للتفريق أكثر مما هو سلاح للتجميع ، ونريده زينة نجمل بها أنفسنا فهو للوجاهة في أحيان كثيرة ومن أجل هذا نكتفي بقليله عن كثيره وبسطحيه عن عميقه فيصبح من الكماليات لامن الضروريات ويكون شأنه شأن قطع الاثاث التي تجمل بها البيوت والدول الاسلامية ـ على كثرتها ـ مناحي شتى وطوائف لا تتجه إلى قبلة علمية واحدة تحت سطحها ركود لا يبين منه حركة ولا يموج بالاضطراب الذي يسبق النهضة وأين حالنا الآن مما كان في الفترة من (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠) كانت هناك حركة بعث علمي وجدت استجابة شعبية فأفرزت أبرز الأسماء في عالمي الأدب والعلم كالرافعي والعقاد وشوقي وحافظ ومشرفة وعلي ابراهيم والزيات والطنطاوي ...

وهناك ماافرحته الإرادة الاستعمارية التي قسمتنا دولا ودويلات عصبيتنا لها ـ مهما قلنا ـ اكثر من عصبيتنا للإسلام لذا نحن نطلب الحق لأنه قول زيد او عمرو من هنا أو هناك ويتصدر صفوفنا أناس كان منهم أعلم من أساتذتهم يستحيون ان يجلسوا للتعليم أو يتصدروا للفتيا ، كما نطلب العلم لأنه جاء من الدولة الفلانية ونرفضه لانه جاء من غيرها متفاخرين بجنسيته ، فهلا تذكرنا ان العلم لا وطن له وأن جنسية المسلم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وألا يدور بخلدنا ان الأعاجم والموالى بعد إسلامهم ذهبوا بثلثي العلم إن لم يزد ، فاجأني احد الطلبة بسؤال عن شعب ما وهل هو عربي ؟ وأحببت ان اختصر الطريق وأقطع الملاحاة وأميت النهاجي بين أبناء الأمة الاسلامية فماذا نحن جانون من تصغير كل منا للآخر ، فقلت له يا أخي هل تعرف قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها» « اخرجه الترمذي في كتاب العلم » .

وقلت له : يا بني إن العلم ليس جاها يستمد من جنس شريف او من نظام حكم . والعلم الذي هكذا علم محكوم بفنائه فهو زائل بزوال الجنس وفان بفناء ذلك النظام ، وقد كان ابن تيمية رحمه الله يقول لمادحه : أنا رجل ملة لا رجل دولة ، وأئمتنا في الفقه والحديث خير شاهد على أن أبانا الاسلام ولا أب لنا سواه وقد ذهبت دول وبادت اجيال وبقي أبو حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رحمهم الله هم . علماء هذه . الامة وأعلامها وقل مثلما قلت هنا في حق حفظة السنة ورواتها وهم جميعا ارفع من الجنس وأعلى من العصبية وعلمهم المتجرد لله جعل النفع بهم عاما

والفائدة شاملة فنحن يجب علينا أن نطلب الحق لذاته لا لأنه قول هذا أو ذاك فمعرفتنا به تعرفنا بأهله كما قيل : لا تعرف الحق بالرجال ، ولكن اعرف الحق تعرف اهله .

وتتطلب النهضة الانتفاع بكل متاح نافع من الفكر ، ولذا فإني اعتب على بعض الأخوة حبس أنفسهم على فكر بعينه لدرجة تجنيب مكتباتهم التعامل مع كتاب مسلمين ذوي بلاء مشكور من أجل الاسلام وهم يقولون بصراحة : نحن لا نبيع مثل هذه الكتب بينما يبيعون كتبا لغير مسلمين وأذكر أنني احتجت لبعض الكتب من تأليف العلامة الشيخ ابي زهرة والعالم الفاضل الدكتور محمد عبدالله دراز رحمهما الله وكتبا للشيخ محمد الغزالي ـ ابقاه الله ـ فقيل لمن ارسلته : اسفون . وعندما نكون على المستوى الرفيع لفهم الاسلام سوف نعطي كل ذي حق حقه ونعرف لكل مجاهد سابقته .

إن هناك عللا من داخل المعسكر الاسلامي تحول دون التجمع قد تكون آراء خاصة أو شهوات سيطرة وزعامة خاصة أو أهواء ، أو النفرة من التلاقي على رأي والتجهم للتآخي والأخوة كما أن هناك عللا تأتي من طوائف إسلامية عميلة للشرق والغرب ، أو طوائف غير مسلمة في داخل الوطن الاسلامي ، أو معسكرات عالمية يهمها ألا يتجمع المسلمون تحت راية واحدة وعلى هذا فالتوجه إلى قبلة علمية واحدة هو أولى درجات الرقي والنهضة .

وهناك عامل آخر له آثاره العظيمة في بناء النهضة وذلك هو العامل الخلقي فهو اساس قويم ومتين للبناء الحضاري ، والحضارة لا يمكن أن تقوم بلا خلق مهذب وسلوك قويم ، وإن وجدت مظاهرها تحولت في أيدي الفارغين من القيم إلى تهارش حيواني وسباق لتحصيل المتعة وسعي إلى الغلبة يظفر فيه أقوى المتصارعين نابا وأصلبهم ظفرا ، فأما الأخلاق فهي الدافع إلى التواصل والتراحم والإتقان والتعافي والتماسك وذلك يجعل الانسان محلقا وما في آفاق السمو والرفعة والأمم في أطوار بنائها ينبغي ان تجنب عوامل الهدم كما يجنب الصحيح المرض والمريض ما يزيده مرضا وكما يطعم الطفل لتمنع عنه العدوى ، والانسان المهزول الخلق لا تجدي بين يديه أعظم الآلات ولا أضخم المنشآت ، والناظر إلى أحوالنا يجد أن عوامل الهبوط أقوى من عوامل النهوض فلقد ملكنا الفيديو وأفلام الخلاعة قبل ان نملك بناء خلقيا ثابتا ، والخطأ كل الخطأ ان يظن أن الاخلاق من الكماليات او مواد الترف ، وإنما هي في الاسلام ثمرة العقيدة المتمكنة في القلب .

والايمان والتقوى مقترنان في القرآن الكريم بمعية الله وإحسان العمل يقول تعالى « **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** » الأعراف/ ٩٦ . ويقول « **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » النحل/ ١٢٨ . ويقول الرسول الكريم فيما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما :

« لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ، وكان يقول : «إن من خياركم أحسنكم أخلاقا » رواه الشيخان والترمذي ويقول الإمام ابن القيم : «الدين كله خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين» .

وعلى هذا فإن قوة الأخلاق قوة للأمة ، وارتكاسها ارتكاس لها ، وإذا انتكست أخلاقنا فلسوف ندمر كل ما تصل إليه ايدينا وعقولنا ، والرجل الشرس الخلق البذيء اللسان الساهر ليله في المعصية المقضي نهاره زائغ البصر والبصيرة يدمر كل ما يوضع في طريقه ولله در القائل :

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا
والقائل : وإذا اصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

فأما العنصر الثالث في البنيان الحضاري فهو : انتخاب العناصر القويمة أخلاقيا ودينيا المحسنة للإدارة والفكر ، المجيدة لفنون القيادة على كافة الميادين ، فهذا من شأنه أن يصلح من شأن أمتنا عن طريق التأسى والاقتداء بأعمال الرجال الشرفاء ، وكما قيل : عمل رجل في الف رجل خير من عمل الف رجل في رجل ، وهؤلاء اغلى من الذهب ، وأندر من الماس وحاجة الأمة إليهم أشد من حاجتها إلى الهواء والماء ، وإذا وجد واحد أو آحاد منهم فإن على من عثر عليه حاكما او محكوما أن يعض عليه . بنواجذه ، ولو أهمله وولى غيره لكان خائنا لله ولرسوله وللمؤمنين وكان ملعونا من الله والناس والملائكة أجمعين .

إن الاسلام يبغض المحاباة في أمر عام أو خاص لأن من شأنها أن ترفع الجهلاء وتخفض الشرفاء وتقدم الخونة وتؤخر الأمناء ، وحين يتقدم من لا يؤهله خطوه للتقدم ويتخلف من يستحق التقدم تنشأ معارك بين الجهل والعلم وبين الشرف والوضاعة يستغل كل ما لديه من اسلحة ولان الرجل النظيف لا يحسن الخداع والمكر فغالبا ما ينهزم لقلة النصير وندرة المؤازرة ويحق قول الطغرائي يندب حظه :

تقدمتني اناس كان خطوهمو .. وراء خطوي اذ أمشى على مهل
ان الحكماء هم الذين يوجهون الدفة في أمريكا وأوربا بل واسرائيل ، ويستعان بهم في فهم مشاكلنا والاعانة على تدميرنا وتأخيرنا ، فأين لجان حكمائنا في شتى المجالات العلمي والعملي منها ، الدنيوي والديني ؟

وأين خططها المقننة من أ ا خطط راشدة رائدة لتقدمنا وجمعنا وحل مشاكلنا حتى نتخلص من الأحكام المعلنة والتفسيرات المختلة ، والنظرات السطحية لحلول المشاكل وحتى لا ينصب الجهلاء والتلاميذ من انفسهم حكاما وقضاة ومفتين في أمور ما أهلوا لها علميا ولا ثقافيا وهناك دعوى عريضة بالعودة الى

النص ، يشتم فيها رائحة إهمال كل ما أثمره العقل المسلم في أوج رشده وقد كان أقرب إلى عصر نزول القرآن منا مع إخلاص القلب ، ونقاء الفكر والحرص على نصرة الاسلام أكثر منا ، وقد أفرز ذلك العقل حين أعمله أبرار السلف في النصوص انضج وأبدع ما انتج من آثار قل أن يوجد لها نظير في الثقافات الاخرى .

ومع هذا ترتفع عقائر رجال ونساء بإخلاص او بغرور او بجهل وسذاجة بإهمال هذا كله ولماذا ؟ للعودة إلى النص-يا سبحان الله!إن النص على العين والرأس ولكن ابعد ما هو حسنة من حسناتهم أمرا نريد نحن التبرؤ منه ، وهل يفهم القرآن بدون العلوم التي انشأها سلفنا حوله ، وهل تفهم السنة بلا شروحها : فتح الباري ، عمدة القارىء - شرح النووى على مسلم - عوز المعبود شرح سنن ابي داود ، وتحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي .. الخ .

وهل تفهم الشريعة دون كتب الفقه المذهبي او المقارن وهل تفهم احاديث الأحكام دون ما كتب حولها ؟ إذا قالوا : نعم ، قلت : وأين هم رجالكم المؤهلون للتلقي من الوحيين مباشرة أين هم ؟ أين هم ؟ المسألة يا إخوة الاسلام محتاجة إلى عشرات العلوم وإلى عشرات السنين وإلى مئات الرجال المخلصين - ومن يضمن الا ينشأ لدينا الاف المذاهب التي يحق ان يقال عنها : تزببت وانت حصرم ، أي تصنعت النضج وأنت لم تنضج .

إن ائمة المسلمين فيما مضى كان لهم من طول الباع والمثابرة وبركة الوقت وقلة المطالبة ما ليس لنا ، ولذا فقد فهّمهم الله ما لم يفهمنا في الدين والعلم ، ولا يوجد أمة على ظهر الأرض تنبت فيها نابتة تدعو إلى قطع جذورها عن تراثها ونحن لا نحجر على الفكر ، ولكن نقول : من عنده فضل علم فليضفه إلى ما سلف من علم الأولين ليزداد علمنا ثراء ويزداد اتساعا بدلا من تمزيق علاقة الحاضر بالماضي ، وسد الطرق على شبابنا إلى التراث الاسلامي في أزهى عصور التقدم العلمي والازدهار المعرفي الذي يعد أعظم مفاخر الأمة الاسلامية .

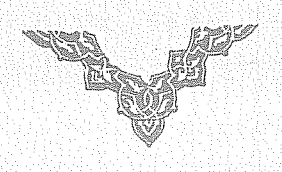
ثم هذه الخلافات الممجوجة والمكررة حول أمور عادية تجدها أمامك اينما ذهبت هذا يتحمس للاثبات ، وهذا يتحمس للنفي وتدور الدورة في السؤال عن ما الايمان .. ما الاسلام .. الخ يا سبحانك ربي!أبعد أربعة عشر قرنا مازلنا لم نع ما الاسلام ؟ ما الايمان ؟

ثم لماذا يؤدي الخلاف في الرأي الى تلك القطيعة ، مع أنه ما قطع أبدا الأواصر بين أسلافنا لقد اختلفوا في الفقه ، واختلفوا في الحديث حول التصحيح والتضعيف .. ومع هذا ظلوا أحبابا وأين موقع المختلف عليه مما يعلي شأن أمتنا من توسع في الزراعة وتقدم في الصناعة وملكية لوسائل الدفاع والهجوم والانتاج ،

ان أعداءنا يسعون للتقدم ، والحرب بيننا وبينهم حرب علمية ، في العشرين سنة الأخيرة نشطت الصهيونية حتى أفرزت ما تتحدث عنه الصحف الآن من ملكية الأسلحة النووية ، ونحن مازلنا نجتر ما يؤدي الى الفرقة والتخلف غافلين عما يراد بنا .

يا سادة : إن عمران الدنيا في يد المسلم لا يقل عن عمران المساجد بالصلوات ، واعداد العدة لدحر العدو هدف لا يقل عن الوضوء للصلاة ، فأما الخلاف على أمور لا تقدم ولا تؤخر -وأستغفر الله- بل تؤخر فما فائدته ؟ وليت المسلمين يتفقون على عمل شركات للاستزراع والصناعات التي تقوم عليه ، فيجتمع رأس المال مع العقل المبدع مع العضل المفتول ، لتعمر الأراضي وتندفع الأوطان نحو التقدم وتنشأ سوق إسلامية عالمية بدلا من أن نكون سوقا لكل المنتجين في العالم ، ألا يغار المسلمون من اليابان وكوريا ؟ وهل هؤلاء آدميون ونحن .. أوجن ونحن .. أو عقلاء ونحن .. أم أذكياء ونحن ... أو بات قدرنا أن نظل نمتضع خلافات يمكن نبذها ، لنزرع الحاضر في أرض الماضي ، ونرويه بآمال المستقبل ، ويعمل الايمان مع الخلق ، والدين مع الدنيا ، والعمل مع العقل ، حتى يعود للاسلام مجده .

إن الاسلام دين الوحدة، وحدة الاعتقاد ، ووحدة العبادة ، ووحدة الهدف والمصير ، فهل نشك في ذلك ؟ وهو دين تعمير الكون ونظافة الخلق والضمير واعتماد الانسان على ربه وعلى جهده فلماذا نحن متفرقون وللطريق ناكبون .



سيد الاستغفار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيد الاستغفار اللهم انت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا انت .



للشيخ / معوض عوض ابراهيم

إن الذين قضيت اليهم اجالهم ، بعد أن أمضوا حياتهم في الكيد للسنة النبوية ، ابتغاء أن ينطلقوا منها إلى الشغب على القرآن الكريم كما أخبر الله تعالى عن أوائلهم ، فقال : (**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**) « فصلت / ٢٦ » قد أحبط الله سعيهم وأزهق باطلهم ، وصدق الله العظيم .. (**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون**) « الأنبياء/١٨ »

لقد ذهب هؤلاء وأولئك ، وبقي القرآن طلق المحيا ، ندي الراحة وبقيت السنة المطهرة كما قال الله تعالى (**لتبين للناس ما نزِّل اليهم**) « النحل/٤٤ » وجعل الله هؤلاء وأولئك أحاديث مستوجبين الاتهام والملام وسوء الأحدوثة ، وأحاديث يستبين من خلالها الأسوياء عصرا

بعد عصر إن من هؤلاء من انفعل في افتراءاته بحقده الموروث على الاسلام، ومنهم من ألغى عقله، وعطل فكره، وحصر فيما رأى الآخرون نظرة، وردد كالببغاوات كلام من غرهم فكرهم الوافد من وراء الحدود، دراسات سميت بالاستشراق، وهي وَهْمٌ كبير، وفهم غير مستنير، ودعاوى لا يسندها برهان صحيح فهم منها كما قيل،

« والدعاوى إن لم تقيموا عليها
بينات دعاتها أدعياء »

وفي التراث الجليل كفاية واقتدار على تعرية أدعياء العلم من المستشرقين ومن لف لفهم، .

وفي علمائنا المعاصرين، من أفضى منهم إلى مولاه، ومن نسأ الله في حياتهم حتى اليوم، من كروا على ضلالات المضلين، فمزقوا عنها أغشية الزور فبدت على هوانها وراء ثوب هو أشبه شيء بثوب الرياء الذي يشف عما تحته.

ورحم الله الدكتور الشيخ محمد عبدالله دراز، والدكتور الشيخ مصطفى السباعي، فقد تركا أبرك الأثر في الدراسات القرآنية والحديثية، وخلفا أكرم الحوار في مؤتمرات دولية، وفي ندوات وبحوث يذكرها لهما الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا، وما أنسى حديث العلامة أبي زهرة، نضر الله وجهه في جواره، وهو يروي خبر اليوم الأخير من حياة الدكتور دراز في مؤتمر لاهاي بباكستان عام ١٩٥٨ فقد كان فيه سيفا سله الله على أعداء السنة في جلسة صباحية، وأخرى مسائية لم يلبث أن انتهى منها وصلى العشاء وأسند ظهره إلى سريره حتى استأثرت به رحمة ربه-رضي الله عنه ـ وما أكثر ما غفلنا عن « السنة » بخاصة وعن « التراث بعامة » حتى استنسر بيننا البغاث، وسطا على كراسي الأستاذية في جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية دخلاء على علوم القرآن والسنة واللغة والأدب والتاريخ.

ومنحهم الاستعمار الذي منيت به بلاد الاسلام وديار العروبة ردحا من الزمن، قدرة على التسلل والتغلغل والاجتراء على مصادرنا الكريمة، وتراثنا العظيم، والاتشاح بأردية التحقيق والبحث العلمي، وما وراء ذلك من ألقاب عششت في رؤوس لا تمتنع أمام المغريات، وماذا أذكر وماذا أدع ؟ .. إن حدثا غريبة تخايلني كلما ذكرت فترة عملي في بيروت بين عامي «١٩٥٦ ـ ١٩٦٢م » فقد زرت مع صديقي أبي هشام الشريف أحد القضاة الأفاضل، وكان مع مركزه الكبير ومكانته في المجتمع البيروتي يستكمل دراسات عليا في الجامعة اللبنانية، ولا بأس فنحن في الاسلام نطلب العلم من المهد إلى اللحد، ونأخذ الحكمة أني وجدناها فنحن أحق بها

لكن الغريب في الأمر أن محاضرات في « السنة النبوية » كانت تلقيها عليهم أستاذة يهودية، قد عرفنا أثرها

المنكر ، من خلال حديث دار بيننا وبين القاضي الفاضل فيما يردده من كلامها عن « تدوين السنة » !!

وحقيقة هذا الموضوع مقنعة للذين ينصفون الحق من أنفسهم ، وكيف نطلب الشيء ممن لا يجده ـ وفاقد الشيء لا يعطيه ـ كما قالوا .

ورضي الله عن الامام البخاري فقد اخرج بسنده من حديث معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» ..

وفي موازين حسنات « ندوة العلماء في لكهنو ـ الهند ـ. العددان الأول والثاني من المجلد السابع والعشرين من مجلة البعث الاسلامي فقد أفردت « الاستشراق » بالدراسة » وتناولته من أكثر جوانبه ، وإن كان في اعتبارها ذلك في أعداد سلفت على نحو يقدم الأضواء الضرورية للذين يريدون أن يكونوا على بينة من مؤامرات الأعداء وأفراخهم على مقرراتنا الاسلامية ، وأمتنا الوارثة »

وقد ألمح إلى كل ذلك الأستاذ « سعيد الأعظمي » في مقدمة المجلد الآنف الذكر ، وأجمل بحوث « مجمع الهند الاسلامي » .. « ودار المصنفين » في الاستشراق وأبرز انصاف العلامة السيد أبي الحسن الندوي لمن أنصفوا الاسلام وكتابه ، والسنة وعلومها ، وكيف سلط أضواء الحقيقة على الذين خانوا أمانة العلم ، وخالفوا وسائل النظر واتبعوا أهواءهم **(ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين)** القصص/ ٥١

يقول الأستاذ الأعظمي في مقدمته « لا ننكر أن عددا من المستشرقين قد تكشفت بصائرهم من خلال أعمالهم الدراسية وتغلب نور الايمان على ظلام التحريف والتضليل ، فاهتدوا بتوفيق من الله تعالى إلى هدى الاسلام ، وصدرت عنهم دراسات تمثل واقع الاسلام الصحيح في جميع مناحي الحياة ، ونفت عن التاريخ الاسلامي ، والسيرة النبوية جميع الأكاذيب والأباطيل التي حرص عليها المستشرقون وأمثالهم» ، وقال « إن الجهود الاستشراقية قلما خلت من النيل من قضية الاسلام الخالدة ، وتاريخه الناصع ، وهو ينظر في كل ذلك إلى قول السيد الندوي في حديثه في الندوة ومنه : « وكثير من هؤلاء المستشرقين يدسون في كتاباتهم مقدارا خاصا من السم » ويحترسون في ذلك ، فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم حتى لا يستوحش القارىء ولا يثير ذلك فيه الحذر ..

وقرر العلامة الندوي أن أسلوبهم ذلك أشد خطرا من أولئك الذين يستعلنون بآرائهم الحاقدة الواجدة وافتراءاتهم التي تجوز على البسطاء وأوساط الناس ..

وقد سمى السيد الندوي طائفة من المنصفين ، وأسماء نفر من الأدعياء ، وذكر جهودا كبيرة واجهت الاستشراق من غير المسلمين ومن علماء هنود وعلماء عرب ، مازال بعضهم يمتشق السلاح ويمسك بالقلم لدحض الباطل ، وإحقاق الحق والتعريف البصير بالاسلام ، بعد أن

أفضى إلى دار الخلد سلف لا يجزي على عطائهم للقرآن والسنة إلا الله تعالى ، فهو لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولا يظلم مثقال ذرة ، **(وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما)** النساء / ٤٠

إن الهجمات الشرسة على القرآن والسنة وعلومهما ، وعلى الرسول والرسالة والمسلمين في خير العصور لم تتوقف من أزمان سحيقة ، وإن كانت تستخفي أحيانا لاعادة الكرة وإحكام الوثبة ، واختيار الموقع الأنسب ، ولكنها لم تزد مصادرنا ومواريثنا الزاكية إلا تألقا وإشراقا وحفزا لهمم الأبرار ، وشحذا لعزائم الأكفاء على التصدي لأعداء الحق ودحض مفترياتهم ، في بحوث تساوق الزمن وتجددها الأيام بما أصابت من بركات القرآن ويمن السنة ووفاء مؤلفيها لدينهم كتابا وسنة ، وهي تضاعف من إكبار العارفين ، وتستوجب أن نتقبلها بقبول حسن وهي تعمق فينا إيماننا بجلال القرآن وكمال السنة وشرف إلهيتهما على التفاوت بينهما في ذلك ، إلى ميزة الاسناد ودراسة الرواة وضرورة الجرح والتعديل بمنهجهما الاسلامي المنبثق من إحقاق الحق **(ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)** النساء/ ١٣٥ لا لمجرد المدح والقدح ، وإشقاء أنفس لا تهتدي بهدي الله ، تعس من ليس له قلب يعرف به المعروف ، وينكر به المنكر ،،
كما قال الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه ..

والحاجة ماسة إلى تناول كتب علوم القرآن والسنة لنرى أعاجيب ما أعان الله عليه ، وهدى إليه أوائلنا ومن تبعوهم بإحسان في أشرف ميدان ،

مما يدع دعاوي الأدعياء هباء تذروه الرياح ، فما تركوا طعنا إلا وجهوه للقرآن ولا تشكيكا إلا تناولو به السنة ، رواية ودراية ، متنا وسندا ،

وحديثهم عن السند مراد للمتن الذي يجدون عليه في قلوبهم كحز المدى ، وقد توسلوا بأساليب ووسائل لا تعرف دلالات الألفاظ ، ولا قيم النصوص التي اخذوا بعضها وتركوا بعضها ،

كالذين جعلوا القرآن عضين وشبيه بهذا التقطيع للكلام ، وأخذ ما يحسبون أنه يخدم مرادهم ، تعويلهم على مصادر لا يؤبه بها من صنيع من لا يتقون الله ، ومرة أخرى تعود بي الذاكرة إلى عهدي في بيروت حين نمى إلينا خبر بعض المحاضرين في التفسير وعلومه ، وهو نصراني كان يومئذ يشغل منصبا مرموقا في الاعلام ..

فلما روجع في هذا اعتذر بمراجع ، لم يقع له غيرها ، ولو أراد الحق لوجد دلائله ووسائله ولكنها الأغراض والأمراض والهوى المتبع والعياذ بالله ..

: وإنها لدعوة إلى الاعتصام بالسنة التي تأذن الله بحفظها وهو سبحانه يتأذن بحفظ القرآن الكريم في قوله تعالى **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر/ ٩ .

وجلت أنعم الله الذي قيض لحقه حراس الأرض فيما قال الامام الثوري « الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض » .

ورحم الله الامام الدار قطني فهو يبرز معنى حراسة علماء الحديث فيقول : يا أهل بغداد لا تظنوا أن أحدا يستطيع أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حي !!

وهي أثر من آثار اقتبسها الدكتور **نور الدين عتر أستاذ التفسير والحديث** بجامعة دمشق في كتابه « منهج النقد » في علوم الحديث .

ابتدأها بقوله : ولقد كان حقا ما شهد به العلماء من تحقيق هذا الغرض العظيم : وهو تقديمهم تراث السنة النبوية صافيا نقيا ..

فقال عبد الله بن المبارك حين سئل : هذه الأحاديث الموضوعة ؟!

فقال تعيش لها الجهابذة : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر/ ٩ .

ورحم الله الأستاذ محمد أسد النمسوي المسلم فقد قال في كتابه :

« الاسلام على مفترق الطرق : لقد كانت السنة مفتاحا لفهم النهضة الاسلامية في أكثر من ثلاثة عشر قرنا

ونحن الآن في العصر الأول من القرن الخامس عشر للهجرة ـ فلماذا لا تكون مفتاحا لفهم انحلالنا المعاصر ؟!

وقال : إن العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عمل على حفظ كيان الاسلام وعلى تقدمه ، وإن ترك السنة هو انحلال الاسلام ، لقد كانت

السنة هي الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الاسلام ، وإنك اذا أزلت

هيكل بناء ما أفيدهشك بعدئذ أن يتقلص ذلك البناء وكانه بيت من ورق ..!!؟

وطوبى لمن يحيون بالقرآن والسنة ويمضون في أيمن ركب بين الساهرين عن ثغورهما ، الذائدين عن حدودهما بما يملكون من حول وامكان !!..

أبو العتاهية :

فيا عجبا كيف يعصى الاله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

قرأت لك

صلاة الاستخارة

يسن لمن أراد أمراً من الأمور المباحة [1] والتبس عليه وجه الخير فيه أن يصلي ركعتين من غير الفريضة ولو كانتا من السنن الراتبة أو تحية المسجد في أي وقت من الليل أو النهار يقرأ فيها بما شاء بعد الفاتحة ، ثم يحمد الله ويصلي على نبيه ﷺ ثم يدعو بالدعاء الذي رواه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها [2] كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : « إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : « اللهم أستخيرك [3] بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علامُ الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر [4] خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : عاجل أمري وآجله [5] فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ، ثم ارضني به » قال : ويسمي حاجته : أي يسمي حاجته عند قوله : « اللهم إن كان هذا الأمر » .

ولم يصح في القراءة فيها شيء مخصوص ، كما لم يصح شيء في استحباب تكرارها . قال النووي : ينبغي أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له ، فلا ينبغي أن يعتمد على انشراح كان فيه هوىً قبل الاستخارة ، بل ينبغي للمستخير ترك اختياره رأساً وإلا فلا يكون مستخيراً لله ، بل يكون غير صادق في طلب الخيرة وفي التبري من العلم والقدرة وإثباتها لله تعالى ، فإذا صدق في ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه .

---

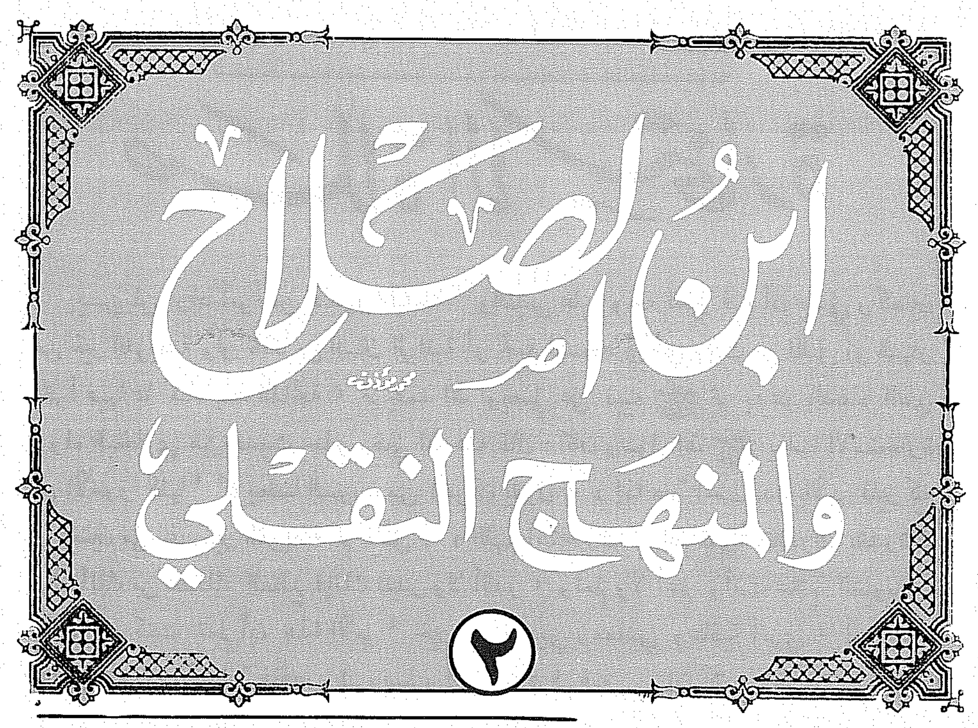
١ – الواجب والمندوب مطلوب الفعل ، والحرم والمكروه مطلوب الترك ، ولهذا لاتجري الاستخارة إلا في أمر مباح .

٢ – قال الشوكاني : هذا دليل على العموم وأن المرء لا يحتقر أمراً لصغره وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه ، فرب أمر يستخف بأمره فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم أو في تركه ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليسأل أحدكم ربه حتى في شسع نعله » .

٣ – أستخيرك : أي أطلب منك الخيرة أو الخير .

٤ – يسمي حاجته هنا . ٥ – يجمع بينهما .

من كتاب فقه السنة



للدكتور/ محمد الدسوقي

تناولت في دراسة موجزة نشرتها الوعي الغراء في عدد رمضان المنصرم حياة الامام ابن الصلاح وآثاره ومنزلته في علوم الحديث،ووعدت في تلك الدراسة بالكتابة عن الدور الذي قام به هذا الإمام في التأصيل لقواعد المنهج النقلي أو التاريخي ... ويجدر قبل الكلام في هذا التعريف العام بذلك المنهج الذي يعد أساس المناهج العلمية كلها .

المنهج النقلي :

لا سبيل الى دراسة الماضي والوقوف على معالمه الا عن طريق ما خلفه من آثار ، وهذه لا يمكن التعويل عليها في دراسة الماضي دراسة أقرب الى الحقيقة الا اذا كانت صحيحة النقل والرواية ، سليمة من شوائب التحريف والتصحيف والتزييف ، ومن ثم كان المنهج النقلي المعيار الذي توزن به تلك الآثار،فيثبت صحتها ويوثق مصادرها ، أو يكشف عما قد يكون بها من نقص أو خطأ أو تشويه .

وآثار الماضي قد تكون أشياء مدونة باليد كالكتب والرسائل ونحو هذا وقد تكون أشياء مصنوعة كالعملة وفنون العمارة ، ووسائل العيش المختلفة .. الخ .

وتعد الآثار المدونة أكثر وفاء بدراسة الماضي من غيرها ، لأنها يمكن أن تقدم تصويرا كاملا أو شبه كامل للأحداث التاريخية والتطورات الفكرية والحضارية بيد أنها مع هذا أكثر عرضة من سواها للتشويه ، أو التزييف ،

ولا تسلم من المشاعر الذاتية لمن دونها ، ولهذا وضع علماء المنهج النقلي ضوابط متعددة يرجعون اليها في الحكم على صحة تلك الآثار ، أو عدم صحتها ، ولا تخرج هذه الضوابط عن التحليل والتمحيص للآثار من حيث الشكل والمضمون ويسمى التحليل من حيث الشكل بالنقد الخارجي على حين يطلق على التحليل من حيث المضمون بالنقد الداخلي أو نقد التفسير .

النقد الخارجي :

تتلخص مهمة هذا النقد في إثبات صحة الآثار المدونة ، وانها ليست محرفة أو منحولة ، وتكاد مهمة هذا النقد تلتقي مع مهمة توثيق النصوص وتحقيقها بوجه عام .
ويتكون النقد الخارجي من عمليتين هما :

أ ـ تحقيق مصدر الأثر المدون .
ب ـ تحقيق نص هذا الأثر .
وتحقيق المصدر يقتضي التعرف على شخصية كاتب الأثر ، والإلمام بتاريخ تدوين الأثر ومصادره .

إن دراسة حياة وثقافة صاحب الأثر ، والاطمئنان الى ان الأثر المدون يدخل في صميم التخصص العلمي لمن دونه يورث ثقة به ، وتعويلا عليه في البحث والاستنباط أما الالمام بمصادر الأثر أو الينابيع الأولى له فإنه يكشف عما اذا كان المؤلف قد شاهد ما دونه ، أو سمعه من غيره ، أو نقله من أثر

آخر ، وهل كان في كل هذا دقيقا في تدوينه ؟ وهل هذا الأثر يرقى الى درجة الأصالة أو أنه صورة أخرى لأثر أقدم منه ، فلا ينبغي أن يعتد به في البحث العلمي ؛ لأنه يصبح مصدرا ثانويا وليس أصيلا والدقة العلمية تقتضي الرجوع الى هذا دون ذاك ، ويتناول تحقيق النص دراسة مقارنة بين النسخ المعروفة للأثر سواء المخطوط منها والمطبوع من أجل تحديد النسخة

الأصيلة أو الأم التي ترجع الى خط المؤلف ، أو المقروءة عليه ، أو المنقولة عن نسخة المؤلف ، أو المقابلة على أصل موثق .. كذلك يتناول هذا التحقيق دراسة الخط واللغة والأسلوب ، والمصطلحات ، فلكل عصر خصائص غالبة في المداد والورق والخط واللغة وما الى هذا ، ومن ثم كانت دراسة هذه الخصائص من أهم وسائل التمييز بين الأثر الصحيح والمنحول .

النقد الداخلي :

اذا كان النقد الخارجي مرحلة تمهيدية في دراسة الأثر المكتوب ، فإن النقد الداخلي هو المرحلة الأساسية في المنهج النقلي أو الوثائقي فهو يستهدف الوصول الى صدق النص التاريخي لا من حيث شكله أو نسبته الى عصر مؤلفه ... وانما من حيث مضمونه ولذا ينسحب مدلول هذا النقد على مجموع العمليات التي يستخدمها الباحث في فهم محتويات النص ، ونقد الظروف التي أحاطت بكتابته .. وهذه العمليات تشمل ما يسمى بالنقد الداخلي الايجابي ، والنقد الداخلي السلبي ، والأول خاص بتفسير النص وبيان غرض المؤلف منه ، والثاني يتعلق بتحليل الظروف التي أحاطت بالمؤلف وهو يدون كتابه ، للتأكد من أمانته ، ولمعرفة الصحيح وغير الصحيح من أقواله .

النقد الداخلي الايجابي :

يقوم النقد الداخلي الايجابي على تحليل مفردات النص ، وصولا الى المعنى الصحيح له ، وهذه عملية لغوية صرفة ، ويساعد على هذا التحليل في دقة أمران :

١ ـ وقوف الباحث على دلالة الألفاظ والأساليب في العصر الذي دون فيه النص .

٢ ـ معرفة المعجم اللغوي للمؤلف عن طريق استقراء آثاره العلمية المدونة ، وملاحظة ما يؤثره في كتابته من المفردات ، وطريقة صياغة الجمل ، واهتمامه أو عدم اهتمامه بالمحسنات البلاغية ..

واذا انتهى الباحث من تحليل المفردات وبيان معانيها مراعيا في ذلك علاقة السياق العام بالمعنى المعجمي ، وأيضا الدلالات الرمزية التي يلجأ اليها بعض المؤلفين ـ اذا انتهى من ذلك قام بالربط بين معاني المفردات ، أو تركيبها ، ليصل الى المعنى العام الحقيقي للنص ، وكيفية تصور المؤلف للقضايا وتعبيره عنها .
وينبغي على الباحث وهو يتوخى تفسير النص أن يكون موضوعيا ، لا يتفيأ من وراء هذا التفسير الانتصار لفكرة ما بعيدة عن روح النص ومضمونه ، لأن توظيف النص لخدمة اتجاه فكري خاص يتنافى مع الأمانة العلمية ، وينأى به عن بلوغ الحقيقة المنشودة .

النقد الداخلي السلبي :

مهمة هذا النقد هي الكشف عن الظروف والملابسات التي واكبت سلسلة العمليات العقلية التى مر بها الأثر حتى دوَّنه صاحبه ، ووصل الينا ، وهل

هذه الظروف تقف الى جانب سلامة الأثر من الخطأ أو التحريف أو انها على العكس تثبت ما فيه من نقص وخداع وتضليل ومن ثم تنهار قيمته العلمية .
ويقوم هذا النقد على قاعدتين أساسيتين هما :

أولا : الشك المنهجي في كل راو ، وعدم الثقة في كل رواية ولو كان صاحبها شاهد عيان .

ثانيا : لا يكفي ان يفحص الأثر في جملته ، بل يجب فحص كل قضية فيه على حدة .
والشك المنهجي يقتضي تزييف كل ما أثر عن الماضي من مدونات ووثائق ، واتهام أصحابها بعدم النزاهة والدقة ، والغاية منه الا نحكم بالثقة على أثر علمي الا بعد الدراسة الدقيقة لصاحبه ، والنقد الفاحص لمحتويات هذا الأثر .

وفحص محتويات الآثار المدونة فحصا جزئيا ودراسة كل قضية من قضاياها على حدة يسلم الى التحقق من صدق المعلومات التي تحتوي عليها هذه الآثار أو كذب بعضها ، أو تزييف كل قضاياها،فصاحب أي أثر قد لا يأخذ نفسه في كل ما دونه بالدقة والأمانة وقد يحاول التأكيد على صحة بعض المعلومات ، وهي في الواقع غير صحيحة ، وقد يحمله سبب ما على
الاختلاق قصدا ، أو ما يشبه القصد ، ومن هنا يجب على الباحث أن يقوم بفحص كل محتويات الأثر المكتوب بالموازنة بينه وبين محتويات الآثار التي تتفق معه في الموضوع ، أو تتصل به من قريب أو من بعيد ، وأن يؤكد هذا بدراسة صاحب الأثر وكل ما يدعو الى الطعن في نزاهته أو يقوده الى الخطأ والوهم ..

ولا تنتهي مهمة النقد الداخلي السلبي عند الاطمئنان الى ان صاحب الأثر كان أمينا وصادقا فيما دونه ، ولم يعمد الى الكذب ؛ رغبة في الحصول على منفعة شخصية ، أو تملقا للجمهور ومداراته اذ على الباحث بعد هذا أن يمحص الظروف والأسباب التي قد تؤدي الى عدم الدقة أو الخطأ والوهم .
وهذه الأسباب على تنوعها ترجع الى ما يلي :

أولا : الحالة العقلية والشعورية لصاحب الأثر .
ثانيا : عدم تحقق الشروط العلمية في الملاحظة .
ويقصد بالسبب الأول أن صاحب الأثر كان ـ وهو يدون مؤلفه ـ متأثرا ببعض ما يؤدي الى الخطأ وعدم الدقة كالغفلة والنسيان والسذاجة ، واختلاط العقل. أما السبب الثاني فيبدو في صور شتى أهمها : الاكتفاء

بالملاحظات الفجة دون التعمق في الأحداث والظواهر وسبر دوافعها وأبعادها ، وعدم تسجيل الوقائع فور رؤيتها أو سماعها ، والاعتماد على الذاكرة في تدوينها .

تلك عمليات نقد النص بنوعيها ، ولا يغني بعضها عن بعض ، فهي كلها متداخلة ومتكاملة وينبغي القيام بها جميعا حتى يمكن أن يكون النص وثيقة تاريخية علمية .

على أن هذه العمليات النقدية تتناول دراسة النص الذي عاين مؤلفه الأحداث وسجلها مباشرة فاذا كان صاحب الأثر لم يكن قد عاين ما دونه ، بل كانت روايته له عن آخر شاهده ، أو كان هناك سلسلة من الرواة تفصل بين صاحب الأثر ، ومن رأى الأحداث وسجلها - فإن عمليات النقد تصبح عسيرة ان لم تكن مستحيلة ؛ لأن على الباحث أن يدرس هؤلاء الرواة ، ويطمئن الى أمانتهم ودقتهم في النقل حتى يصل الى الراوي الأصلي الذي شاهد الحدث ، فينظر فيه من حيث ظروف حياته ومبلغ صدقه وضبطه ، ودقة ملاحظته ، وبذلك يتسنى له أن ينتهي الى بيان القيمة العلمية للأثر المكتوب على وجه التقريب . (وانظر منهج البحث في العلوم الاسلامية للكاتب ص ٦٢ - ٧٨) .

ابن الصلاح والمنهج النقلي :

ما هو أثر ابن الصلاح في الكتابة في المنهج النقلي - بعد أن عرفت بهذا المنهج تعريفا موجزا ، وهل يعد ما جاء في مقدمته منهجا واضح المعالم لدراسة آثار الماضي المكتوبة ؟ -

إن مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، وهذه العلوم تتناول كل ما يعزى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة بالفحص والنقد ؛ للتمييز بين الصحيح منها والموضوع فهذه المقدمة إذن تقدم المقاييس العلمية لنقد السنة ، ولهذا تعد منهجا لتقويم آثار الماضي المدونة وان كانت خاصة بأقدس هذه الآثار وأشرفها .

ان من يلقي نظرة عامة على مقدمة ابن الصلاح يقضي بأن هذه المقدمة تدرس ثلاث قضايا أساسية هي : أنواع الأحاديث ، والرواة وطبقاتهم ، وطرق تحمل الحديث وشروط روايته وآداب طلبه وكتابته .

وهذه القضايا متكاملة في ابراز قواعد المنهج النقلي ، وإن كان لبعضها عناية أكثر بهذه القواعد .

ولا مجال لعرض كل ما جاء في المقدمة وبيان مدى علاقته بذلك المنهج ، ومن ثم أجتزيء بالكلام عن الموضوعات التالية كما تحدث عنها ابن الصلاح ، فهي كافية في توضيح ماأطلق عليه المحدثون بالنقد الخارجي والداخلي للأثر المكتوب .

١ ـ الحديث الموضوع .
٢ ـ طرق نقل الحديث .
٣ ـ من تصح روايته .
٤ ـ كتابة الحديث وآدابها .

الحديث الموضوع :

كان الوضع في السنة من أهم الأسباب التي حملت العلماء على بذل الجهد في مجال الدراسات التي كشفت عن الرواة ، وما يتصفون به من خلال محمودة أو مذمومة ، وايضا في مجال النقد الفاحص لمتون الأحاديث لفظا ومعنى ، وقد تمخضت تلك الدراسات عن آثار علمية في الرجال ، وفي وضع الضوابط التي يعرف بها الحديث الصحيح من الموضوع .

وقد فطن العلماء الى الظروف التي سولت لضعاف الايمان ومن في قلوبهم مرض أن يتقولوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفصلوا القول في أسباب الوضع تفصيلا شافيا ، وجاء ابن الصلاح فلم يشأ ان يكرر ما قاله السابقون ، ولكنه تحدث في إيجاز عن وسائل معرفة الحديث الموضوع ، وأعظم الوضاعين ضررا ، قال : « اعلم أن الحديث الموضوع شر الأحاديث الضعيفة ، ولا يحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه » ... وانما يعرف كون الحديث موضوعا باقرار واضعه أو ما يتنزل منزلة اقراره وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوي أو المروي ، فقد وضعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركاكة الفاظها ومعانيها .. ثم قال عن أصناف الوضاعين : والواضعون للحديث أصناف ، وأعظمهم ضررا قوم من المنسوبين الى الزهد وضعوا الأحاديث احتسابا فيما زعموا ، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم ، وركونا اليهم ، ثم نهضت جهابذة الحديث بكشف عوارها ومحو عارها والحمد لله ..

ويقول عن ألوان الوضع : ثم ان الواضع ربما وضع كلاما من عند نفسه فرواه ، وربما اخذ كلاما لبعض الحكماء أو غيرهم فوضعه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وربما غلط غالط فوقع في شبه الوضع من غير تعمد (المقدمة ص ٢١٢ ، ٢١٤ ت الدكتورة عائشة عبدالرحمن) فابن الصلاح في كلامه عن الحديث الموضوع بدأ أولا فبين الوسيلة التي يمكن أن نقف بها على هذا الحديث فهي إما إقرار الواضع بما وضع وإما دراسة حياة الراوي ، أو المروي مبنى ومعنى .

ويشير بعد ذلك الى أن الواضعين أصناف ؛ بيد أنه يتحدث عن نوع واحد منهم ، يراه أعظم خطرا وضررا ، وهم الزهاد الجهلة ؛ لأن زهدهم الظاهر كان يدفع العامة الى الثقة بهم ، فلا يخالجهم ريب في صدقهم ولهذا شوه هؤلاء الزهاد وجه الاسلام وادخلوا في تعاليمه ما ليس منه (وانظر علوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ـ رحمه الله ـ ص٢٧٠)

واخيرا يوجز القول في دقة عن وسائل الوضع فمنها اختلاق الواضع كلاما من عند نفسه ومنها أن يأتي بكلام لحكيم أو غيره فيعزوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتوافر في هاتين الصورتين صفة تعمد الوضع والقصد اليه ، ومنها أن ينسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم-خطأ-ما لم يصدر عنه ، وفي هذه الصورة لا تتوافر صفة العمد ، ولهذا أطلق ابن الصلاح عليها شبه الوضع ؛ لتخلف إثم العمد .

طرق نقل الحديث :

قسم العلماء طرق نقل الحديث أو أدائه ثمانية أقسام ؛ وفقا لترتيبها في القوة والعلو ، وهي نفسها طرق التحمل وقد تحدث عنها ابن الصلاح في النوع الرابع والعشرين من كتابه ، ومهد لحديثه بالقول في بعض الأمور التي تتعلق بسن التحمل ، ثم قال عن تلك الطرق : ومجامعها ثمانية أقسام :

أولا : السماع من لفظ الشيخ ، وهو ينقسم الى املاء وتحديث من غير إملاء وسواء أكان من حفظه أم من كتابه ، وهذا القسم أرفع الأقسام عند جمهور العلماء ، وكانت طريقة الرعيل الأول من الرواة .

ثانيا القراءة على الشيخ ، وأكثر المحدثين يسمونها عرضا ؛ لأن التلميذ يعرض على شيخه ما يقرؤه سواء أكانت قراءته حفظا من قلبه أم من كتاب يقرأ فيه . واختلف العلماء في القراءة فمنهم من ذهب الى أنها دون السماع ، ومنهم رأى انهما بمنزلة واحدة .

ثالثا : الإجازة ، وهي عبارة عن إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته ؛ أو مؤلفاته ، أو بعضا منها ، ولو لم يسمعها منه ، ولم يقرأها عليه .

ويقول ابن الصلاح عن الإجازة ،: وهي متنوعة أنواعا ، ثم أورد لها سبعة أنواع أعلاها الإجازة لمعين في معين مثل أن يقول الشيخ أجزت لك الكتاب الفلاني فاروه عني .

رابعا : المناولة ، والمراد بها أن يعطى الشيخ تلميذه كتابا أو حديثا ، ليقوم بأدائه أو روايته ، وهي على نوعين : مناولة مقرونة بإجازة ، ومناولة مجردة عن الاجازة بأن يناوله الكتاب ، ويقتصر على قوله : هذا من حديثي ، أو من سماعاتي ، ولا يقول : اروه عني أو أجزت لك روايته عني ، والمناولة المقرونة باجازة أولى من غيرها بلا جدال .

خامسا : المكاتبة ، وهي أن يكتب الشيخ الى الطالب وهوغائب شيئا من

حديثه بخطه أو يكتب له ذلك ، وهو حاضر ، ويلحق بهذا ما اذا أمر غيره بأن يكتب ذلك عنه اليه . وينقسم هذا القسم نوعين :
أحدهما : أن تتجرد المكاتبة عن الإجازة .

والثاني : أن تقترن بالإجازة ؛ بأن يكتب اليه ويقول : أجزت لك ما كتبت به اليك وهذا النوع يشبه في الصحة والقوة المناولة المقترنة بالاجازة .
أما المكاتبة غير المقترنة بالإجازة فقد اختلف فيها العلماء فمنهم من أجاز الرواية بها ومنهم من منع .

سادسا : الإعلام ، أي إعلام الراوي للطالب بأن هذا الحديث ؛ أو هذا الكتاب سماعه من فلان ، أو روايته ، مقتصرا على ذلك من غير أن يقول : اروه عني ؛ أو أذنت لك في روايته ونحو ذلك .

سابعا : الوصية بالكتب ، وهي ان يوصي الراوي بكتاب يرويه عند موته أو سفره لشخص وهذه الصورة من صور التحمل نادرة جدا وهي أضعف من الصور السابقة .

ثامنا : الوجادة ، وتطلق على ما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا اجازة ولا مناولة ..

ومثال الوجادة ان يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه ولم يلقه ، أو لقيه ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطه ، ولا له منه اجازة ولا نحوها ، فله ان يقول : وجدت بخط فلان أو قرأت بخط فلان ، أو في كتاب فلان بخطه : أخبرنا فلان بن فلان ويذكر شيخه ويسوق سائر الاسناد والمتن . (المقدمة ص٢٩٢) وقد ضعّف كثير من السلف الرواية بالوجادة واشترطوا لذلك شروطا غاية في الدقة والصرامة مؤداها ان يكون الراوي ثقة ، حافظا لما في الكتاب ، أمينا في نقله . وهذا التشدد في الرواية عن الكتب وجادة مبعثه إحساس السلف بأن الكتاب عرضة للتحريف والتغيير وان الكاتب عرضة للخطأ وهو يكتب ومن ثم كانت الوجادة لديهم آخر مرتبة من مراتب العلم وأدائه ..

واذا كان السلف والقدماء قد وقفوا من الوجادة ذلك الموقف الصارم وعدوها آخر مراتب التحمل والأداء وان رجال النقد التاريخي يذهبون الى غير ذلك ، فيرون الوجادة أولى مراتب التلقي والأداء بل هي الطريقة المثلى في هذا ـ فإن للسلف عذرهم فيما ذهبوا اليه ، فقد كانوا قريبي عهد بمصادر العلم الأولى ، واستطاعوا ان يلتقطوا العلم من أفواه الرجال مباشرة ، فلما تعاقبت الأعصر والأزمان أصبحت الرواية الشفهية أمرا متعذرا وأصبحت

الوجادة هي الطريقة العلمية للتحمل والأداء وبخاصة بعد أن انتشرت الطباعة ، وقد أومأ الى هذا ابن الصلاح في مقدمته ، حيث لاحظ ان الوجادة هي الغالبة على المتأخرين وانه لو توقف فيها على الرواية لانسد باب العمل بالمنقول ؛ لتعذر شرط الرواية فيها ..
ولكن يحمد لقدمائنا انهم بمسلكهم هذا في التلقي والأداء استطاعوا أن يحفظوا لنا تراثنا العلمي ، ويسجلوه بأمانة ودقة فور صدوره من أفواه الرجال مباشرة فظل حيا نابضا حتى يومنا هذا . (وانظر منهج النقد التاريخي عند المسلمين للدكتور عثمان موافي ص٧٥) .

من تصح روايته :

تحدث العلماء منذ عصر الصحابة فيمن تقبل روايته ، وفيمن ترد ، وكان لهم شروطهم العلمية في هذا ، وقد أجملها ابن الصلاح في قوله : « أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على انه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه وتفصيله ان يكون مسلما بالغا عاقلا سالما من أسباب الفسق وخوارم المروءة متيقظا غير مغفل ، حافظا ان حدث من حفظه ، ضابطا لكتابه إن حدث من كتابه وان كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك ان يكون عالما بما يحيل المعاني » (المقدمة ص٢١٨) .

ثم أخذ يفصل ما أجمله في هذه الكلمة الجامعة لشروط الراوي ، فبين ان عدالة الراوي قد تثبت بالتنصيص عليها أو اشتهارها بين اهل النقل وهي لا تثبت بالتنصيص الا عن طريق اختبار أحواله ، وتتبع أفعاله ، بحيث يغلب الظن على نزاهته واستقامة طرائقه . أما الذين اشتهروا بذلك فلا يسأل عنهم ، ولا تستقرأ أحوالهم ؛ لأن استفاضة عدالتهم بين أهل النقل أغنت عن تتبع أخبارهم وقامت مقام البينة الشاهدة على أمانتهم .. ويراد بضبط الراوي سماعه للرواية كما يجب وفهمه لها فهما دقيقا ، وحفظه لها حفظا كاملا لا تردد فيه ، وثباته على هذا كله من وقت السماع الى وقت الأداء .
ويحدد ابن الصلاح الوسيلة التي يعرف بها كون الراوي ضابطا فيقول : «يعرف كون الراوي ضابطا بأن تعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والاتقان ، فإن وجدنا رواياته موافقة ولو من حيث المعنى لرواياتهم ، أو موافقة لها في الأغلب والمخالفة نادرة عرفنا حينئذ كونه ضابطا ثبتا ، وان وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه ، ولم نحتج بحديثه » . (المقدمة ص٢٢٠) .
ولم يصل علماء المنهج النقلي الى أكثر مما ذكره ابن الصلاح حول وسيلة التعرف على ضبط الراوي ودقته في التدوين .
ثم عرض بعد ذلك للجرح والتعديل ورواية المبتدع الذي لا يكفر ببدعته وكذلك رواية النائب من الكذب في حديث الناس وغيره من أسباب الفسق

موردا آراء العلماء في كل ما يعرض له ومرجحا ما يراه أولى بالأخذ به ، ولكنه يبطل رواية كل من أخذ عليه ما يخرم الثقة به وبضبطه قال : لا تقبل رواية من عرف بالتساهل في سماع الحديث أو اسماعه ، كمن لا يبالي بالنوم في مجلس السماع ، وكمن يحدث لا من أصل مقابل صحيح ، ومن هذا القبيل من عرف بقبول التلقين في الحديث .
ولا تقبل رواية من كثرت الشواذ والمناكير في حديثه ، جاء عن شعبة قال : لا يجيئك الحديث الشاذ الا من الرجل الشاذ . ولا تقبل رواية من عرف بكثرة السهو في رواياته اذا لم يحدث من أصل صحيح . (المقدمة ص ٢٣١ ، ٢٣٥) .
ويختم ابن الصلاح حديثه عن شروط من تقبل روايته بالإشارة الى ان هذه الشروط قد أعرض الناس عن اعتبارها كلها في الأعصار المتأخرة ، فلم يتقيدوا بها في رواياتهم ، لتعذر الوفاء بذلك ولكن هذا الإمام يذكر انّ الغاية من كتابه ومما جاء فيه من شروط للرواة هي المحافظة على خصيصة هذه الأمة في الأسانيد والمحاذرة من انقطاع سلسلتها ، ومن ثم يقول : فليعتبر من الشروط المذكورة ما يليق بهذا الغرض على تجرده ، وليكتف في اهلية الشيخ بكونه مسلما بالغا عاقلا غير متظاهر بالفسق والسخف ، وفي ضبطه بوجود سماعه مثبتا بخط غير متهم ، وبروايته من أصل موافق لأصل شيخه . (المقدمة ص ٣٦١) .
ان الأحاديث اذا كانت قد دونت وكتبت في الجوامع التي جمعها أئمة الحديث ولا يجوز أن يذهب شيء منها على جميعهم فإن من جاء بحديث لا يوجد عندهم لا يقبل منه ، ومن جاء بحديث معروف عندهم فهو لا ينفرد بروايته والحجة قائمة بهذا الحديث برواية غيره ولكن القصد من تلك الرواية والسماع ممن يجيء بحديث معروف عند أئمة الحديث هو أن يصير الحديث مسلسلا بـ « حدثنا واخبرنا » وتبقى هذه الكرامة التي خصت بها هذه الأمة شرفا لنبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم . (المقدمة ص٢٣٦ ، ٢٣٧) .

كتابة الحديث وآدابها :

كان بين المسلمين في الصدر الأول اختلاف حول كتابة السنة ، وكان ذلك خوفا من اختلاط القرآن بها ، أو يشتغل عنه بسواه ، أو يضاهي به غيره في الكتابة ، ثم زال ذلك الاختلاف وأجمع المسلمون على إباحة كتابة الحديث ، ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الأخيرة .
ويتحدث ابن الصلاح عن كتابة الحديث وآدابها في عدة فصول من المقدمة ويهمنا منها ما يتصل أوثق اتصال بالمنهج النقلي ، وهو ما يلي :
١ ـ يجب على كتبة الحديث وطلبته صرف الهمة الى ضبط ما يكتبونه أو يحصلونه من خط الغير من مروياتهم على الوجه الذي رووه شكلا ونقطا يؤمن

معهما الالتباس وكثيرا ما يتهاون بذلك الواثق بذهنه وتيقظه ، وذلك وخيم العاقبة فإن الانسان معرض للنسيان . وإعجام المكتوب يمنع من استعجامه ، وشكله يمنع من إشكاله ، وينبغي الاعتناء بضبط الملتبس وبخاصة ما كان من أسماء الناس فإنها لا تستدرك بالمعنى ولا يستدل عليها بالسياق .

ويستحب في الألفاظ المشكلة ان يكرر ضبطها في متن الكتاب ، ثم يكتبها قبالة ذلك في الحاشية مفردة مضبوطة فإن ذلك أبلغ في إبانتها ، وأبعد من التباسها ، وما ضبطه في أثناء الأسطر ربما داخله نقط غيره وشكله مما فوقه وتحته ، لا سيما عند دقة الخط وضيق الأسطر . (المقدمة ص٣٠٣ ، ٣٠٤) .

٢ ـ لا ينبغي ان يصطلح الكاتب مع نفسه في كتابه بما لا يفهمه غيره فيوقع غيره في حيرة كفعل من يجمع في كتابه بين روايات مختلفة ، ويرمز الى رواية كل راو بحرف واحد من اسمه أو حرفين وما أشبه ذلك ، فإن بين في أول كتابه أو آخره مراده بتلك العلامات والرموز فلا بأس ومع ذلك فالأولى أن يتجنب الرمز ويكتب عند كل رواية اسم راويها بكماله مختصرا . (المقدمة ص٣٠٥) .

٣ ـ على الطالب مقابلة كتابه بأصل سماعه وكتاب شيخه الذي يرويه عنه وان كان اجازة ثم ان أفضل المعارضة أن يعارض الطالب بنفسه كتابه بكتاب الشيخ مع الشيخ في حال تحديثه إياه من كتابه لما يجمع ذلك من وجوه الاحتياط والاتقان من الجانبين ، وما لم تجتمع فيه هذه الأوصاف نقص من مرتبته بقدر ما فاته منها .

ويشير ابن الصلاح الى آراء بعض العلماء في المقابلة على نسخة منقولة عن الأصل ، أو قوبلت عليه ، ويرجح جواز الرواية بهذه المقابلة غير المباشرة ؛ بشرط أن يبين الراوي أنه لم يقابل نسخته على الأصل ، وان يكون ناقل النسخة من الأصل غير سقيم النقل بل صحيح النقل قليل السقط . (المقدمة ص٣١١) .

ويقول وهو بصدد حديثه عن إثبات السماع على النسخة المنقولة : ثم اذا نسخ الكتاب فلا ينقل سماعه الى نسخته الا بعد المقابلة المرضية ..

ويختم ابن الصلاح موضوع آداب المحدث بقوله : واذا نجز الإملاء فلا غنى عن مقابلته ، وإصلاح ما فسد منه بزيغ القلم وطغيانه . (المقدمة ص٣٦٧) .

٤ ـ ويعد حديث ابن الصلاح عن دقة النقل والشكل والمقابلة هاما لانه يتناول عدة قضايا اهمها تحريج الساقط في الحواشي ـ ويسمى اللحق ـ وكذلك تخريج الشرح أو التنبيه على غلط ونحو هذا ، وايضا ما ينبغي ان يفعل بما يصح رواية ومعنى غير انه عرضة للشك أو الخلاف وبما يصح وروده نقلا ، ولكنه

فاسد لفظا أو معنى أو ضعيف أو ناقص ، وما يجب ان يكون اذا وقع في الكتاب ما ليس منه ، أو اذا اختلفت الروايات وتباينت النسخ وما مدى حرية الكاتب في اصلاح اللحن والتحريف والتصحيف ، وهل الأولى ان ينقل الرواية كما وصلت دون تغيير أو يجوز له ان يصلح ويغير - (انظر المقدمة ص٣١٣ - ٣٧٧) .

وكل هذه القضايا وما يدور في فلكها تكاد تتناول ما يمكن أن يسمى بمنهج تحقيق النصوص وتقويمها ولا مجال لتفصيل القول فيها وتكفي الاشارة الى ان القدماء بحديثهم في تلك القضايا أكدوا أنهم يحترمون أمانة العلم في دقة نقله ، وعلاج ما قد يطرأ على النص من خلل أو اضطراب وهم بهذا الجهد العلمي الرائع كانوا الرواد في ميدان المنهج النقلي .

٥ - ويوصي ابن الصلاح كل من يصنف كتابا ان يقوم قبل إخراجه للناس بتنقيحه وتهذيبه أكثر من مرة ، ليستدرك ما عساه قد وقع فيه من هنات هينات ، أو غير هينات ، فالانسان لا يسلم من الخطأ والنسيان فكان من الدقة العلمية ان ينقد المرء نفسه قبل أن يعرض ما صنفه على غيره ، قال : ثم ليحذر ان يخرج الى الناس ما يصنفه الا بعد تهذيبه وتحريره واعادة النظر فيه وتكريره .

إنه الحرص على أن يكون المصنف نقيا من شوائب الضعف وهو حرص عرفه الفكر الاسلامي منذ بدأت حركة التدوين والتأليف وهو يشهد لهذا الفكر بالسبق في مجال البحث العلمي .

موازنة :

هذا طرف مما جاء في مقدمة ابن الصلاح ، وقد أومأت سابقا الى أن المقدمة كلها تتحدث عن أصول التثبت والتحري ، وقواعد النقل للآثار المدونة ، وأن ما ذكرته هنا لا يعدو اشارات الى ما رأيت أنه يعطي تصورا عاما لأهم هذه الأصول .

والموازنة بين المنهج النقلي ، وما اشتملت عليه المقدمة -وقد أوردت بعضه في هذه الدراسة- تسلم الى النتائج التالية :

أولا : ان المحدثين - وابن الصلاح يمثل درجة الكمال في دراساتهم - عرفوا ما يسمى بالنقد الخارجي ، والنقد الداخلي ، فكل ما ذكرته عن كتابة الأحاديث وآدابها وكذلك حول الحديث الموضوع يدخل في دائرة النقد الخارجي ، ذلك النقد الذي يتوخى الاطمئنان الى سلامة الأثر المدون وانه غير منحول .

والذي ينبغي التأكيد عليه ان نقد السند الذي كان مشغلة علماء الحديث منذ نحو ثلاثة عشر قرنا يعد عماد النقد الخارجي وان أسباب الوضع في الحديث هي بعينها دوافع التحريف والتزييف في الآثار المكتوبة ، وان علماءنا قاموا

بجهد انفردوا به في مجال نقد السند تمخض عن علم الرجال ، ذلك العلم الذي يستقريء أحوال الرواة في موضوعية وأمانة ، لمعرفة من تقبل روايته ومن ترد ومتى ينبغي على الراوي ان يتوقف عن الرواية وان كان معدلا غير مجروح .
ان دراسة الاسناد تعد من مفاخر الأمة الاسلامية بل كانت هذه الدراسة في نظر بعض العلماء من الدين لأنها وثّقت النصوص وحمت التراث العلمي من شرور الانتحال والتضليل بوجه عام .

ثانيا : وأما النقد الداخلي فإن المحدثين لم يغفلوا عنه وان زعم جمهور المستشرقين ومن تأثر بهم بأن علماء الحديث اهتموا بالسند دون المتن ، ولكن هذا خطأ ، لأن الاهتمام بالسند كا من أجل المتن ، ولأن المحدثين أولوا المتن عناية لا تقل عن عنايتهم بالسند وفيما ذكرته عن بعض امارات الحديث الموضوع من ركاكة في اللفظ أو تفاهة في المعنى ما يدل على ذلك كما انهم كانوا يعرضون متن الحديث على حقائق التاريخ المعروفة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فإن خالف هذه الحقائق حكم على الحديث بالوضع . وبالاضافة الى هذا كانوا يعرضون المتن على العقل فإن اشتمل على ما يخالف بدهيات العقول أو كان متضمنا لسخافات يصان عنها العقلاء فالحديث مردود .

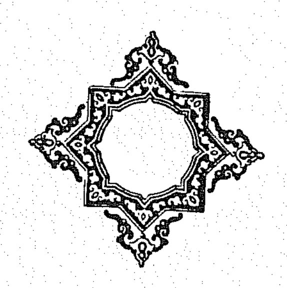
على أن هناك جانبا آخر يتعلق بنقد المضمون وهو يتناول تصحيح النص وتفسيره وقد نبه العلماء الى وجوب تصحيح النص قبل تفسيره ، وحذروا من الأخطاء التي تنجم عن النقل وأرجعوها الى السمع أو البصر أو نحو ذلك .
وأما تفسير النص فإنه كان يشمل تحديد المعنى الحرفي للمفردات ثم تحديد المعنى الاجمالي للنص عن طريق تحليل مضمونه ، لمعرفة أفكاره ، وقد عبر العلماء عن المرحلة الأولى بشرح الغريب وعن المرحلة الثانية بالاستنباط .

ثالثا :ان المحدثين وضعوا القواعد الصارمة لنقل الآثار وتدوينها وهذه القواعد تقوم على الاستقراء والتجربة والوصف التحليلي فهي تتبع ما يتعلق بالرواة من أخبار وأحوال للاطمئنان على أن كل راو كان في تدوينه يقظا دقيقا يتمتع بقدرة عقلية طيبة ، وأمانة علمية ترفض ان تغير أو تنقص أو تزيد .
أما مفهوم التجربة في هذه القواعد فهي تقوم على اختبار صدق الراوي بعرض روايته على روايات الثقات المشهورين بالضبط والاتقان ، فإن وافقتهم قبلت ، وإلا رُدَّت ، كما كانت تقوم على معارضة الروايات ذات المصادر المكتوبة على أصول من السماع .
ويقصد بالوصف التحليلي ذكر المصادر العديدة للرواية مع نقدها ، ودراسة كل ما لابس الخبر والراوي من أحداث وقعت وقت الرواية على نحو مفصل ودقيق .

رابعا : اذا كان المنهج النقلي ترجع نشأته تاريخيا الى القرن السابع عشر الميلادي فان علماء الحديث بدأوا في وضع أصول التدوين وطرق التثبت والتحري منذ القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي أي قبل أن يبحث علماء المناهج في دراساتهم للنقد التاريخي بنحو تسعة قرون وهذا يعني ان المحدثين لم يسبقوا بما قدموا وكانوا الرواد لغيرهم فهي العبقرية التي أنضجتها العقيدة الاسلامية،العقيدة التي اخرجت الناس من الظلمات الى النور،ظلمات الشرك الى نور التوحيد وظلمات الجهل الى نور العلم .

والجدير بالذكر هنا ان هناك مناهج عرفها المسلمون في الماضي ثم تطورت على أيدي الغربيين كالمنهج الاستقرائي والاستنباطي ولكن المنهج النقلي لم يضف اليه غير المسلمين شيئا ذا بال ، ومن ثم لا يكاد يتجاوز الاختلاف بين ما كتبه المسلمون في هذا المنهج وما كتبه سواهم حدود الرسوم والمصطلحات دون الأسس والأصول ومن الشواهد على ذلك ان عالما ألمانيا معاصرا يدعى Gadamer كتب دراسة تحت عنوان « الحقيقة ومنهج البحث التاريخي » وهو في هذه الدراسة لا يخرج في المبادىء العامة عما كتبه المسلمون في مجال طرق تحمل الرواية وتوثيق النصوص وعلم الجرح والتعديل .

والخلاصة: إن ابن الصلاح بما كتبه قدم تأصيلا دقيقا لمنهج تدوين النصوص وهو المنهج الذي تلقفته أوروبا ، وإن أخطأ علماؤها لأنهم اخذوا المبادىء والقواعد دون أن يفقهوا الباعث عليها ، أي دون أن يفقهوا العقيدة التي كانت من وراء هذا الجهد العلمي الرائع .. والنتيجة العامة لهذه الدراسة ان السنة النبوية وصلتنا عبر موازين علمية في النقد والتحري والتمحيص لم تعرف في دراسة نص تاريخي من قبل،وان النظر فيما وصلنا من أحاديث من جديد أمر مستحيل وأن الثقة بما وصلنا من تراث علمي حول السنة يفرض علينا آن نقف على هذا التراث في موضوعية وأمانة علمية،وأن كل دراسة تتبنى موقف الشك من السنة ، وتتلمس لدعمه مكذوب الآثار ، أو ضعيفها وكذلك كل دراسة لا تصدر عن معرفة وافية بالسيرة النبوية وأحوال الرواة وجهد المحدثين في التدوين تعد دراسة غير علمية ولا يعول عليها .



مائدة القارئ

أولئك هم المؤمنون حقا

قال تعالى : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم . والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم » .
الآيتان ٧٤ و ٧٥ من سورة الانفال .

انصرف فإنه صادق

دعا رجل صديقا له الى منزله ، قائلا : تعال نأكل خبزا وملحا ، فظن الصديق ان ذلك كناية عن طعام شهي وشراب سائغ ، فمضى معه ، فلم يزد على الخبز والملح . وبينما هما يأكلان ، إذ وقف بالباب سائل ، وألح في السؤال ، فقال صاحب البيت : اذهب وإلا كسرت رأسك .
فقال الضيف : انصرف فإنه صدق في وعده ، وسيصدق في وعيده .

لا ترض بالضيم

قال الشاعر :

شخوص الفتى عن منزل الضيم واجب
وإن كان فيه اهله والاقارب
وللحر اهل إن نأى عنه أهله
وجانب عز إن نأى عنه جانب
ومن يرض دار الضيم دارا لنفسه
فذلك في دعوى التوكل كاذب

دعاء

اللهم أقل العثرة ، واعف عن الزلة ، وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ، ولا يثق إلا بك ، فإنك واسع المغفرة ، وليس لذى خطيئة منك مهرب .

الأيام .. والأعمار

جاء في الأثر : أيها الناس ، إن الأيام تطوى ، والأعمار تفنى ، والأبدان في الثرى تبلى ، وإن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ، يقربان كل بعيد ، ويبليان كل جديد ، وفي ذلك ـ عباد الله ـ ما ألهى عن الشهوات . ورغب في الباقيات الصالحات .

الصمت والنطق

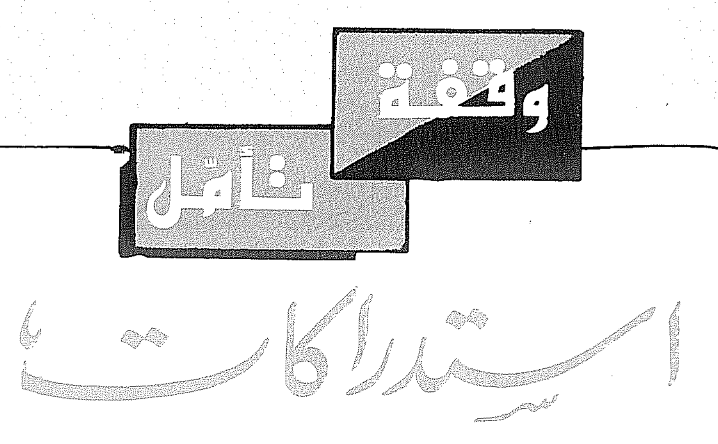
صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه .

طوبى لعبد

قيل لأعرابي : كيف حالك ؟ فقال : بخير ، أمزق ديني بالذنوب ، وأرقعه بالاستغفار ، ثم قال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع



رغم حرصنا الشديد على ألا يظهر في « الوعي الاسلامي » إلا ما هو صحيح ، ورغم ما نبذله من جهد مضاعف في سبيل ألا يأتي حرف واحد في آية قرآنية كريمة زائدا أو ناقصا . وألا يكون هناك حديث غير محقق ، ومخرج .. ورغم مطالبتنا على صفحات المجلة وفي رسائلنا الخاصة إلى الكتاب أن يذكروا رقم الآية الكريمة واسم السورة الواردة فيها وأن يخرجوا الأحاديث الشريفة ، ويتأكدوا من صحتها ، وأن يتثبتوا من الروايات في السيرة والتاريخ ... إلا أن بعض الكتاب لم يراع ذلك ، وتبذل « الوعي الاسلامي » جهودا مضنية تستغرق وقتا طويلا من أجل التثبت من صحة رواية ، والتأكد من صحة الحديث ، ومع هذا تقع بعض الأخطاء قد يكون الكاتب نفسه سببا فيها ... ولنضرب لذلك أمثلة ...

ونترك الأخ الأستاذ/ محمد نجيب لطفي .. يعلق على ما رآه يحتاج الى تصويب .. يقول تحت عنوان :

استدراكات حديثية

ورد في مقال « الصلاة عماد الدين » ما نصه : « وفي الحديث الصحيح من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » والحقيقة خلاف ما ذكره الكاتب وحكم به بل وجزم به ، فالحكم بصحة الحديث أو عدمه يجب أن يكون متفقا مع حقيقة الأمر عند المحققين من الحفاظ والمحدثين طبقا للقواعد العظيمة التي قعدوها لذلك .

ولبيان عدم صحة القول السالف نقول :

ذكر المحققون من الحفاظ والمحدثين أن هذا الحديث باطل وموضوع سندا ومتنا وبيانه كالتالي :

* في سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه « تقريب التهذيب » أثناء الترجمة لليث .
* وذهب الى نفس الرأي الهيثمي في كتابه « مجمع الزوائد » .
* وقال الحافظ العراقي في « تخريج الإحياء » إسناده لين ، وهذا الحديث موقوف وقد رواه الامام أحمد في كتابه « الزهد » والطبراني في « المعجم الكبير » عن ابن مسعود موقوفا عليه .
* والصواب في ذلك ان هذا القول من قول ابن مسعود والحسن البصري وروى ايضا عن ابن عباس .

* ولهذا لم يذكره شيـــخ الاسلام ابن تيمية في « كتاب الايمان » إلا موقوفا على ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم ووافق شيخ الاسلام في ذلك ابن عروة في كتابه « الكواكب » وقال الحافظ ابن كثير : والأصح في ذلك كله من ناحية الموقوفات هي الموقوفات، على ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والأعمش وغيرهم .

هذا كله من ناحية السند باختصار شديد وقد ثبت أنه ليس بحديث يصح نسبته للرسول صلى الله عليه وسلم وأما من ناحية المتن فلا يصح ايضا لأن ظاهر الحديث يشمل من صلى صلاة بشروطها وأركانها بحيث أن الشرع يحكم عليها بالصحة وان كان هذا المصلى لا يزال يرتكب بعض المعاصي فكيف بعد ذلك يكون بسبب هذه المعاصي لا يزداد بصلاته إلا بعدا ؟! فهذا مما لا يعقل ولا تشهد له الشريعة،ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن رجل يصلي الليل كله فإذا أصبح سرق : فقال ستمنعه صلاته .. ولم يقل انه « لا يزداد بها إلا بعدا » مع أنه لم ينته عن السرقة بعد .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في بعض فتاويه عندما سئل عن هذا الحديث بعد أن حكم عليه بالوضع والبطلان « هذا الحديث ليس بثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن الصلاة بكل حال لا تزيد صاحبها بعدا بل الذي يصلي خير من الذي لا يصلي وأقرب الى الله منه وإن كان فاسقا» .

وأقول : ان ورود هذا الحديث سيبعث اليأس في نفوس بعض المصلين حيث لا يزالون يرتكبون بعض الذنوب ولا يستطيعون الاقلاع مطلقا ، ونحن لا نقصد أبدا التهوين من شأن المعاصي والذنوب ولكن إحقاق الحق هو الذي استدعى ذلك ، ومن العلماء المحدثين الذين حكموا بوضع الحديث وبطلانه

العلامة الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة » وقد بسط العلامة الألباني القول في ذلك بسطا مفيدا جدا وبهذا يتبين أن الجزم بصحة الحديث محل نظر وكان ينبغي ألا يجزم بذلك ولعل في ما أسلفنا بيان وجه الحق في ذلك .

فكيف إذن جاز لأستاذ اعتادت الوعي الاسلامي أن تنشر مقالاته وتضعها في المرتبة الأولى .. كيف جاز للأستاذ/ محمد محمد الشرقاوي أن يحكم بصحة الحديث ؟ وعلى أي أساس قال ذلك ؟ ... وما مرجعه وسنده ؟ هذا ما ننتظر الاجابة عليه .
ثم ينتقل الأستاذ/ محمد نجيب لطفي الى موضوع آخر نشرناه تحت عنوان « قراءة في كتاب » القرآن في شهر القرآن » فيقول : ورد في هذا المقال

يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين
» على أنه حديث شريف منسوب الى المعصوم صلى الله عليه وسلم .
والحقيقة خلاف ذلك فهذا القول أيضا كسابقه باطل سندا ومتنا فهو من حيث السند وقد رواه الترمذي لكن فيه ضعيفان ولا أريد أن أستطرد في هذا الحديث كما حدث في سابقه .

ومما هو معلوم عند المحققين في علوم الحديث دراية ورواية أن سنن الترمذي فيها الصحيح والضعيف والموضوع فلا يكفي أن يعزو الكاتب الحديث الى مخرجه بل لا بد من تحقيق ذلك وهو بيان درجة صحته من عدمه .
وأما من ناحية بطلان المتن فظاهر الحديث يدل على الاعراض عن الدعاء وهذا خلاف الشرع فقد تواترت الأدلة على وجوب الدعاء بل قد ثبت في الحديث الصحيح قول الرسول صلى الله عليه وسلم « الدعاء هو العبادة » أخرجه أبوداود والترمذي وابن ماجه والامام احمد وابن ابي شيبة والحاكم وابن حبان والبخاري في الأدب المفرد .
ومن هذه الأدلة قوله سبحانه وتعالى **(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)** غافر/الآية ٦٠ .
ومنها ما رواه أبوهريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » .
حديث حسن رواه الترمذي وابن ماجة والامام أحمد ومنها قول الحق

سبحانه وتعالى (**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**) البقرة الآية/١٨٦ ,

وقد ورد الأمر بالدعاء ايضا في غير أية مثل قوله تعالى (**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**) الأعراف/٥٥ .

بل يقول تعالى : (**قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم**) الفرقان/٧٧ .

وهناك أدلة اكثيرة ذكرنا منها ما أسلفنا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر والاستقراء وكلها واضحة الدلالة على وجوب الدعاء بل على اعتباره عبادة من أجل وأقدس العبادات فكيف يشغل الانسان عن الدعاء .
نعم قراءة القرآن ايضا من أعظم القربات وأجل العبادات ولكن لا يجوز بحال من الأحوال أن تكون عبادة على حساب أخرى بل الصواب شرعا وعقلا الجمع بين العبادتين في عقد واحد .

وختاما يتوجه الأخ الأستاذ محمد نجيب لطفي بالنصيحة الى من يهمهم الأمر بأن يتحروا الدقة فيما ينسبون من حديث الى المعصوم صلى الله عليه وسلم لتعلق الأمر بالسنة النبوية المطهرة وما يترتب عليها من أحكام وتشريع .

« والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

● ونحن بدورنا نطالب كاتب المقال حول كتاب « القرآن في شهر القرآن » الأستاذ/ محمد الحسيني عبدالكريم بألا يعتمد على النقل من الكتب الحديثة ولو كان كاتبها ذا مكانة عالية ، بل كان ينبغي أن يرجع الى الأصول وينقد في الكتاب ما يحتاج إلى نقد ، لا أن يأخذ القول على علاته ، وأيضا : في انتظار رده .

ويمضي بنا الحديث الى الكاتب الأستاذ/ أمين محمد عثمان .. حيث نشرنا مقالة بعنوان : « أصحاب الأخدود » ، وكنا قد شعرنا بأن أجزاء

كثيرة منه منقولة من كتاب « معالم في الطريق » .. غير انا استبعدنا ذلك . وقلنا ربما كان نوعا من التشابه لأن القصة المعالجة واحدة ، عالجها سيد قطب بأسلوبه ، ويعالجها أمين عثمان بأسلوبه وقد يكون

بين الأسلوبين تشابه ، ونشر المقال ، ثم جاءنا من الأستاذة/ أمة الله الودود ان الكاتب ناقل من كتاب معالم في الطريق ، ورجعنا إلى الكتاب ، وطالعنا الصفحات فإذا الأستاذ أمين عثمان ناقل منه حرفا حرفا ... إلا ما قد يضطر إلى حذفه أو إضافته من كلمة هنا أو هناك .

● **ولما كتبنا له بذلك أرسل يقول :**

أما جوابي وتعليقي على ما ورد بخطا بكم فألخصه فيما يأتي :

(١) بالنسبة لكتاب (معالم في الطريق) فأذكر أنني أشرت الى المرجع في المكان المناسب ولما رجعت الى المسودة التي خططتها بيدي قبل أن أدفعها الى كاتب الآلة الكاتبة وجدت في هذه المسودة هذا السطر (ونحن نورد للقارىء ما كتبه الشهيد (سيد قطب) في كتابه (معالم في الطريق) ... وقد أحزنني وساءني وجزعت طويلا ان سقط هذا السطر ولم أتنبه اليه .. !

ويسعدني أن أرسل اليكم بالمسودة حتى الصفحة الخامسة .. وقد وضعت لسيادتكم خطا تحت السطر والعبارة .. التي سقطت سهوا من الآلة الكاتبة فمعذرة .. وأكرر أسفي .. علما بأني أعاني كثيرا من أخطاء الآلة الكاتبة وتوقعني في كثير من الحرج ..

(٢) والدليل على حسن نيتي .. انه يسعدني أن أرسل اليكم صورة مما ورد في بعض مؤلفاتي وقد أشرت فيها إشارة عابرة إلى (أصحاب الأخدود) واقتضى المقام، أن أنقل بعض العبارات للشهيد سيد قطب .. وقد نوهت على ذلك كما ترون ـ في هذه القصاصة ـ

انني يا أخي ملتزم بذكر المراجع .. وهذا مما يزيدني تشريفا وثقة من القراء ... من هذا ترون أن هذا الخطأ لم يكن مقصودا .. ولم يكن في وسعي استدراكه حتى وصل اليكم فمعذرة .. !

هذا .. ولطالما طالبنا الكتاب بأن يعاودوا النظر فيما كتبوا حتى لا يقعوا في مثل هذه الأخطاء وقد نشرت « الوعي الاسلامي » عدة مقالات فيما تسببه الأخطاء الفنية واللغوية وعدم تحري الدقة من مشكلات .

● **ونأتي الى الأستاذ/ أحمد المزاري .. وقد رحبت به « الوعي الاسلامي» كاتبا .. ونشرنا له مقالا تحت عنوان « إطلالة على النفس » .**

وقد وقع فيه ما نصه [وإلا لما كان هناك من مبرر لاصرار مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ على اعتناق الاسلام ، رغم إصرار أمه على اعتناق الموت جوعا] .

وانظر معي كيف استقى الأستاذ / احمد المزاري معلوماته .. حيث يقول مبررا خطأه في ذكر اسم الصحابي ...

كنت أعلم منذ صباي أن الصحابي الجليل الذي أبى الانصياع لإضراب أمه عن الطعام ، والنكوص عن ايمانه بالعقيدة الصحيحة مقابل الحفاظ على حياتها هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .. لكن .. هناك بون شاسع بين الصبا والكهولة في اكتساب المعرفة أو الثقة في صحتها لمجرد أن من يقولها أو يسطرها أكبر سنا وأكثر علما .. لذا كان من الطبيعي .. والحال هذي ـ أن أتردد طويلا في إثبات المعلومة السابقة البسيطة في مقالي ، قبل أن أبحث عنها وأهمش لمصدرها ـ ان كانت بحاجة إلى ذلك ـ غير أنني لم أوفق الى الاطمئنان الى ما وقع تحت يدي من كتب ساق بعضها أمورا زادت من شكي وترددي ، فلم أر بدا من اللجوء الى بعض من أثق فيهم من اخواني أسألهم المعونة ، ودار بيننا ذكر اسم سعد بن أبي وقاص أكثر من مرة ، غير أنه طرح جانبا وهو الحقيق أن يثبت ، وذكرت غيره أسماء وأسماء أدت الى اتساع دائرة البلبلة .. وكان أن زل قلمي بعد أن عجزت مصادري عن إثبات الحقيقة الواضحة .. بذكر أحد هذه الأسماء التي وردت في مناقشتنا وأعني به اسم الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه ... وكان ما كان من علمي بزلتي بعد فوات الأوان بالنسبة الي .

أترانا بعد هذا في حاجة إلى أن ننبه الكتاب ونطالبهم بأن يراعوا الله فيما يكتبون وأن يحددوا هدفهم من الكتابة ، وتحديد الموضوع الذي يريدون ، والتأكد من صحة ما يسطرون فهذه أمانة ، والله سائلهم عنها .. وغفر الله لنا ولهم ، وبالله التوفيق .

فهمي الإمام



للدكتور/ ابراهيم سليمان عيسى

١ـ تمهيد :

في واد غير ذي زرع بالجزيرة العربية وبين شراذم من البدو يتحاربون ويتقاتلون . ليلهم خمر ونساء ، ونهارهم حروب ودماء . وصنعتهم ومعيشتهم تقوم على استغلال ما تجود به الارض من عشب ترعاه الأغنام والابل ، ومن تمر النخيل النامي بالجزيرة العربية ومن تجارة بسيطة خلال رحلتي الصيف والشتاء . وما عدا ذلك ظلمة من الجهل تكاد تطبق على كل الارجاء ، والناس بين سادة طاغين ظالمين وثنيين وعبيد مستذلين .

في هذا الجو الحالك والبيئة الجافة والخالية من كل حضارة وبين صحراء الجزيرة وتلالها وجبالها جاء الاسلام على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي ، وأنزل عليه القرآن هدى للناس في معاشهم ومعادهم ، في دنياهم وأخراهم ، وألهمه الله سبحانه وتعالى التشريع والحديث ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وشرح الله صدور قوم أمنوا به وعزروه ونصروه وحملوا ارواحهم على أكفهم استعدادا للإلقاء بها في وجه كل

معتنقي لدعوتهم فتبدد الظلام ، وانحسر الجهل ، وبدأت الحضارة الاسلامية في مجالاتها زراعية وصناعية وتجارية وعلمية وأدبية وغيرها . فأصبح الناس إخوانا متحابين سواسية كأسنان المشط ، لافرق بين الناس الا بتقوى الله ، وانتهاج نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل الناس في دين الله أفواجا وبدأ الاسلام يعمر الأرجاء ويؤسس كل مجالات الحضارة المختلفة واصبح المجتمع الاسلامي لافتا لأنظار العالم كله فهو القائد للبشرية في السلم والحرب والتعمير والحضارة ، مسترشدا بكتاب الله وسنة رسوله الذي لا ينطق عن الهوى (**إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى**) الآيتان ٤ و٥ من سورة، النجم .

ولقد كان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما الأساس الفكرى لكثير من العلوم الأساسية والتطبيقية التي تطورت ونمت نتيجة للدراسة المستفيضة والبحث العلمي الكثيف . بل ان القرآن الكريم به من الحقائق العلمية والحضارية ما لم يكتشفه العلم حتى الآن ، وسوف تظل هذه الحقائق دون اكتشاف الى أن يشاء الله سبحانه وتعالى اكتشافها فتكشف ويظن الناس انهم قادرون على دنياهم وهنا تتحقق الآية الكريمة :

« **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** » يونس/ ٢٤ .

وما الطريقة العلمية في اكتشاف المعارف إلا خطوات تبدأ بالمشاهدة والملاحظة ثم التجربة وبعد ذلك محاولة تفسير النتائج وتعليلها ووضعها في صورة قانون أو حقيقة علمية تذاع وتنشر ، كما يجب ان نعرف أن القرآن الكريم ليس كتاب فلاحة وانتاج للمحاصيل أو كتاب كيمياء واستخدام للمعادن والعناصر واستغلالها وصناعة للسبائك والأحماض وغيرها بل هو دستور كامل في مختلف نواحي الحياة .

يشير القرآن الكريم الى خطوات الطريقة العلمية وأعني بها التامل والمشاهدة والملاحظة ثم يتكلم عن الحقيقة العلمية والنتيجة السليمة التي سوف يتوصل اليها الباحث والعلماء .

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تدعو الى التأمل والتفكر في ملكوت السموات والأرض وفي كثير من العبر التي تتصل بالحيوان والنبات وفروع الحضارة المختلفة فعلى سبيل المثال لا الحصر ـ قوله تعالى :

« **وفي الارض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون * وفي السماء رزقكم وما توعدون * فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** » الذاريات / ٢٠ ـ ٢٣

إن القرآن الكريم أساس فكرى لحضارة زراعية في مجالات متعددة النواحي ، على أنه من المعروف أن

التعريف الحديث للزراعة ما هو الا استغلال الارض بما عليها من حيوان او نبات استغلالا يحقق الهدف من تعمير الأرض واستقرار المجتمع وايجاد سبل القوة المادية والاقتصادية واذا تم اخراج الزكاة مما تنتجه الارض لأمكن القضاء على عوامل الحقد والكراهية في المجتمع وسوف ينمو المال ويزداد ويسود الحب والوئام فلا تجد غنيا جشعا ولا فقيرا حاقدا . والكل سينصرف الى تحقيق الهدف من الوجود الانساني ، واذا تم ايضا توجيه ناتج هذا الاستغلال عالميا لأمكن القضاء على الازمات الاقتصادية والغذائية التي تجتاح العالم فالأزمات ليست ناتجة عن قلة ما تنتجه الأرض من خيرات ولكنها ناتجة عن سوء التوزيع فلو أن الدول الغنية طرحت ما تلقيه في البحر سنويا امام متطلبات الدول النامية والفقيرة لأمكن القضاء على هذه الأزمة ، وسوف تختفي وتزول الحروب وعوامل الدمار والهلاك وغيرها ونتأمل معا قول الله سبحانه وتعالى :

« **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين** » فصلت / ٩ و ١٠ .

٢ ـ دعوى تعارض العلم والدين الاسلامي باطلة :

ومن هنا نرى أن دعوى تعارض الدين الاسلامي مع العلم دعوى باطلة يطلقها المتشككون بهدف النيل من الدين الاسلامي الذي يجمع الدين والدنيا فهو يشرع للمسلم في دنياه كأنه يعيش أبد الدهر ، ويشرع له في أخراه كأنه سيلقى ربه غدا . ولا أدل على بطلان دعوى تعارض العلم والدين من أن الله سبحانه وتعالى هو المشرع والخالق فهو الخالق لكل الكائنات ومرسي الجبال ومجري الأنهار والبحار والمحيطات ورافع السموات وباسط الأرض .

وما العلم الا اكتشاف وتفسير وتعليل لهذه الظواهر والقوانين الكونية .

ثم ان اولى الصفات الواجبة لله هي صفة الوحدانية في الذات والصفات والافعال وهي من الصفات التي تنفي عن رب العزة التعدد في ذاته وصفاته وأفعاله فكيف نتصور وجود تعارض بين العلم والدين على الرغم من وحدانية المشرع والخالق سبحانه وتعالى .

من هنا نرى أنها دعوى واضحة البطلان لا أساس لها من عقل او مشاهدة او غير ذلك .

هذا بالاضافة الى أنه لم يعد في مجال العلم ما يسمى بالحقيقة العلمية النهائية بل اننا نجد أن العلماء مضطرون احيانا الى الاخذ بنظرتين متعارضتين ويتضح ذلك في التفسير لبعض الظواهر الكونية كالضوء .

وعلى العموم فإن العقلانية في الاسلام أمر إعترف به كل منصف . وان دين الكنيسة الغربية هو الذي وقف في وجه العلم .

وللأسف ونظرا لوجود المتشككين والالحاديين نجد العلم في عصرنا

وضع الانسان على سطح القمر . ولكنه لم يضع يده على سر وجوده وغاية حياته . وما اتعس انسانا يعيش بلا هدف ولكن الدين يتميز بالثبات في كل شيء . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

٣ ـ الاعجاز العلمي للقرآن في مجال علوم الحيوان والحشرات

عالم الحيوان كبير متعدد الأنواع والاجناس والفصائل والرتب والشعب معروف فيه ما يقرب من مليون نوع موصوفة ومسماة ومحفوظ أصلها في متاحف التاريخ الطبيعي .

وعلوم الحيوان تشمل علوم الشكل والمورفولوجي والفسيولوجي والوراثة والأجنة والسلوك وسياسة الحيوان واستئناس النافع والاستفادة منه ومكافحة الضار ودرء خطره ورغم التباين في كل شيء . إلا أن وحدة الخالق ظاهرة جلية في هذا العالم المثير والملهم للخيال والجمال معا ولقد تقدمت دراسة هذا المجال واصبح لدى البشر عدد هائل الكمية من الحقائق العلمية التي تتناول وسائل ووظائف هذه المخلوقات وطرق معيشتها وتكيفها مع البيئات والمواطن المختلفة وتكاثرها ومنتجاتها المفيدة للبشرية من غذاء وكساء ومنافع اخرى ،

وقبل الوصول الى هذه الحقائق تناول القرآن الكريم الكثير منها بالبيان والتفصيل وتوجيه البشرية الى أوجة النفع ومواطن الضرر في هذه الحيوانات . ورغم كل ذلك مازال الطريق الى المعرفة الكاملة طويلا وما أكثر ما يخفى على الحس والسمع والبصر والفؤاد من أسرار مثيرة في خلق الله تعالى ولقد تعلم الانسان الكثير من هذه الحيوانات

وسوف اتناول هذا الموضوع في النقاط التالية :

اولا : حيوانات لعبت دورا في التاريخ في قصص الانبياء حيث ظهرت على مسرح الأحداث فترة ثم اسدل عليها الستار وذكرها القرآن الكريم مجرد ذكر او قص موقفا او أكثر من مواقف حياتها في ومضات سريعة وبقيت حياتها نفسها غارقة في الغموض . ويجول بخاطرى ان الحيوانات التي عاصرت الانبياء ولعبت دورا في التاريخ كانت رمزا عميقا لقدرة الله وحكمته او رمزا لاشياء اخرى تتعلق بطبيعة الحيوان وسلوكه . الجسد لحيوان والاشارة لما هو اخطر بكثير من ذلك . وهذه الحيوانات هي :

الغراب الذي بعثه الله لابن ادم ليريه كيف يوارى سوأة أخيه .

الطير التي ذبحها ابراهيم وفرقها على قمم الجبال ، وبعثها الله من بعد الموت .

بقرة بنى اسرائيل التي أمر موسى بذبحها لكشف جريمة قتل غامضا .

الذئب الذي اتهم ظلما بالتهام يوسف .

هدهد سليمان الذي أطلعه على نبأ بلقيس .

دابة الارض التي أكلت عصا سليمان وهو ميت على كرسيه فخر عليه السلام على وجهه

حمار العزير الذي أماته الله
مائة عام ثم بعثه أمام عيني صاحبه .
الحوت الذي ابتلع يونس في جوفه زمنا ثم قذفه الى البر لأنه كان من المسبحين .

كلب أهل الكهف الذي نام مع أصحاب الكهف ثلاثمائة عام وتسع سنوات .
وهناك حيوان ورد ذكره في السنن الصحاح .
عنكبوت الغار التي نسجت بيتها على باب الغار الذي اختبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثانيا في السنة ايضا وردت اسماء حيوانات كما ان السنة اضافت بعض الاحكام التى تتعلق بالحيوانات من حيث حلهاوحرمتها من ذلك ما يلي :
- أحاديث توضح طريقة ذبح الحيوان :
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تعذيب البهائم عند الذبح ، كما امر باراحة الذبيحة وحد الشفرة ولقد سبق العلم الحديث في ذلك ، حيث اثبتت الأبحاث ان هذه التعليمات النبوية الشريفة لها علاقة بحفظ اللحوم ونكهتها وطيبها وأثرها على الصحة والتغذية وغير ذلك .
أضافت السنة أنواعا من اللحوم يحرم اكلها مثل لحوم كل ذى ناب من السباع ورخصت عند الحاجة - فقط أكل لحوم الخيل ، كما حددت الماكولات وغيرها من كل حيوانات الأرض .
احلت السنة النبوية اكل ميتتين هما السمك والجراد ، ودمين هما الكبد والطحال كما اباحت السنة استعمال جلود ميتة الحيوانات - بعد دبغها - واستعمال اصوافها واشعارها كأساس ومتاع وملابس . وما زال العلم يكتشف هذه الحقائق التي تكلم عنها ونصح بها وأمر باتباعها سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منذ اربعة عشر قرنا وسوف يظل العلم يقدم الدليل تلو الدليل على صدق رسول الله ومعجزاته حتى يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها .

٤ - نظرات حول الحشرات في القرآن الكريم

إن المتامل في القرآن الكريم سوف يجد الكثير من آياته تكلمت عن الظواهر الكونية والكائنات الحية . التي خلقها الله سبحانه وتعالى ثم جاء العلم فقدم التعليل والتفسير لتلك الظواهر الكونية وأماط اللثام عن أسرار الكثير من الكائنات الحية حيوانية كانت ام نباتية وشرح دورة حياة بعضها فيها وطبائعها وسلوكها ومنافعها واضرارها ومن جهة أخرى فإن الحشرات مخلوقات مثيرة عجيبة - كما سبق - فبعضها يقدم للانسان الغذاء والكساء وبعضها الاخر يتلف هذا الغذاء ويدمر ذلك الكساء والقرآن الكريم تكلم في كثير من اياته عن الحشرات واتخذها مضربا للأمثال لبيان آثار قدرته تعالى الواضحة الجلية في هذه المخلوقات وللإنذار والترهيب احيانا وللعظة والتأمل احيانا اخرى . والآيات التي تناولت الحشرات في القرآن الكريم كثيرة

يمكن ان نجمل ما جاء فيها في النقاط التالية :

١ ـ حشرات كرمها الله سبحانه وتعالى واختصها بسورة كاملة من القرآن الكريم وهي (سورة النحل)

٢ ـ هناك حشرات أخرى كالنمل اختصها الله بسورة كاملة ايضا هي سورة النمل ، والنمل حشرات تعيش بنظام بديع متقن . وفي الآيتين ١٨، ١٩ من هذه السورة يقول الله تعالى « **حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ٠ فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ** » .. الى آخر الآيات ولقد كشف العلم الحديث أن للحشرات لغة تتواصل بها افرادها ولها اصواتها ولها مسلكها في إحداث الاصوات .

وتتعدد صور إحداث الاصوات وتختلف باختلاف انواع واجناس الحشرات . وفي كتب الحشرات نجد ان النحل والنمل والكثير غيرهما من الحشرات لها لغتها واسلوب تواصلها ومسلكها نحو التفاهم وتبادل المعلومات المتباينة المصادر .

٣ ـ في الآية رقم ٤ من سورة القارعة يقول الله « **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** » أي المنتشر المضطرب وهى اشارة قرآنية رائعة وقد كشف العلم عن انجذاب بعض الحشرات للضوء وتهافتها عليه كالفراشات الليلية التي يستهويها الضوء ثم تقترب منه حتى تقع فيه وتحترق وفي تفسير الجلالين كالفراش المبثوث أي كغوغاء الجراد وعلى هذا تكون الآية قد اشارت الى تكوين اسراب الجراد حيث ان فسيولوجية تكوين الأسراب توضح أنه عند اشتداد أشعة الشمس ونظرا لان الجراد يستهلك الدهن بدلا من الكربوهيدرات وتقليد الحوريات لبعضها وكثرة عدد الحوريات والجراد البالغ تتكون الأسراب التي تتحكم فيها عوامل مختلفة والصورة العامة هي كثرة الجراد وانتشاره واضطرابه وحيرته وهو ما يكون عليه الناس يوم القارعة التي تقرع القلوب بأهوالها ويؤيد هذا ما يصوره القرآن الكريم لنا من اهوال القيامة وكيفية خروج الناس من قبورهم سراعا كانهم الجراد المنتشر يقول سبحانه « **يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم جراد منتشر** »

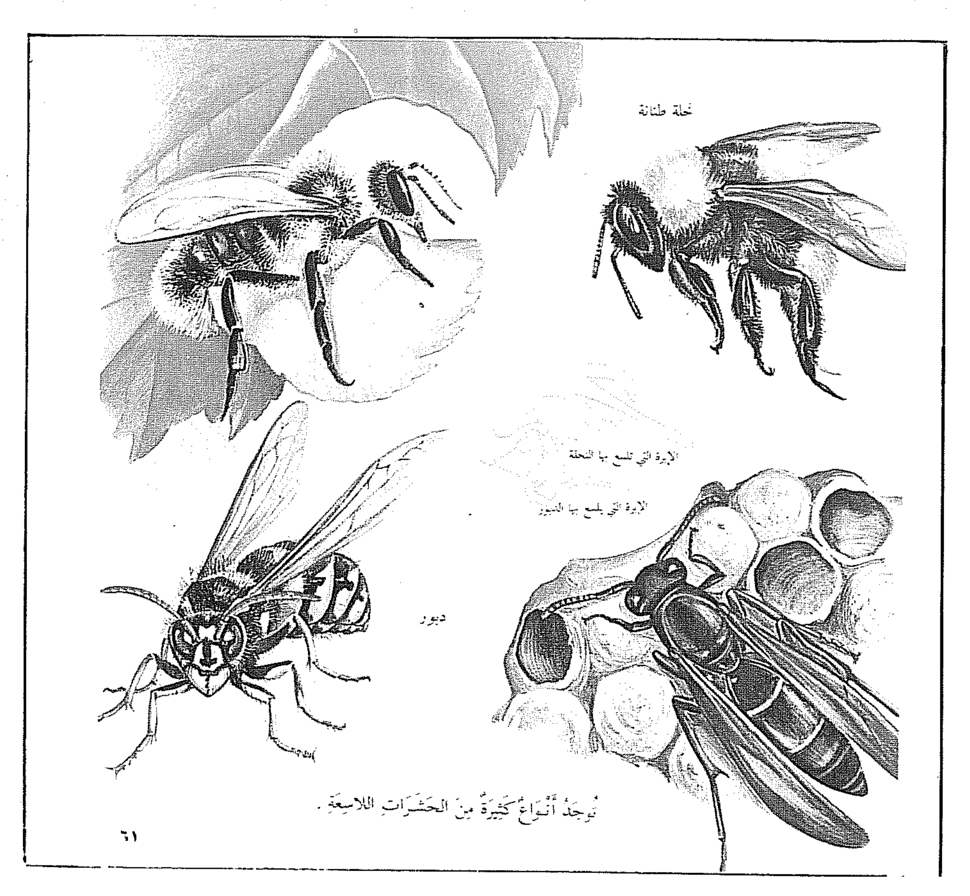
٤ ـ وفي سورة الحج الآية رقم ٧٣ نجد قوله تعالى « **ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** »

ومعنى الآية ياأهل مكة ضرب لكم مثل فاستمعوا له استماع تدبر وتفكر ان الذين تعبدون من دون الله وهم الاصنام لن يخلقوا ذبابا والذباب اسم جنس واحده ذبابة ويطلق على المذكر والمؤنث ولو كانوا مجتمعين على هذا

فما بالك ان كانوا منفردين ؟ وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب اي ضعف هؤلاء الناس وضعف معبودهم والاية تكشف عن صفة من خصائص الحشرات وتسمى « بالإصرار » وهذه الصفات التي أَهّلت الحشرات لمنافسة الانسان والانتصار عليه أحيانا. فإذا ما حاول إنسان إبعاد الذباب عن طعامه فلن يقدر على ذلك وتستمر الحشرات في اصرارها ولا توجد طريقة تحول بينها وبين الطعام الا موتها أو إبعاد الطعام من هذا المكان .

ويدلل هذا المثل على أن الله سبحانه وتعالى يبين للناس أن اقل المخلوقات في نظرهم قد تسلبهم غذاءهم وتلوثه ولا يستطيعون انقاذ طعامهم من بين براثن هذه المخلوقات « الذباب » وتلمس هذا المعنى في الآية الكريمة « **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** » **الى اخر الآيات** من سورة البقرة .

٥ ـ واذا كان انتاج الجاميطات المؤنثة دون الاحتياج للمشيج المذكر في علم الحيوان يعبر عنه بالتوالد البكرى « العذري »والذي يتمثل بصورة دائمة



تُوجَدُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الحَشَرَاتِ اللاسِعَةِ .

في نحل العسل ودورية في حشرات المن ومؤقتة في حشرات اخرى . واذا كان الامر عاديا في الحشرات، والتزاوج البكري احدى صور التكاثر في الحشرات فإنه محل استغراب وتعجب وتساؤل في بنى البشر تقول الآية ٤٧ من سورة آل عمران

« **قالت رب أني يكون لى ولد ولم يمسسني بشر قال كذلكِ الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون** » وظاهرة التوالد العذري في الحشرات من الصفات الهامة التي تؤهلها للبقاء والتكاثر اذا شق وصعب اجتماع الجنسين او حالت عوامل بيئية دون التقاء الذكور بالاناث .

٦ ـ تتحدث الاية ١٣٢ من سورة الاعراف عن بعض الكوارث والنكبات التي ينزلها الله بمن يشاء من عبادة المذنبين فيقول « **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين** » ونجد ان الله سبحانه وتعالى قد عد الجراد والقمل من هذه الكوارث العظام والجراد معروف بشراهته والتهام كل ما هو اخضر على سطح الارض وهو وباء قديم حديث له غاراته الدورية التي ترتبط بالتغير في المجموعة الشمسية واسرابه معروفة يبلغ عدد الجراد احيانا في السرب الواحد (٥٠) مليون جرادة وتأكل الجرادة في اليوم الواحد وزن جسمها مواد غذائية .

والمراد بالقمل تلك الحشرات الضارة بصحة الانسان والحيوان والتي تعيش متطفلة ومتخصصة على امتصاص دم العائل سواء كان انسانا ام حيوانا مستأنسة ويطلق ايضا على حشرات واسعة الانتشار وماصة للعصارة النباتية باجزاء فمها الثاقبة الماصة وهى حشرات قمل النبات (**المن بانواعة المختلفة**) .

وقد يطلق على انواع معينة من الحشرات المعروفة بالبق وبهذا فإن القمل متعدد الأنواع والعوائل المختلفة من نبات وحيوان وغيرها .

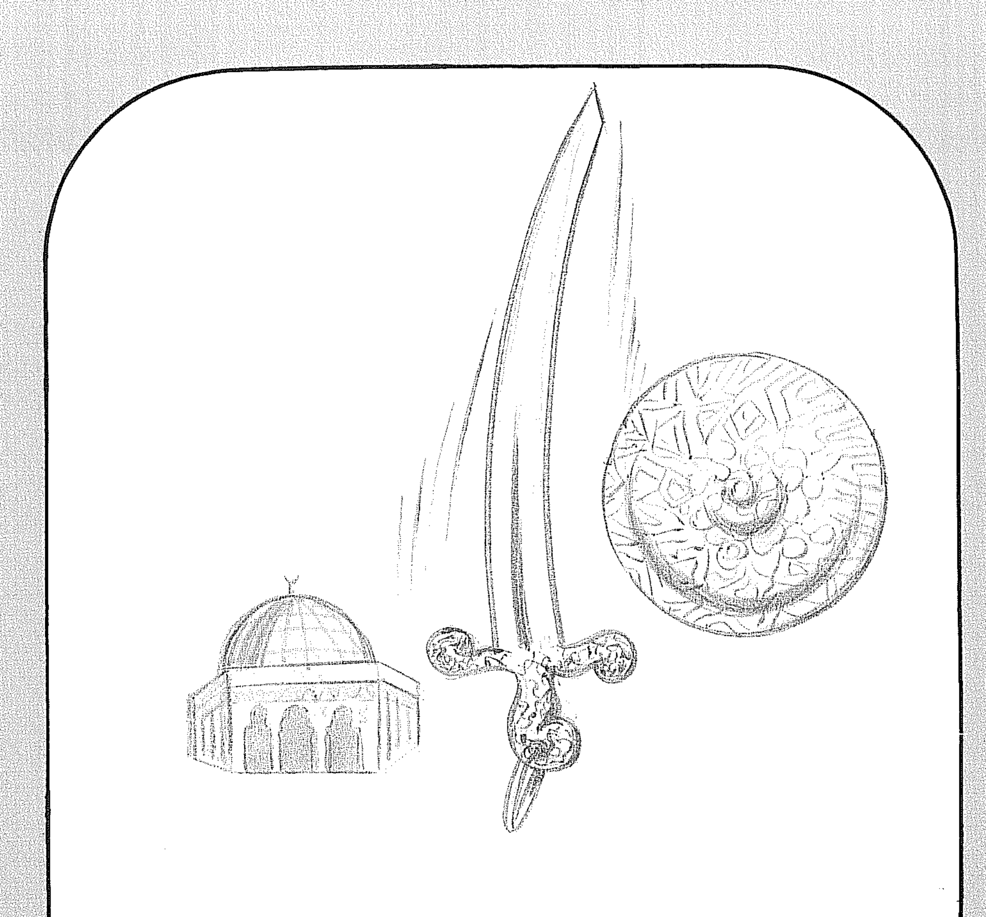
وبعد هذه النظرة السريعة عن الحشرات في القرآن الكريم والخواطر التي اثبتناها نقرر ان القرآن ليس كتابا عن علم الحشرات لكن ما جاء فيه عن الحشرات كان مثالا للناس للعظة والتدبر والتفكر في خالق هذه الكائنات الضعيفة والقوية . الضارة اشد الضرر وابلغه والنافعة اعظم نفع واشمله .. وما يستتبع ذلك من اختلاف في الشكل والحجم والطباع والسلوك .. وصدق الله العظيم اذ يقول « **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء** » الآية ٣٨ من سورة الأنعام ألا ترى ان الحشرات معظمها يطير بالاجنحة وان كانت علميا بعيدة عن الطيور فهي لا فقاريه مفصلية الأرجل لها ثلاثة ازواج من الارجل في الطور الكامل وبعض الحشرات لا يطير وهى من دواب الارض .. بكل تاكيد سبحان الله جل علاه .. ولا موجود بحق دونه .

أعطني سيفاً

للأستاذ/ جميل عياد الوحيدي

أعطني سيفا قديما .. من سيوف المسلمين
سل في بدر .. وفي حطين .. أو في ميسلون
أعطني سيفا قديما .. من سيوف الفاتحين
من سيوف .. لا تهاب الموت أو تخشى المنون
سله للكفر .. مولانا إمام المرسلين
طهر الأرض .. من الشرك .. وكل المشركين
أعطني سيفا .. أبدد غبشة الصبح الحزين

***



أعطني سيفا قديما .. سله خير امام
ان هذا الليل .. قد طال .. وقد طال الظلام
إيه يا قدس ! وواها لك .. يا رمز السلام
خانك الحب ... وهل يجديك ... عشق أو غرام
والردي يلقاك ... من غير مجن أو حسام
من يهود الغرب ... والشرق ... حثالات الأنام

***

أعطني سيفاً قديماً .. من سيوف المسلمين
سل في بدر .. وفي حطين .. أو في ميسلون
أعطني سيفاً .. به أبتر رقاب الظالمين

❊❊❊

أعطني سيفاً .. واطلقني .. ولا تمسك يديا
واحم ظهري .. يا أخي .. أن يعتدي يوماً عليا
واحم أوطاننا .. مهرناها .. دماً منا زكيا
واحذر الغدر .. فإن الغدر .. مذموم لديا
أنني ناديت كل العرب .. أن هبوا إليا
ولقد أسمعت من ناديت .. لو ناديت حيا

❊❊❊

أعطني سيفاً قديماً .. من سيوف المسلمين
سل في بدر .. وفي حطين .. أو في ميسلون
أعطني سيفاً .. به أمحو وجوه الخائنين

❊❊❊

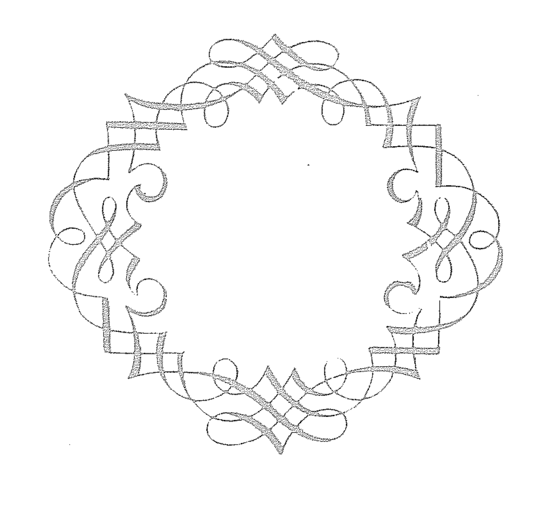
أنثر الورد .. على قبر الشهيد ابن الشهيد
في بلاد العرب .. والإسلام .. في كل صعيد

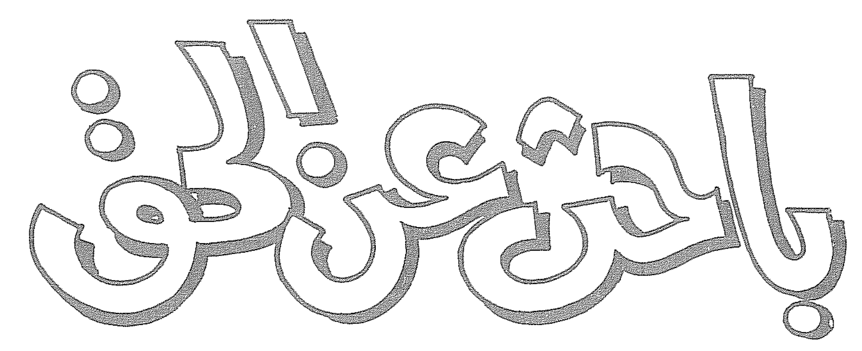
كبر الجرح ... «بصبرا» آه يا صبرا الصمود
كبر الجرح ... وعم الظلم أرجاء الوجود !!

واستحر القتل ... وامتد الى كل وريد
واستكان القوم ... للذل ... وهانوا كالعبيد

***

أعطني سيفا قديما .. من سيوف المسلمين
سل في بدر ... وفي حطين .. أو في ميسلون
أعطني سيفا قديما .. اعطك النصر المبين





يحكي الحبر اليهودي « زيد بن سعنة » قصة اسلامه فيقول :

(ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه وهما :

١ - يسبق حلمه جهله .

٢ - ولا تزيده شدة الجهل الا حلما .

وذات يوم حانت الفرصة ليعلم اتصافه صلى الله عليه وسلم بهما
شاهد رجلا بدويا يقول يا رسول الله :

لي نفر في قرية « بني فلان » حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدا . فأسلموا . وقد أصابتهم سنة (جدب) وأخشى أن يخرجوا من الاسلام طمعا كما دخلوه طمعا . فان رأيت أن ترسل اليهم بشيء . فعلت . فنظر صلى الله عليه وسلم الى رجل إلى جانبه - أراه عليا - فقال :

يا رسول الله . ما بقى منه شيء .

وكانت فرصة لزيد بن سعنة الذي قال :

فدنوت منه وقلت : يا محمد :

هل لك أن تبيعني تمرا معلوما الى أجل معلوم ؟

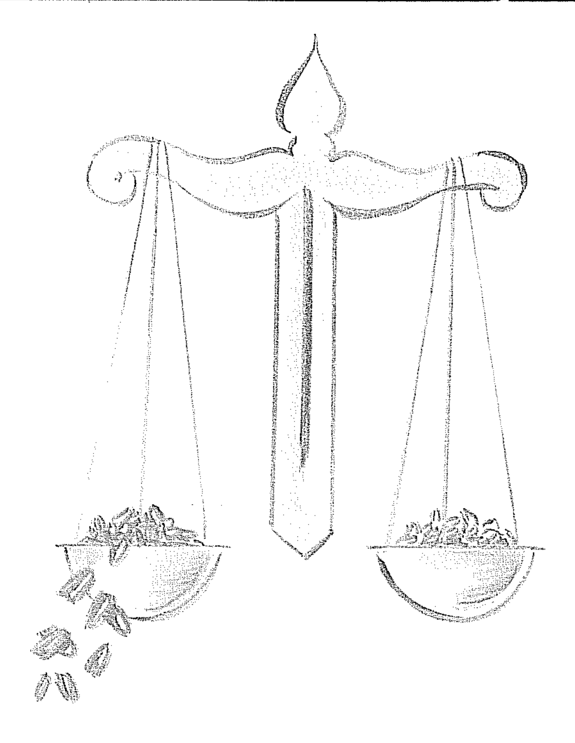
قال : فباعني . فأعطيته ثمانين مثقالا من ذهب . في تمر معلوم الى أجل كذا وكذا .

فأخذ صلى الله عليه وسلم هذا الذهب . وأعطاه للرجل وقال له :

اعدل عليهم . وأغثهم .

قال زيد بن سعنة :

فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة .. خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم في نفر من أصحابه . فلما صلى على الجنازة . ودنا الى الجدار ليجلس اليه . أتيته فأخذته بمجامع قميصه وردائه . ونظرت اليه بوجه غليظ . وقلت له : يا محمد .. ألا تقضيني حقى ؟



للدكتور / محمود محمد عماره

فوالله ما علمت بنى عبد المطلب الا مطلا . ولقد كان لي بمخالطتكم علم .
ونظرت الى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير . ثم رماني ببصره وقال :
يا عدو الله : أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع . وتصنع به ما أرى ؟
فوالذى نفسى بيده لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفى رأسك . ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليَّ في سكون وتؤدة .
فقال يا عمر :
أنا وهو كنا في حاجة الى غير هذا : أن تأمرني بحسن الأداء . وتأمره بحسن الطلب ..
اذهب به يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما روعته .
قال زيد : فذهب بي عمر فأعطاني حقي . وزادنى عشرين صاعا من تمر .
فقلت : ما هذه الزيادة يا عمر ؟ قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما روعتك .

قال : أو تعرفني يا عمر ؟ قال : لا .
قلت : أنا زيد بن سعنة .
قال : الحبر ؟
قلت : الحبر!!
وقد خبرت فيه علامتين ووجدتهما . فأشهدك يا عمر أنى قد رضيت بالله ربا . وبالاسلام دينا . وبمحمد نبيا .
وأشهدك أن شطر مالي صدقة على بعض أمة محمد .
فرجع عمر وزيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال زيد :
أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ..
ولقد شاهد مع الرسول مشاهد كثيرة . ثم توفى في « تبوك » مقبلا غير مدبر).
رواه الطبراني وابن ماجه وابن حبان والحكام وغيرهم .

تمهيد

كان بعض الفقهاء ينهض من فراشه ليلا ويصفق !
وقبل أن تتهمه زوجه بالجنون يقول لها :
لقد اهتديت الى حكم شرعي في مسألة تهم المسلمين !
واذا سعد واجد الحكم الشرعي . فكم تكون سعادة رجل وجد نفسه بعد ضياعها ؟
لاشك أن نصيبه من السرور أربى ..
وكذلك كان « زيد بن سعنة » رضى الله عنه .. والذى يحكي قصة اسلامه كما يحكى الذى برىء من علته ما لاقاه من عناء في مرضه .. فإذا كان المرض .. مرض نفس تصح اليوم بالايمان .. فلا شك أن الحديث عن ذكريات علته يكون ممتعا .
من هو زيد ؟
إنه حبر من أحبار اليهود : طالما كاد للاسلام كيدا . وقعد للمسلمين كل مرصد مع رفاقه من الأحبار . وعباد الوثن .
لكن تحولا خطيرا يطرأ على حياته . حين يوجه القدر الأعلى الرياح على ما تشتهي السفن ..
لقد تحركت الرغبة في قلب مركز من مراكز القوى المعادية ليضاف الى رصيد الاسلام ..
بيد أن الرغبة لم تتجه الى بطون الكتب تسائلها عن مدى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعواه .. فقد تكفلت بذلك التوراة .
لكنه قرر أن يكون بحثه ميدانيا وعلى الطبيعة . فيما يشبه الاختبار العملي :
فاذا ثبت حلمه أمام شدة الجهل فقد تمت كلمة الحق صدقا وعدلا .

ذلك بأن معرفة الرجال لا تتم عن طريق المراسلة !
وحين أراد « أبو ذر » رضى الله عنه أن يدخل في الاسلام أرسل أخاه ليستطلع أمر محمد .. فلما عاد لم يشف غليله . فقرر أن يتصل بالرسول شخصيا ليولد ايمانه قويا . وكذلك فعل « زيد بن سعنة »

● الأقدار تدبر للدعوة ●

جاء الداعية البدوى يطلب معونة عاجلة . على مسمع من زيد .
وقد كان الداعية بدويا . لكنه كان ذكيا :
لقد أطمعهم حين أقنعهم بدين سيسعدون في ظله .. ثم أدرك بحسه البصير قسوة النتائج لو لم يتحقق الفردوس الموعود !
وخاف على الذين دخلوا الاسلام طمعا أن يستهويهم الرخاء على أيدي « مبشرين » آخرين يدعونهم الى ملتهم بالطعام .. والدواء والكساء .

● نفد البند ! ●

لكن بند الدعوة كان قد نفد !
وكان هذا النفاد بداية الفرج . حين تقدم الحبر باقتراح أن يقدم للدولة دعما ماليا نظير صفقة عينية !

● الرسول يقبل المساعدة ●

ولا بأس أن تتقبل الدولة مساعدة أو قرضا ما دامت لا تتهدد عقيدتها . ونظامها .
وما دامت موقنة بقدرة مواردها على الوفاء مستقبلا بوعدها فرارا من الوقوع في مصيدة الاستعباد .
مع ملاحظة أنه عون في أضيق الحدود ..
فلم تستدن الدولة هنا لشراء كماليات . وانما استدانت لمصلحة النظام وتثبيت أركانه . وحضانة قبيلة يراد بقاؤها سندا للاسلام .

● القرض يوجه الى ما خصص له ●

ووضع القرض في مكانه وبالطريقة التى تحقق الغرض منه :
أن يكون التوزيع عادلا .
وأن يكون سريعا .

وإلا فإن صيرورة المعونة الى غير مصرفها يذهب بها بددا . وتظل حاجة الأمة متجددة الى مزيد من المعونات يتسع بها الخرق على الراقع .

● ساعة الصفر ●

وتبدو صعوبة الاختبار .. ويبدو أيضا كيف ثبتَ الرسول بحلمه أمام شدة الجهل . فكان الانتصار :
اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من الجدار ليستريح .. وقبل أن يجلس :
يهجم عليه زيد . والرسول صلى الله عليه وسلم في كوكبة من أصحابه ..
ثم أخذ بمجامع ثيابه ..
رماه بملامح غاضبة ..
ناداه باسمه المجرد : يا محمد .
منكرا عليه تباطؤه في قضاء دينه ..
مؤكدا بالقسم أن مماطلته تحدرت من عشيرته اليه .. زاعما أنه لمسها عن خبرة وتجربة لاعن سماع !؟
فإذا علمت أن زيدا تعمد أن يجيء قبل حلول الأجل بأيام . علمت كيف أحكم الرجل خطته ليبلغ الجهل منتهاه .. ثم لينظر ما يسفر عنه الامتحان .

● الحكمة تنهي الأزمة ●

سكت صلى الله عليه وسلم . إلا أن عمر من بين الصحاب غلى قلبه كالقدر . ورمى زيدا بنظرة كأنها السهم مهددا بقتله لولا مخافة أن يخسر بقتله حب الرسول صلى الله عليه وسلم .
وكان المتوقع أن يعنف الحبر من قبل الرسول .. لكن العتاب اتجه الى عمر .
لقد أحسن الحبر ابتداء حين أقرضنا ..
وكان من واجبه أن يحسن الطلب لتتم الصورة كمالا ..
لكنه بسوء تصرفه أضاع فضل الابتداء .. وحاجته مسَّاسَة الى موعظة لا الى سيف ؟!
وقبل ذلك : ما كان أحرى عمر أن يتجه بالأمر الى من اقترض أولا .. وقبل أن يسدد سهمه الى زيد . ثم .. هل المطلوب أن تسحق عدوك .. أم أن تقومه ليكون معك ؟
إنه شر يراد توجيهه الى الخير .. ألا وان مغالبة الشر بالحكمة يحوله الى خير .. كما يتحول الفحم بطول الاختزان في باطن الأرض الى ماس غالي الثمن .

ان سيف عمر مطلوب .. ولكن على جبهة القتال .. أما هنا فالحكمة تأخذ بزمام الموقف تدعيما للدعوة . وتوجيها للرجل كي يمضى معنا الى حيث نسير .

لحظة الانبهار

وقف الحبر اليهودي مأخوذا بموقف .. يحتفظ له بحقه .. وبعد ما فعل .. بينما يعود عمر بلوم رسول الله .. كل ذلك وهو وحده يواجه الدولة كلها !
إنها إذن لحظة الميلاد الجديد .
لقد وجه السكان اليهود في مستعمرة قريبة من « بئر سبع » انذارا الى امرأة يهودية تدعى « شوشانا » وإلى زوجها بمغادرة المنطقة بأسرع وقت والا أحرقت الأسرة كلها .

وذلك بسبب أنها أنجبت طفلا وسمته محمدا !!
وهكذا تهدد أسرة بالاحراق لمجرد أن سمت ولدها محمدا .. لكن زيدا يفعل فعلته .. ويمسك بخناق رئيس الدولة وفي عقر داره . ثم لا يسقط حقه .. حتى اللحظة التى روع فيها من تهديد عمر لاتمر بدون ثمن تدفعه الدولة مع أنه هو الذى ساق الى نفسه الترويع بسوء تصرفه !!
وتأتي نتيجة الامتحان لتؤكد صفة الرسول صلى الله عليه وسلم الذى حقق بحلمه هذا اصطفاءه بالنبوة !

عمر بالذات

وكان من الممكن أن يصحب « زيدا » رجل غير عمر رضي الله عنه .. ولكنه صلى الله عليه وسلم يحقق العدل في أسمى معانيه حين يكلف عمر بالذات . والذى يتخلص من كل مشاعر العداء للرجل ولاء وطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. وليعلم الناس أن الحق أكبر دائما .. والا فلو كان الحكم للهوى لكان للرجل مع عمر حساب آخر !

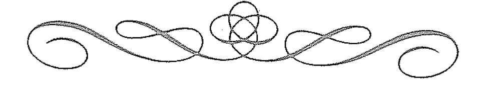
ميلاد الحقيقة

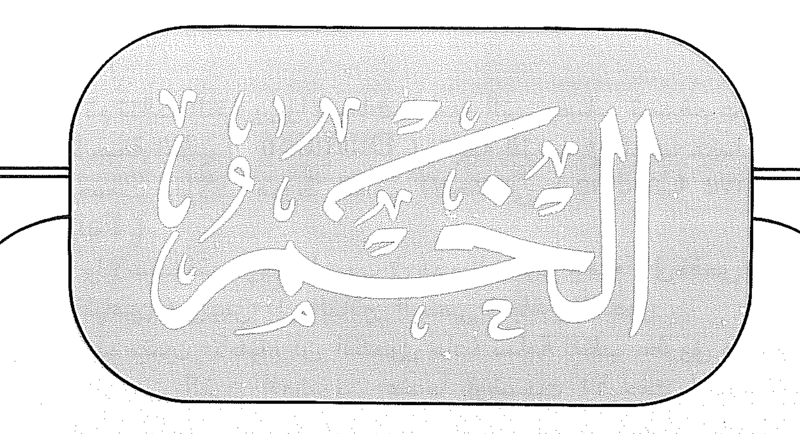
وأسلم الحبر اليهودى .. وجب الاسلام ما قبله .. كما جب إسلام عمر أيضا ما قبله ..
وَقَدَّمَ « زيد بن سعنة » الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوراق اعتماده سفيرا للحق ..

لقد رأى زيد محمدا قبل ذلك .. إلا أنه رآه كما كان أبو جهل يراه : يتيم أبي طالب .
لكنه يراه اليوم رسولا نبيا ..
واذا كان لكل معرفة . حقيقة .. ومتعة .. وثمرة .. فقد اهتدى زيد الى الحقيقة بعقله .. واستمتع بها بقلبه .. وكان من ثمراتها أن توفى كما تقول وقائع السيرة في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر !

● درس للدعاة ●

ان السلوك الواعى المعبر عن مواقف أصيلة هو السلوك الذى يصل الى غايته - ويكون له الاستمرار والدوام . بفضل عدم تحكم النزعات الفردية فيه . أو الايماءات العشوائية . ولما فيه من قدرة على تغاضي صغائر الأمور وتوافهها .
إنه سلوك يترفع عن الشكليات والعفويات .
هذا السلوك الواعى هو الذى حثنا عليه ديننا الحنيف . وهو الذى جسده لنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم . بسلوكه الشخصي في عصر النبوة .
وهو الذى دعانا الى اتباعه فى كل المناسبات .
وعلى شبابنا أن يتأمل ذلك . وأن يتمثل المبادىء القرآنية في سلوكه . ويقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم في تطبيق هذا السلوك .
وكيف كان صلوات الله وسلامه عليه يقنن العلاقات بالمعايير الصحيحة الواعية .
ملتزما بمواقف وأهداف سليمة أصيلة بعيدة عن العفويات . ليس فقط في علاقاته مع من آمن به . بل حتى مع عدوه . منطلقا من المبدأ القرآني السامى :
(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن) ١٢٥ / النحل .
وليت شعرى .. ان إسلام زيد وحده خير دليل على أحقية الاسلام بالاتباع .. ألا وإن موقف رجل في ألف رجل .. أبلغ من قول ألف رجل .. في رجل ؟!





وأمراض القلب والدورة الدموية

للدكتور / محمد علي البار

رغم ان الاطباء ظلوا يتحدثون فترة طويلة من الزمان عن فوائد الكحول للقلب الا أن هذه الفوائد المزعومة قد تلاشت وحل محلها مجموعة من الامراض التى تسببها الكحول .

وقد كان الدكتور وود (Wood) من أوائل الاطباء الذين نبهوا سنة ١٨٥٥ على كون الخمور احد اسباب هبوط القلب . . وقام والش (Walshe) بوصف تنكرزوموت (Localised Cirrhosis) في عضلة القلب لدى مدمنى الخمور .

ثم تتالت التقارير والابحاث الطبية التى وصفت تضخم عضلة القلب وزيادة سعة القلب (Dilataion) نتيجة التمدد في ألياف عضلة القلب .. كما وصفت حالات هبوط القلب الاحتقانى (Congestive Cardiac Failure)

وللأسف فقد أرجع السبب في هذه الحالات جميعا الى نقص فيتامين ب١ (الثيامين) وليس الى التأثير السمى المباشر للكحول .

ولم يتبين الأطباء أن الكحول مادة سامة للقلب بطريق مباشر الا في الستينات من القرن العشرين عندما أوضحت الأبحاث المستفيضة أن استخدام الكحول وشربه لفترة من الزمن تسبب اعتلال عضلة القلب (Cardiomyopathy) رغم عدم وجود أي نقص في فيتامين ب ١ وقد وجد أن بعض الاشخاص يصابون بهذا الاعتلال (Cardiomyopathy) بمجرد شرب الكحول ولو على فترات متباعدة .

ويؤدى شرب الكحول الى تغييرات في وظيفة القلب ويتضح الخلل ميكانيكيا أي أن ضخ القلب للدم يتأثر وذلك بنقصانه نقصانا كبيرا أو أن كهرباء القلب تضطرب فتضطرب لذلك نبضات القلب (Dysrrythmia) أو كلاهما معا وهو أمر غير نادر الحدوث .

التغييرات الميكانيكية

إن الكحول تقوم بتثبيط عمل عضلة القلب فيقل ضخ الدم من القلب وتقل الكمية التى يضخها القلب في الضربة الواحدة (Stroke Volume) كما تقل الكمية التي يضخها في الدقيقة (Cardiac outbut) .

وقد أثبتت الأبحاث التى لا حصر لها تأثير شرب الكحول لفترة طويلة من الزمن على عضلة القلب . ولا يوجد أدنى ريب في أن المدمن يعاني من هبوط في القلب وهناك أبحاث أخرى تقول : إن ذلك الأثر لا يقتصر على المدمنين .. بل إن شرب كمية بسيطة من الكحول (اوقيتين أو ثلاثا من الويسكى) لمرة واحدة فقط تؤدي الى نقصان ضخ القلب للدم وخاصة اذا كان قلب هذا الشخص يعانى من مرض سابق .

وقد وجد الباحثون أن أوقيتين من الويسكى اذا أعطيت لمريض يعانى من الذبحة الصدرية (Angina) فإنها تسبب له على الفور ذبحة صدرية وتظهر الآثار في تخطيط القلب .

وهذا يدلل على أن إعطاء مريض الذبحة الصدرية الكحول كعلاج هو وهم قاتل .. وليس له أي أساس من الصحة ، بل إنه يؤدي الى تفاقم مرض الذبحة وقد يؤدي الى جلطة القلب .

وقد توهم أحد العلماء الأجلاء المعاصرين ، بناء على إخبار الأطباء أن

الكحول علاج للذبحة الصدرية وجلطات القلب .. وقد أفتى بناء على ذلك بجواز شربها للعلاج .

والفتوى خاطئة من عدة وجوه : أولها ، وأهمها : أن الكحول ليست دواء للذبحة ولا للجلطة بل هي أحد العوامل التي تزيد من حدوثها وثانيها : أن الكحول تسبب اعتلال عضلة القلب .

وثالثها : أن جمهور الفقهاء لا يسمحون بتناول الخمر الصرفة للدواء لورود الاحاديث الصحيحة بالنهي عن استعمال الخمر كدواء مثل قوله صلى الله عليه وسلم لطارق الجعفي الذى كان يصف الخمر للدواء . « انه ليس بدواء ولكنه داء » (أخرجه مسلم وأبوداود والترمذي) .

ولقوله صلى الله عليه وسلم « إن ذلك (أي الخمر) ليس بشفاء ولكنه داء » (اخرجه مسلم) ولقوله « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » اخرجه البخاري .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة ومن اتى بعدهم عن استعمال الخمر كدواء وحرم بذلك استخدامها كترياق .. والجمهور من الفقهاء على هذا القول والطب الحديث يؤكد صدق ما قاله المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله من أن الخمر داء لا دواء .

وقد أظهرت الابحاث الطبية أن أوقيتين من الويسكى فقط تسبب انخفاضا في عمل القلب بنسبة (٢٠) بالمئة . كما لاحظ ريجان أن ست أوقيات من الويسكى أدت الى عدم قدرة البطين الايسر على الضخ مما أدى الى ارتفاع الضغط داخل البطين الايسر في الحالة الانبساطية (Increased End Diastotic Pressuse) .

وهي احدى علامات هبوط القلب . كما لاحظ باحثون آخرون زيادة احتقان الرئتين بالدم بعد شرب الكحول . وهى علامة أخرى على هبوط القلب .

التغييرات الكهربائية :

تؤدى التغييرات الكهربائية الى اضطراب نبض القلب وعدم انتظام ضرباته وهذه قد تؤدى الى الوفاة فجأة (Sudden death) أو تزيد من اعتلال عضلة القلب ..

وقد تظهر هذه الاضطرابات في كهرباء القلب حتى مع عدم وجود اعتلال واضح في عضلة القلب . اما الاضطرابات المصحوبة باعتلال عضلة القلب فتعتبر علامة لهذا الاعتلال وأحد مؤشراته .. وتحدث الاضطرابات في نبض القلب (Dysrythmia) سواء كانت أذينية أم بطينية . إما كعلامة أولى لحدوث اعتلال القلب الكحولي أو في نهاية المرض أو فيما بين ذلك .

وقد وصف اتينجر (Ettinger) نوبات اضطراب في نظم القلب (Paroxysmal Dysrhythmia) نتيجة الانغماس في الشراب أثناء

الاجازة .. وتحصل جميع أنواع اضطراب النظم القلبي ولكن أكثرها حدوثا هو الذبذبة الأذينية ـ Auricular Fibrillation

وقد أثبتت فحوصات رسم القلب وجود علامات اضطراب كبيرة تدل على اعتلال عضلة القلب ذاتها مثل زيادة طول فترة P — R وفترة QT مما يعني أن التوصيل الكهربائي في القلب متعثر Conduction Defect

وقد وجد أن جميع من يعانون من أي اضطراب في نظم القلب ولو كان ذلك بسيطا يواجهون مصاعب جمة ومضاعفات كبيرة اذا هم شربوا الكحول . إذ إن شرب الكحول يؤدى الى زيادة اضطراب نظم القلب والى استمراره

ويقول الدكتور : سجيل وزملاؤه

«إن الدراسات المتعددة قد أثبتت أن شرب الكحول ولو لمرة واحدة يحدث تغييرات ميكانيكية وكهربائية في وظيفة القلب .. وتزداد هذه التأثيرات وضوحا وحدة اذا كان متعاطي الكحول ولو لمرة واحدة مصابا بمرض في القلب سواء أكان ذلك المرض ناتجا عن ادمان الكحول أم غيره من الاسباب » .

وتسبب الكحول العديد من أمراض القلب بعدة طرق :

فمنها ما تسببه نتيجة نقص بعض الفيتامينات مثل فيتامين ب١ (الثيامين) (Thiamine) وهو المرض المشهور باسم بـرى بري (Beriberi) ومنها ما تسببه نتيجة للتأثير السمى المباشر على عضلة القلب مثل اعتلال عضلة القلب الكحولي (Alooholic Cardiomyopathy) ومنها ما تسببه عن طريق زيادة دهنية الدم (Hyperlipideamie) وتصلب الشرايين ويؤدى ذلك بالتالى الى الذبحة الصدرية (Angina Pectonis) أو الى جلطة القلب (Coronary Thrombosis) .

كما أن منها ما يؤثر بطريق غير مباشر مثل فقر الدم الشديد الذى يصحب كثيرا من حالات الادمان . ومنها انخفاض ضغط الدم Postural Hypotension عند الوقوف والناتج من إصابة الجهاز العصبى التعاطفي Sympathetic Nervous system والذى يتحكم في انقباض الاوعية الدموية .. فاذا أصيب هذا الجهاز نتيجة شرب الخمور أدى ذلك الى فقد التحكم في انقباض الاوعية الدموية فيؤدى ذلك الى انخفاض ضغط الدم عند الوقوف من وضع الاستلقاء . ويؤدى هذا الانخفاض المفاجىء الى نقص في الدورة الدموية المغذية للمخ وللقلب فينتج عن ذلك إغماء وقد تكون السبب والبداية جلطة الاوعية الدموية للمخ فيسبب ذلك شللا ـ (فالج) ـ وجلطة في الاوعية الدموية للقلب (أي جلطة القلب) وقد يحدث ارتفاع في ضغط الدم نتيجة شرب الخمور ويؤدى الى مضاعفات عديدة على القلب والدماغ والكلى .

مرض البرى برى : (Beriberi)

وهو مرض مشهور وأكثر وقوعه في جنوب شرق آسيا وفي المساجين وأسرى الحرب ومدمنى شرب الخمور .

والسبب في ذلك هو نقص فيتامين ب١ (الثيامين) (Thiamine) الموجود في قشرة القمح وقشرة الارز وفي كثير من الفواكه والخضروات والحليب واللحوم . ويظهر هذا المرض عند من يعتمدون في غذائهم على الأرز المبشور أي بعد إزالة قشرته ويظهر عند أسرى الحرب لسوء تغذيتهم كما يظهر عند المسجونين وبين الفقراء في جنوب شرق آسيا بل انه يصيب الطفل الرضيع اذا كانت الأم تعانى منه فإن لبنها يصبح فقيرا في هذا الفيتامين وينتج عن ذلك الاصابة بمرض البرى برى .

اما مدمنو الخمور فيصابون بنقص هذا الفيتامين نتيجة للعوامل التالية :

١ ـ سوء التغذية الناتجة عن شرب الكحول .

فمدمن الخمر فاقد لشهيته نتيجة التهاب المرىء والمعدة المزمن ، كما أن تكرر القىء يفقد الجسم كثيرا من المواد الهامة ويضاف الى ذلك أن مدمن الخمور ينفق أمواله في شراء الخمر ولا يهتم بشراء الطعام الجيد .. وهكذا تتضافر العوائق المالية مع العوامل المرضية في تسبب سوء التغذية .

٢ ـ سوء الهضم والامتصاص :

ويضيف هذان العاملان عوامل جديدة لسوء التغذية .. فهضم الطعام سيىء نتيجة التهاب المعدة وامتصاصه عسير نتيجة التهاب الأمعاء .. كما أن اصابة الكبد تجعل المخزون من الفيتامينات فيها قليلا جدا .

إن الكحول مادة ذات سعر حرارى عال وكل جرام من الكحول يطلق سبع وحدات حرارية ومن المعروف ان المواد الكربوهيدراتيـة ـ النشويـة (Carbohydrates) تحتاج الى كميات وافرة من فيتامين ب١ حتى يمكن تمثيلها وتحويلها الى طاقة وماء وغاز ثانى أكسيد الكربون .

أما الكحول فإنه يحتاج الى أضعاف تلك الكمية من فيتامين ب١ (الثيامين) .

ونحن نعرف أن جلوكوز الدم (سكر العنب) تأخذه خلايا الجسم وتحوله إلى طاقة وماء وثانى أكسيد كربون عبر عمليات كيمائية معقدة (أكثر من أربعين معادلة كيمائية) . ويتحول الجلوكوز ضمن هذه العمليات المعقدة الى حامض البيروفيك (Pyruivic Acid) الذى يحتاج الى فيتامين ب١ لتحويله الى حامض الأوكسال استيك (Oxal Acetic) أو الى حامض الخليك (acetic acid) اللذين يدخلان في دورة كريب الهامة .

حامض البيروفيك فيتامين ب١ + ثانى اكسيد كربون ـــــ حامض الاوكسال استيك .

ونتيجة لنقص فيتامين ب١ في الجسم يزداد لذلك حامض البيروفيك في الجسم وفي الدم ويرتفع من نصف مليجرام في كل مائة سنتى من الدم الى مليجرامين في كل مائة سنتى من الدم وتزداد بذلك حموضة الدم . ويؤثر هذا بالتالي على انتاج الطاقة المطلوبة لعضلة القلب وهذا هو السبب في تأثرها .

ويحتاج الشخص البالغ الى مليجرامين من هذا الفيتامين بينما يحتاج الطفل الى مليجرام واحد .. وتزداد إليه حاجة الأم أثناء الحمل أو الرضاعة .

ويسبب نقص هذا الفيتامين الاضطراب الذى شرحناه في انتاج الطاقة من المواد النشوية (أي من جلوكوز الدم) على وجه الخصوص والذى هو الغذاء الأمثل للقلب والغذاء الوحيد للجهاز العصبى كمصدر للطاقة .

ان هذه العضلة العجيبة المعجزة تقوم بهذا العمل الجبار دون أن تشكو أو تئن طالما أنها تجد الطاقة الآتية من سكر الدم ـ الجلوكوز ولكن كما شرحنا كيف تعطل الكحول انتاج هذه الطاقة الضرورية جدا لعمل القلب الجبار . فتكون النتيجة أن يتضاعف عمل القلب بينما الوقود الموجود لأداء هذا العمل قد قل .. ويحاول القلب جاهدا أن يعوض النقص بأن يتمدد ويتضخم فتتضخم نتيجة لذلك عضلة القلب ويزداد وزنها الطبيعي (ثلاثمائة جرام) الى أضعاف ذلك .

وعندما نقوم بفحص عضلة القلب بالميكروسكوب ـ المجهر ـ نرى الخلايا العقلية للقلب متمددة وبها فراغات مليئة بسائل مائي كما نرى بعض الخلايا وقد استبدلت بألياف جامدة .

وعند فحص المريض نجد أن النبض سريع جدا كما نجد أن الفرق بين الضغط الانقباضي (Systolic B . P) والضغط الانبساطي Diasto-lic B . P كبير ونجد الاوداج منتفخة Jugular Venous Pressure كما نجد أقدام المريض متورمة بسبب الاوديما (Oedema) وعند الاستماع الى دقات القلب بالسماعة الطبية نسمع لغطا ـ (نفخة) ـ انقباضيا Systolic Murmer وهكذا نرى بوضوح أن المريض يعانى من هبوط القلب Heart Failure وتكون الكبد متضخمة كما وقد تكون البطن منتفخة بالاستسقاء .

وتصاب الكبد من عدة نواح نتيجة شرب الخمور ويضاف إلى ذلك الاحتقان الناتج من هبوط القلب .

وقد لوحظ أن كثيرا من هؤلاء المدمنين يموتون بسرعة مذهلة نتيجة هبوط القلب حتى في أرقى المستشفيات رغم العناية الطبية الفائقة وتحدث الوفاة احيانا خلال (٢٤) ساعة منذ بدء الأعراض وتعالج هذه الحالة بعلاج هبوط القلب المعروف أي الراحة التامة مع أخذ الدويجوكسن ومدرات

البول بالاضافة الى حقن المريض بفيتامين ب١ في الوريد أو في العضل .

وسرعان ما يشفى مريض البرى برى الناتج عن سوء التغذية أما مريض البرى برى الناتج عن إدمان الكحول فإنه قد لا يشفى لأن عضلة القلب قد تكون مصابة باعتلال آخر ناتج عن سمُية الكحول نفسه .

اعتلال عضلة القلب الكحولى :

(Al coholic Cardiomyopathy) :

تصاب عضلة القلب بالاعتلال نتيجة الآثار السمية للكحول وهذا النوع لا يشفى بإعطاء المريض فيتامين ب١ ، وذلك عكس مرض البرى برى الذى يشفى المريض بإعطائه فيتامين ب١ .

وتتضخم عضلة القلب وتتمدد الالياف العضلية كما نجد تحللا مائيا Hydropic Degeneration في خلايا القلب عند فحصها بالميكروسكوب (المجهر) ـ ونجد أن الفراغات بين الخلايا ممتلئة بالماء وهو ما يسمى الاودينا (Oedoma) كما نجد جلطات في جدار القلب من الداخل في كل من الأذين والبطين ويصحب ذلك في العادة تليف الكبد .

إن إدمان الكحول يؤدى الى اعتلال عضلة القلب الكحولي Alcohloic Cardiomyopathy وفي الغرب تعتبر (٥٠) بالمئة من جميع حالات اعتلال عضلة القلب المحتقن (Congestive Cardiomyopathy) ناتجة عن شرب الخمور وإدمانها .

ورغم أن الأشخاص يختلفون في تفاعلهم مع الكحول وتأثر قلوبهم به .. إلا أن أغلب المرضى يحتاجون لعدة سنوات (خمس الى عشر سنوات) من الشرب المنتظم لحدوث اعتلال عضلة القلب .

وهذا يختلف عن تليف الكبد حيث نجد أن التليف لا يحدث في الغالب الا بعد مرور ١٥ الى ٢٠ سنة من الاستمرار في شرب الكحول .

وقد أثبت ريجان في بحثه أن إعطاء مجموعة من الاشخاص الذين لا يعانون من أي مرض في القلب (١٦) أوقية من الويسكى يوميا لمدة خمسة أشهر ونصف أدت في غضون ستة أسابيع الى زيادة في سرعة نبض القلب والى زيادة في وقت الدورة الدموية والى زيادة في ضغط الدم الوريدي وبمرور (١٦) أسبوعا كانت هذه العلامات مصحوبة بخبب القلب ـ Gallop — rythem. وكلها علامات تدل على هبوط القلب .

وبمجرد التوقف عن شرب الخمور عادت الاوضاع المضطربة الى طبيعتها السليمة ودون إعطاء أي دواء .

وقد أثبتت الفحوصات المتعددة التى أجراها مجموعة من الباحثين كما تنقلها عنهم مجلة , Medical clinics of North America Jan ١٩

أن شرب الكحول بانتظام يؤدى الى إصابة عضلة القلب وتظهر الاصابة بوضوح وخاصة في الاجازات Holiday Heart نتيجة زيادة كمية الشراب مما يؤدى الى هبوط القلب وحدوث اضطرابات شديدة في نبض القلب .. وحدوث ذبحات صدرية .. وربما جلطات في القلب .

وقد لاحظ الباحثون تضخم عضلة القلب وتمددها مع وجود عرقلة في توصيلات القلب الكهربائية Conduction Defects مع أوديما وانتفاخ وتتكرر في ألياف عضلة القلب .

وكل انواع الخمور تصيب القلب بالاعتلال ولكن أخطرها وأسرعها إحداث الوفاة هو الكحول المثيلي (كحول نشارة الخشب) .

وللأسف فإن هذا الكحول الموجود في مزيل الطلاء والذى يمكن صنعه من تقطير نشارة الخشب يضاف الى العرق « الخمر » في الاماكن التى تصنع فيها الكحول سرا . وقد حصلت منه وفيات عديدة في الولايات المتحدة أثناء المنع أي فيما بين عام ١٩١٩ ـ و ١٩٣٣ .

كما أننا شاهدنا حالتى وفاة من هذا الكحول اللعين .

وغالبا ما تحصل الوفاة خلال (٢٤ الى ٤٨) ساعة منذ بدء الاعراض . وقد تحصل الوفاة بنفس السرعة عند شاربي الخمور الاخرى التى ليس بها كحول مثيلي .

وقد اشتهر رجال قبائل البانتو (Bantu) في جنوب أفريقيا بشرب الخمور وتسمى هناك شراب الكافر (Kaffir Drink) ووجد أن عددا ليس بالقليل يصاب باعتلال عضلة القلب الكحولى كما أن كثيرا منهم يصاب بتليف الكبد .

وعند فحص المريض نجد تضخما في القلب ولغطا انقباضيا Systolic Murmer ولكن سرعة القلب والدورة الدموية أقل بكثير من سرعتها في مرض البرى برى الذى أفضنا في ذكره . بل إن عضلة القلب نتيجة للوهن الذى أصابها لا تستطيع ضخ كميات الدم المعتادة أي ثلاثمائة لتر في الساعة . بل تضخ أقل من ذلك وهذا ما يسمى هبوط القلب ذي الضخ القليل Low Output Failure عكس ذلك الهبوط الذى يحصل في مرض البرى برى الذى يضخ القلب فيه كمية هائلة من الدم High Output Failure وعند فحص النبض نجده مضطربا وبه ضربات زائدة Extrasystoles عكس تلك الموجودة في البرى برى اذ يكون النبض سريعا ومنتظما أما هنا فهو غير منتظم وقد يصاب القلب بذبذبة أذينية Auricular Fibrillation وقد يظهر اعتلال مفاجىء بعضلة القلب بصورة وباء عند من يشربون البيرة ونبيذ التمر .

كما يظهر ذلك عند شاربي نبيذ الطارىء وهو مشروب متخمر من شجرة تشبه النخلة وتوجد في أماكن متفرقة من العالم .

أما العلاج فيكون بالراحة التامة والتوقف عن شرب الخمور البتة

وأخذ علاج القلب المعروف لدى الأطباء مثل الديجوكسين ومدرات البول والأوكسجين .

ويعطى المريض غذاء جيدا غنيا بالبروتينات والفيتامينات وخاصة فيتامين ب١ الذى يعطى على هيئة حقن في الايام الأولى ثم على هيئة أقراص بعد ذلك .

دهنية الدم والكحول :

إن شرب الخمور يؤدى الى زيادة في دهنيات الدم فترتفع نسبة التراجلسريد (Triglycerides) وهي مادة دهنية تتكون بالتفاعل بين الجلسرين واحماض دهنية .

٣ أحماض دهنية + جلسرين (جلوين) = ثلاثي الجلسرين .

كما ترتفع نسبة الكوليسترول (Cholesterol) وذلك لأن شرب الخمور يؤدى الى زيادة كمية الدهون الممتصة من الأمعاء الى الكبد كما أن الكبد تفقد قدرتها على أكسدة الأحماض الدهنية وتحويلها الى طاقة فتتجمع هذه الاحماض على هيئة تراجليسريد باتحادها مع الجلسرول .

ورغم أن الزيادة في الكوليسترول هي من نوع الكثافة الثقيلة High Density الذى له فائدة في وقاية القلب من ضيق الشرايين الا أن المحصلة النهائية ليست في صالح القلب .

وتفقد الانسجة انزيمها الخاص بإزالة المواد الدهنية أو تعطل وظيفة هذا الانزيم (Lipoprotein Lipase) .

فيؤدي ذلك الى عدم قدرة الانسجة على تخزين الدهون .

ويصاب بعض مدمني الخمور بمرض زيف Zeive ,s Syndrome وهو مرض خطير لا يصيب سوى المدمنين .

وفي هذا المرض تظهر على المريض علامات فقر دم شديد نتيجة تكسر كريات الدم الحمراء في مجرى الدم وفي الطحال بكمية هائلة تفوق تلك التى تتحطم في الشخص الطبيعي مرات عديدة .

وينتج عن زيادة تحطيم كرات الدم الحمراء وما بها من خضاب (هيموجلوبين) (Haemoglobin) زيادة كبيرة في المادة الصفراء التى تتكون من عملية تحطيم الخضاب فتزداد هذه المادة الصفراء المسماة بيليروبين (Bilirubin) في الدم زيادة كبيرة مما يسبب اصفرار الجسم والملتحمة بالعينين ويكون لون البول شديد الصفرة بل ويضرب قليلا الى الحمرة .

وتتضخم الكبد وتكون مؤلمة عند اللمس ويشتكى المريض من ألم في الشق الايمن لاعلى البطن .

وترتفع دهنية الدم في هذا المرض ارتفاعا شديدا .

كما يصاب كثير من هؤلاء المرضى بالتهاب البنكرياس الحاد Acute Pancreatitis وهو مرض خطير يؤدى الى الوفاة .

علاقة ارتفاع دهنية الدم بتصلب الشرايين :

رغم أن الكحول تسبب ارتفاعا في الدهنيات الثقيلة High Denisty Lipoproteins والتى تعتبر من العوامل المضادة لتصلب الشرايين الا أن استخدام الكحول بهذا الغرض تكتنفه المخاطر المتعددة التى تصيب القلب . ولا يوجد أي طبيب يحترم مهنته ويعرف دقائقها وما كشف منها في السنوات الأخيرة ، لا يوجد أي طبيب يصف الكحول على أساس أنها علاج لضيق الشرايين أو الجلطات . بل على العكس من ذلك يؤكد الأطباء كافة على مرضاهم بالابتعاد عن الخمر لارتباطها بأمراض القلب . ويقول الدكتور ليبر إن الدهنيات الخفيفة هي التى تزداد بصورة كبيرة .

ولا شك أن شرب الخمور يرفع نسبة الدهون في الدم . وهذا بالتالى يؤدى الى ترسيب الدهنيات تحت الغشاء الداخلي للأوعية الدموية فيضيق الوعاء الدموي ومن ثم يؤدى الضيق الى الاختناق والجلطة .

وهكذا يتبين أن الخمور ربما تؤدى الى جلطات القلب والمخ والى تصلب الشرايين بصورة عامة .

وليست كما كان يظن في السابق حتى في الدوائر الطبية من أنها توسع الشرايين التاجية .

ورغم أن الخمور تساعد مؤقتا على تمدد الأوعية الدموية في الجسم عامة وعلى الأخص الأوعية الدموية المنتشرة تحت الجلد . الا انها تفقد هذا التأثير بالنسبة للشرايين التاجية المغذية لعضلة القلب .

فإذا جمعنا أثر الخمور مع أثر التدخين وهما مرتبطان ارتباطا وثيقا ، إذ اننا نادرا ما نجد من يشرب الخمر ولا يدخن أما العكس فقد نجده ـ فإن الامر يصبح خطيرا .

والتدخين بما فيه من مادة النيكوتين يسبب ضيقا شديدا في الاوعية الدموية عامة ويرفع ضغط الدم ويزيد وجيب القلب (ضربات القلب) وتتعاون المادتان الخبيثتان في تضييق الشرايين واحدة بترسيب الدهون كما هو في الخمر والثانية بانقباض في العضلة الموجودة في جدار الوعاء الدموى وهو ما تفعله السجائر .

وبهذه الصورة تكون الخمور وخاصة مع السجائر احد أهم الاسباب المؤدية الى الذبحة الصدرية (Angina Pectoris) ... وجلطة القلب (Coronary Thrombosis) .

وقد زادت جلطات القلب في العالم زيادة مرعبة وأصبحت أهم سبب للوفاة على الاطلاق ولم تقتصر على المتقدمين في السن كما كان ذلك في الماضى

بل انها صارت تصيب الشباب أيضا . وقد كان من أندر النادر أن تصاب امرأة شابة بجلطة القلب . أما الآن فلم يعد ذلك نادرا وقد رأينا نحن حالة من هذا النوع وكانت تلك المرأة الشابة المصابة قد تعلمت التدخين وهي في سن الخامسة . نعم في سن الخامسة من العمر وابتدأت تشرب الخمور عندما كانت في السادسة عشرة وانتهى بها الأمر الى الجلطة في سن السادسة والعشرين ولعل القارىء سيذهل إن قلت له : إن هذه المرأة لم نشاهدها في أوروبا وانما شاهدناها في بلاد عربية مسلمة .

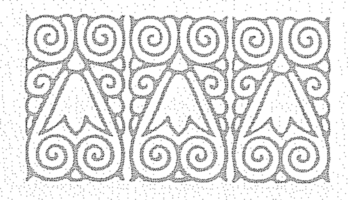
وجلطة القلب هي السبب الرئيسي لموت الفجاءة إذ إن ستين في المائة من الوفيات الناتجة من جلطة القلب تحصل في الساعات الاولى من الاصابة وثمانين في المائة من الوفيات تتم قبل مضى أربع وعشرين ساعة على الجلطة .

ارتفاع ضغط الدم : (التوتر الشريانى)

ان شرب الكحول ولو بكميات قليلة بانتظام يسبب ارتفاعا في ضغط الدم . ويؤدى ذلك الى زيادة إفراز الكورتيزول والكاتيكول أمينس (Catechol amines) ولقد ذكرت المجلة الطبية لامريكا الشمالية أن الخمر تسبب ارتفاعا في ضغط الدم بمجرد شربها ولو مرة واحدة . وعزت ذلك الى زيادة في هرمون الرينين (RENIN) والالدسترون (Aldosterone) والكاتيكول أمينس .. وقد وجد أن التوقف الفجائي عن شرب الكحول لدى مدمن الخمر يؤدى أيضا الى هذه الزيادة المؤقتة في ضغط الدم ولكن هذه الزيادة تختفي بمجرد الاستمرار في التوقف عن الشراب .

ويؤدى ارتفاع ضغط الدم الى زيادة الاصابة بالسكتة الدماغية Strokes وإصابة الاوعية الدموية للدماغ والقلب على السواء . كما يؤدى ذلك الى اصابة الكلى إصابة مزمنة .

وتأثيرات ارتفاع ضغط الدم (التوتر الشرياني) في الجسم معروفة لاتحتاج الى زيادة تفصيل .





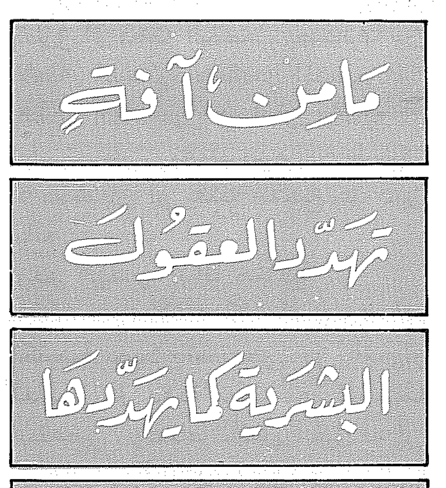
للدكتور/ نظمي لوقا

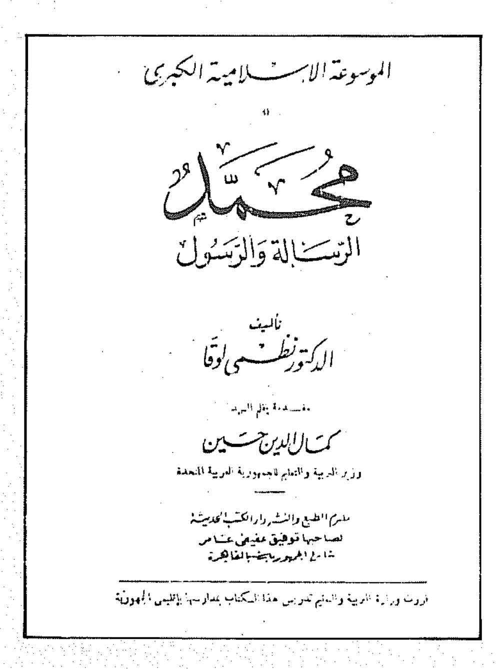
عرض وتقديم الاستاذ/ فاروق حسان

من يغلق عينيه دون النور .. يضير عينيه ولا يضير النور .
ومن يغلق ضميره وعقله دون الحق .. يضير عقله وضميره ولا يضير الحق .. فالنور منفعة للرائي لا للمصباح .
والحق منفعة واحسان الى المهتدي لا الى الهادي إليه ..
وما من آفة تهدد العقول البشرية كما يهددها التعصب الذميم الذي يفرض على أذهان اصحابه وسرائرهم ما هو أسوأ الذي البصر لأن الأعمى قد يبقى بعد فقد بصره إنسانا ، والأصم قد يبقى بعد فقد السمع إنسانا ، أما من اختلت موازين عقله أو موازين وجدانه ، حتى ما يميز الخبيث من الطيب ، فذلك ليس بانسان بالمعنى المقصود من كلمة إنسان .

بهذا التجرد المطلق ، وتلك الشفافية النافذة الكاشفة ، وذلك الميزان المستقيم الذي لا يعرف العوج ، قدم الدكتور نظمي لوقا كتابه :-محمد .. صلى الله عليه وسلم الرسالة والرسول-الذي صدرت طبعته الثانية ـ التي بين أيدينا الآن ـ عن دار الكتب الحديثة بالقاهرة في شهر اغسطس عام ١٩٥٩ ميلادية .

وللتاريخ نؤكد ان مصر الرسمية قد احتفت بالكتاب فقررت تدريسه على طلبة المدارس في ذلك الوقت .





في « التعريف » الذي تصدر الكتاب ، كتب السيد / كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم في مصر في تلك الآونة :

كتاب عن محمد الرسول : .. صلى الله عليه وسلم .

خطرت فكرته على قلب مسيحي عربي يؤمن بالله ، ويؤمن بالعقل ، ويؤمن بالانسانية .. درس محمدا إنسانا .. ودرسه داعيا لدين ومرشدا لهدى .. ودرس دينه مرحلة من مراحل التطور الحضارى في المجتمع الانساني .. درسه نبيا ورسولا ، فآمن إيمان القلب والعقل بأنه نبي رسول .

أما الأستاذ فتحي رضوان وزير الارشاد القومي آنذاك ، والمحامي الكبير فقد كتب « تحية تقدير » في شكل خطاب الى المؤلف قال فيه :

« أرجو الا يتبادر الى ذهنك ان كتابك حفزني على تحرير هذا الخطاب لأنك أدرت فيه الحديث عن محمد نبي المسلمين وأنا مسلم وانت من المسيحيين ، فتأليف الكتب عن الاسلام من مسيحيين سبقك إليه كتاب من مسيحيي أوروبا وأمريكا ولم يروا في ذلك حرجا ، وإن كان فضلك أكبر من فضلهم جميعا إذ أن ما تذرعت به من شجاعة الاقدام على هذا العمل اكثر مما احتاجوا اليه بكثير ، فاختلاف الظروف والبيئات والملابسات يجعل من عملك شيئا أقرب الى المغامرة والمجازفة بالصلات والصداقات والمصالح .

الكتاب :

قسم الدكتور نظمي لوقا كتابه الذي يقع في (١٩١) صفحة من القطع

المتوسط الى ثمانية عشر فصلا ، صدره باهداء الى :
« السائرين في الظلمة .. والى من يلوح لهم ـ من انفسهم ـ فجر جديد »
وأيضا الى :
« المهاتما غاندي الذي مات بيد هندوسي متعصب نتيجة دفاعه الصادق عن حرية العبادة لأتباع محمد صلى الله عليه وصلم »
في الفصل الأول « صبي في المسجد » يحكي المؤلف بداية تعرفه على الإسلام عندما دفع به أبوه الذي كان شديد الولع بالفصاحة والفصحاء على حد قوله ـ وهو لم يتجاوز السادسة من عمره الى الشيخ سيد البخارى إمام مسجد مدينة السويس عام (١٩٢٦) ميلادية ليقوم لسانه بالقرآن الكريم ويهذب نفسه بعيون الشعر والمعلقات .. وأين ؟؟ في المسجد بعد ان يؤم الشيخ صلاة المغرب .
والواقع أن تصرف الأب كان مثيرا للحيرة والارتباك ، فالمدينة كلها تعرف ان له : (أرومة معرقة في صناعة القسوس ، فكم له من جد من ذوي الطيالس والعمائم السود)ص(٣١)
وهو ـ أي الأب بتصرفه الغريب قد وضع نفسه وولده في موقف لايحسدان عليه من النصارى والمسلمين على حد سواء .
ولم يهتم الفتي كثيرا ، إذ كان مبهورا بهذا الشيخ الذي كان يحفظ ـ رغم فقده لبصره ـ أشهر دواوين العرب وعيون الخطب .
وبدأ الفتى يحفظ القرآن الكريم ، ويقف عند كل آية ويملي عليه الشيخ موجزا لتفسيرها ، ثم يملي عليه ما يتطرق الى ذهنه الخصب بصددها من الأمثال السائرة والشعر المشهور .
وهمس الهامسون في آذان والديه : كيف تخاطران بالولد هذه المخاطرة ؟؟ الا تخشيان أن يفتنه الشيخ عن دين آبائه ؟؟
ووجد الهمس آذانا صاغية ..
فأخذا يرسلانه كل أسبوع الى الكنيسة حيث استعصى من أسرار العقيدة على ذهنه ـ كما يعترف ـ ما استعصى ، وعندما ناقش ، قيل له إن الامعان في التفكير يسوق الى الكفر ، وأن المناقشة سبيل الشك .
وهرع الفتى الى شيخه يلتمس العون ويحرج الشيخ بيد أنه يحدثه عن العقل وأنه الإمام الأكبر الذي أنعم الله به على خلقه وأن الدين المتين يقوى بالتفكير والتعقل وان اليقين الذي لا يصمد للشك يقين زائف ..
ويضيف الشيخ :
اقرأ كتابك بنفسك ، واحتكم الى عقلك ص(٤١)
ويرحل الفتى عن مدينة السويس بعد أن بلغ العاشرة ، وبعد ان حفظ القرآن الكريم ووعى اللزوميات والمعلقات وديوان الحماسة ، ولم يرَ شيخه بعدها،لكنه ظل قائما في عقله ونفسه .
في الفصل الثاني « الآية الكبرى » والثالث « دين شعب » والرابع « دين قلب » والخامس « دين البشر » يستعرض الكاتب الموسوية والمسيحية ثم الاسلام .
ـ يقول عن الموسوية (اليهودية) إنها دين خاص لبني إسرائيل ، اختص به شعب معين دون سائر الشعوب ، فهو

اذن ليس الدين الذي يهتدي به الناس كافة ويجدون فيه حاجتهم الفطرية الى العقيدة .

ويستعرض الدكتور نظمي لوقا تاريخ بنى اسرائيل قبل رسالة موسى عليه السلام حيث كانوا قوم أوثان وتعدد وتجسيم ، وقد التصقت بهم صفة الوثنية حتى بعد بعث سيدنا موسى فاستعاضوا عن الأوثان بالهياكل ، وبدلا من أن يقدموا القرابين للأوثان قدموها الى الإله الواحد .. إله اسرائيل . ولأن عقيدة التوحيد والتنزيه قد صارت الى قوم تملأ قلوبهم المنافع والحرص على الدنيا ، فقد تحولت على أيديهم الى مادية بحتة لا وجود لسواها، وتقلص اهتمامهم بالدين الى دائرة ضيقة هي التشريع في المعاملات وطقوس تعبدية في مقابل مؤازرة على عدو أو زيادة في إدرار الرزق .

ـ أما المسيحية كما يستطرد المؤلف. فقد كانت طورا طبيعيا للانسانية التي كانت في حاجة الى عقيدة روحية لاتدعو الى التوحيد والتنزيه فحسب بل الى جعل الله المعشوق الأسمى الذي يتجه إليه وجدان كل انسان فيتلاشى من قلبه حب كل معشوق سواه .

ويضيف المؤلف :

وأعني بالمسيحية هنا ما جاء به المسيح من نصوص كلامه ، لا ما ألحق بكلامه وسيرته من التأويل (ص ٨٠) .

وهكذا ، تشتد حاجة الانسانية الى عقيدة جديدة يجتمع إليها العقل والقلب معا ، عقيدة تؤكد وحدانية الله توكيدا يقضي على عقابيل التعدد في تصور الاله حتى لا ينزلق الناس الى « التجسيم » الذي طالما وقعوا فيه بعد كل دعوة للتوحيد بسبب غلبة الحس عليهم .. عقيدة تكون للناس كافة ، لا فرق بين شعب وشعب ولا بين جيل وجيل .. عقيدة تربط الانسان بالدنيا والآخرة ، بالله والانسان ، عقيدة تجعل الناس أمة واحدة لأنها دين البشر أجمعين .. وهذا ما جاء به الاسلام .

« **قل هو الله أحد ॰ الله الصمد** » .

لا شائبة من ريب في وحدانية الله سبحانه .

« **لم يلد ولم يولد ॰ ولم يكن له كفوا أحد** »

نسف من الجذور لعقائد الشرك ، وتصحيح في نفس الوقت لعقائد أهل الكتاب .

ويستمر استشهاد مؤلف كتاب : محمد .. الرسالة والرسول في الفصل السادس « الله » بآيات من القرآن الكريم تؤكد وحدانية الخالق ، المدبر ، القادر ، الأول والآخر ، الظاهر والباطن ، العالم بما تخفى الصدور ، الحي الذي لا يموت ، الغفور ، الودود الذي لم يخلق الكون ثم نفض يده منه وإنما جل شأنه بكل شيء محيط »

وفي فصل « الانسان » يتعرض المؤلف لموقف الانسان بعد المسيحية ، ذلك الموقف الذي لم يكن يحسد عليه بسبب ما التصق به من وزر أبيه الأول آدم عليه السلام ، ذلك الوزر الذي اعتبر خطيئة باقية موروثة لا بد لها من كفارة وفداء حتى لا يذهب بجريرتها أبناء الجنس البشري كله .

ويستعيد المؤلف الرعب الذي احتواه عندما سمع عن الخطيئة الاولى لآدم بإيعاز من حواء ، والعذاب الرهيب الذي كان ينتظر البشرية لولا نجاتها على يد المسيح الذي فدى البشر بدمه الطهور .

« وإن أنس لا أنس القلق الذي ساورني وشغل خاطرى عن ملايين البشر قبل المسيح ، أين هم ؟؟
وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة » ص ٧٥ .

ويخلص الكاتب الى انه كان لا بد من عقيدة ترفع هذه اللعنة عن كاهل البشر وتطمئنهم الى أن العدالة لا يمكن ان تأخذ البرىء بالمجرم ، أو تزر الولد بوزر الوالد حيث لا يمكن ان يقدر ـ كما يقول المؤلف ـ قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء ، فيمضي في حياته مضى المريب المتردد ولا يقبل عليها اقبال الواثق ـ بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث .

« **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** »
« **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا** »
« **سخر لكم ما في السموات** »
« **سخر لكم ما في الأرض** »
« **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** »

« وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه » .
« إعلاء لشأن الانسان وإطاحة بعقدة الذنب التي جاءت بها المسيحية المؤولة

« **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى** » لا تأليه ولا شبهة تأليه وهذه مسألة كما يقول الدكتور نظمى لوقا ـ كانت تحتاج الى توكيد وحسم بعد ان تعرض الرسل قبل الاسلام الى الربط بينهم وبين الالوهية بسبب من الأسباب ، أو بنسب من الأنساب .

« **ليس لك من الأمر شيء** »
« **فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمصيطر** »
« **وما أنت عليهم بجبار** »

« **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله** »

ويقف المؤلف كثيرا أمام تلك الآية من سورة الأعراف ، ويستعرض تاريخ الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه والأذى الذي لحقه من جراء رسالته دون أن يملك لذلك دفعا ، والموت الذي تخطف فلذات أكباده تدليلا للبشر على ان الرسول ليس له امتياز على سائر الخلق .

وينهي المؤلف فصل « النبوة » مقرا بأن ذلك، بالقطع، هو الطور الأخير من اطوار العقيدة الالهية ، تنزيه لله سبحانه وتعالى ، وبشرية للنبي الكريم بعيدا عن الكهنوت والسحر . ومخاطبة للعقل المجرد بعد ان تسلم قياد نفسه . وابلاغ للناس كافة : احمرهم وأسودهم ، وخصوصية لا يختص بها الا الاسلام من حيث هو اتمام لما سبق ، ومتابعة للبشر في اطوار نضجهم بما يناسبهم من الهداية والاصلاح .

(وبسبب من طبيعة الرسالة ، ومن الحاجة الطبيعية للناس اليها .. كان

من الطبيعي ان يكون هذا الرسول خاتم الرسل ، لأن رسالته كانت خاتمة الرسالات) ص ٥٣

وفي الفصلين التاليين « حواء ، « الزواج » .. يقارن المؤلف بين وضع المرأة قبل الاسلام وبعده،كيف اعاد لها الاسلام آدميتها المستلبة حين كانت تباع كالسلعة ..

كيف أعاد لها أهليتها وقت ان كانت لا تمارس التصرفات المالية والقانونية الا عن طريق وليها الشرعي او بموافقته .

كيف أعاد لها شخصيتها عندما أعطاها الحق في أن تزوج نفسها .

كيف أعطاها حق الميراث حين رفع عنها ذلك الغبن الفاحش الذي تطبقه بعض الأمم القديمة والحديثة أيضا ..

وأهم من ذلك كله .. كيف منحها حق الحياة نفسها ، في الوقت الذي كانت فيه قبائل العرب في الجاهلية تئد البنات كرها لهن وازدراء لشأنهن . .. كل ذلك يقدمه المؤلف مستشهدا بآيات من القرآن الكريم تؤكد تلك الحقوق وترسخها وتعلن للكافة أننا بالفعل أمام عقيدة كل العصور .. ولا يترك الدكتور نظمي لوقا مؤلف كتاب : (محمد الرسالة والرسول) موضوع المرأة في الاسلام دون أن يدحض ما يدعيه أعداء الاسلام تجاه الطلاق وتعدد الزوجات ، وينتهي الى أن :

(رخصة الطلاق دواء مر المذاق ، أو جراحة موجعة ، وليس من عاقل يلغى التداوي ، أو يحرم الجراحات كراهة للآلام) ص ١١٧ .
ويضيف صافعا من ينعون على الاسلام أخذه بشريعة الطلاق بأن أمم الغرب المسيحية قد أخذت بتلك الشريعة بعد أن عادت الى صوابها .
وينهي المؤلف فصل « **الزواج** » بأسباب عدم جواز زواج الكتابي بالمسلمة في حين أباح الاسلام زواج المسلم بالكتابية ، مدللا على ذلك باعتراف الاسلام باليهودية والمسيحية ، في حين جرى تقدير رجال الدين عند اليهود والنصارى على انكار الاسلام ، وبذلك تكون المسلمة غير آمنة على دينها في كنف الكتابي .
في الفصول الثلاثة التالية « **مع الناس** » «**مع الله**» ، « **برح الخفاء** » يستعرض المؤلف ما جاء به الدين الحنيف تنظيما لأمور الدنيا من غير اضترار بالناس مع الحرص على مصالح الجماعة والتعاون على البر والتقوى ، وابتغاء الرزق بالعمل وكفالة المتعطل والعاجز بالزكاة،وترفع عن الترف والاسراف حتى لا تستنيم الروح لشهوات الجسد ، ثم ينتقل الى الصفح والعفو ومحو الثأر والشحناء ، والتواضع وتحريم الخيلاء ، والزواج وتحريم الزنا ، وتضييق زواج الجاهلية وجعله أربعا فقط مع الحض على زواج واحدة ، وفرض الأخوة والمساواة والغاء العصبية والاستعلاء بالنسب والجاه ، وتحريم الخمر والفسوق والميسر والعدوان على الحقوق

والاعراض .. والمسلم في ذلك كله لا يتلهى بالدنيا عن ذكر الله سبحانه وتعالى فالصلاة التي تتكرر جملة مرات في اليوم لايلهى عنها بيع ولا شراء لَسَبَبٌ قوى بين الانسان وربه ، وكل أرض الله طاهرة تصلح مسجدا ، لا هياكل . ولا كهانة ، ولا وسطاء بين الله والانسان بعد اليوم .

أما الفصول الثلاثة قبل الاخيرة : «**شجاعة الايمان**» «**لا ادعاء**» «**الجهاد الاكبر**» فيخصصها الدكتور نظمي لوقا لسيرة رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه قبل الدعوة حيث كان موفور الرزق والكرامة والأمان بين قومه ، وبعدها حيث استحالت الى ضيق وشظف وازدراء لعل المعنوي منها اقسى من المادى ، ولعل جرح النفس فيها اعتى من الضرب والايذاء البدني .. ورغم ذلك لم يساوم ولم يهادن :

ياعم .. والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته .

وعندما أيده الله بنصره لم يفتن ولم يغتر ، وظل على زهده الى أن توفاه المولى ودرعه مرهونة عند يهودي .

وينهى المؤلف كتابه بفصل « **لا بد مما ليس منه بد** » وأرى لزاما عليّ ان اعرض هذا الفصل كاملا فأى تلخيص له قد يخل بمعناه ومبناه حيث انه التقديم الحقيقي لنفسه حتى يعي كل من له عقل وليتطامن كل من يجد في الكبر مهربا ، فالحق أحق أن يتبع .

يقول المؤلف :

ماذا بقى من مَزْعَمَ لزاعم .

إيمان امتحنه البلاء طويلا قبل ان يفاء عليه النصر ، وما كان النصر متوقعا او شبه متوقع لذلك الداعي الى الله في عاصمة الأوثان والأزلام ..

وعقيدة جاءت في طورها الطبيعي ، ملبية حاجة الانسان الطبيعية موفقة بين دينه ودنياه ، ومتلافية تلك القسمة المقسمة بين الروح والبدن ، في السر والعلن ..

ونزاهة ترتفع فوق المنافع ، وسمو يتعفف عن بهارج الحياة ، وسماحة لا يداخلها زهو او استطالة بسلطان مطاع ..

لم يفد ولم يورث آله ولم يجعل لذريته وعشيرته ميزة من ميزات الدنيا ونعيمها وسلطانها ، وحرّم على نفسه ما أحل لآحاد الناس من اتباعه ، والغى ما كان لقبيلته من تقدم على الناس في الجاهلية ، حتى جعل العبيد والأحابش سواسية وملوك قريش .. لم يمكن لنفسه ولا لذويه ، وكانت لذويه بحكم الجاهلية صدارة ، فسوى ذلك كله بالأرض ..

أي قالة بعد هذا تنهض على قدمين لتطاول هذا المجد الشاهق او تدافع هذا الصدق الصادق ..

لا خيرة في الأمر ..

ما نطق هذا الرسول عن الهوى ..

لا خيرة في الأمر ..

ما ضل هذا الرسول وما غوى ..

لاخيرة في الأمر ..

وما صدق بشر إن لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين ..

فسلام عليه بما هدى من سبيل ، وما

قوم من منهج ، وما بين من محجة .. وسلام على الصادقين (١٩٠ ـ ١٩١)

ترى .. ماذا بقى بعد للمرجفين ؟؟ في اعتقادي لاشيء بعد ان خرج من بينهم وبمحض اختياره من تجرد من زيف الدنيا وصاح صيحة الحق .

وسبحانه جل شأنه حين يقول في سورة آل عمران « **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم** »

صدق الله العظيم

خاتمة :

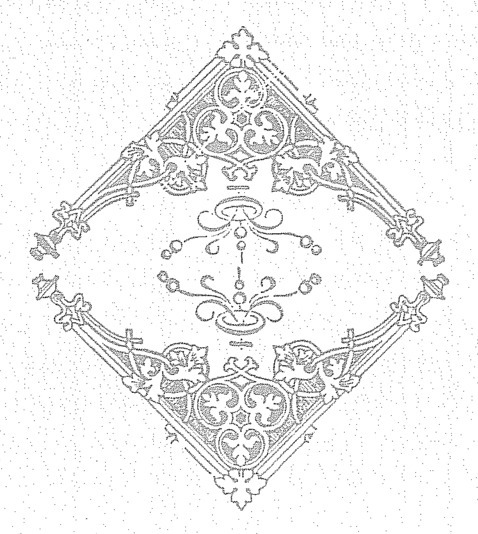
بعد ذلك العرض الذي تعمدت أن يكون مطولا الى حد ما بالنسبة الى فصول معينة توخيا لعدم اجتزاء ما طرحه الكاتب ـ معترفا ـ بفضل هذا الدين الحنيف ، أو أن اضيف ما تردد وقت صدور هذا الكتاب من ان مؤلفه الدكتور نظمي لوقا استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة قد أُشهر إسلامه ، وما تردد بعدها وما أكده الكاتب نفسه بعد ذلك بواحد وثلاثين عاما في كتابه « أنا والاسلام » الذي صدر في القاهرة خلال العام الماضي ـ من أنه مازال متمسكا بنصرانيته .

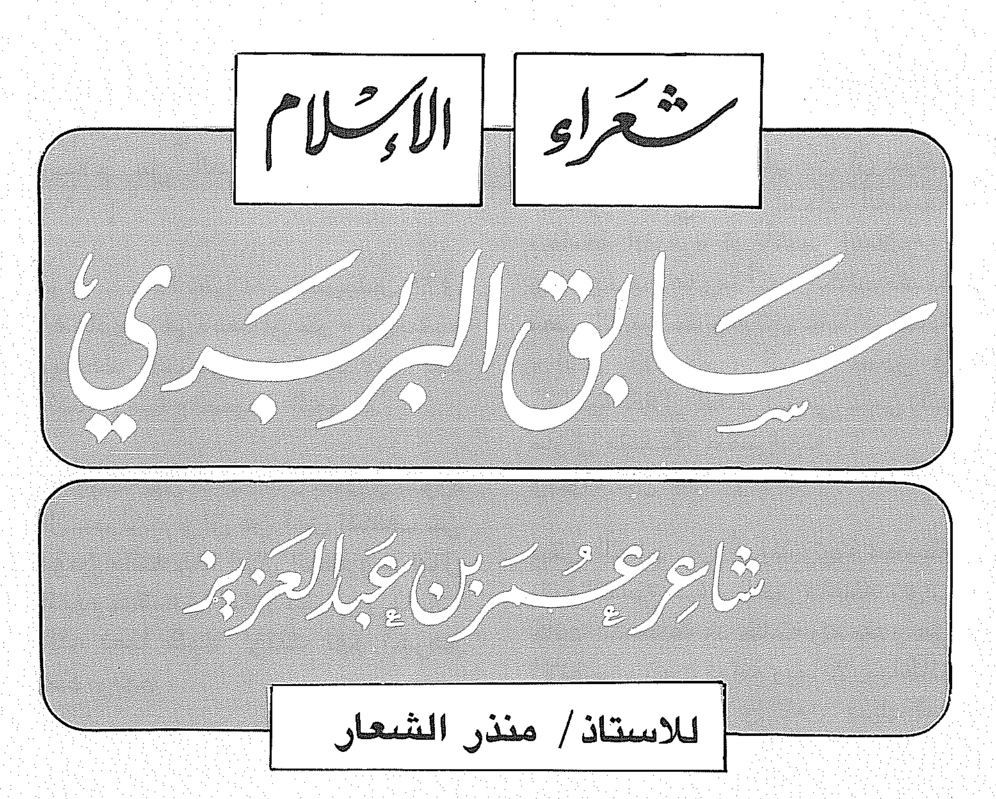
وسواء كان هذا او ذاك ..

يبقى الكتاب بين أيدينا وثيقة مضيئة نقية لكتابيٍّ عرف الحق فأعلنه ، وان كانت الشجاعة قد خانته ولم يقدر على الانضواء تحت لوائه ربما لارتباطاته الدنيوية من زواج وأبناء .. فذلك أمر يخصه وحده .

اخيرا ..

لا أجد ما انهى به هذا العرض سوى أن أستعير الجملة التي انهى بها المؤلف كتابه : وسلام على الصادقين .





سابق البربري شاعر من أهل الوعظ والحكمة والتقوى . اسمه الكامل : سابق بن عبدالله ، وكنيته أبو سعيد . وقال أكثر العلماء . ليس سابق بربريا ولكنه لقب لقبه . كان في الشام زمن عمر بن عبدالعزيز ، وكان يفد عليه فيسمع منه عمر ويستنشده . بينما كان يعرض عن الشعراء قاطبة .

وذكر سابق البربري هو في جلة من كتب العرب والمسلمين . فذكره البغدادي في خزانة الأدب ، وابن الأثير في (اللباب) ، وكذا ذكره وشعره (تهذيب ابن عساكر) ، وذكره الجاحظ في (البيان والتبيين) ، وابن الجوزي في كتابه عن مناقب عمر بن عبدالعزيز ، وذكره ابن المعتز في كتابه (طبقات الشعراء) ، وله ذكر متفرق في غير هذه الكتب كالحماسة المغربية للجراوي .

وإن أجل من ذكره من العلماء المحدثين الاستاذ الشيخ (عبدالله كنون) ، في مقالة ضافية لها ذيلان ، نشرها عام ١٩٦٩م في مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق : المجلد ٤٤ ج ١ ، ٢ شهر كانون الثاني . جمع فيها شعر سابق المتفرق في الكتب . فبلغ مائة وتسعة وستين بيتا ، فكانت من عيون شعر سابق والعرب وقد كان لسابق البربري ديوان شعر ، يبدو ان الذي جمعه هو القاضي ابوبكر بن العربي الاندلسي صاحب كتاب (العواصم من القواصم) ، لكن الديوان ضاع ، فيما ضاع من تراثنا الضخم ، وبقيت من أشعار سابق « شذرات » هي ما جمعه الاستاذ

الشيخ عبدالله كنون في مقالته الضافية بمجمع دمشق المشار اليه .

وقد مر ان أغلب العلماء ينفون عن سابق انه بربري . ويرون لفظ (البربري) أنه مجرد لقب لحق به ، ويجعلون سابقا من موالي بني امية ، وتابعهم على ذلك الأستاذ خير الدين الزركلي ، رحمه الله ، في معجم الأعلام الضافي الذي صنعه ، لكن الاستاذ عبدالله كنون يرى ان سابقا بربري حقا ، سبي او أتى أهله لدمشق فوالوا بني أمية ، والوليد بن عبدالملك منهم ، في أثناء الفتوحات العظيمة التي قام بها المسلمون في زمن الأمويين في بلاد المغرب ، ثم رجح عبدالله كنون ان يكون البربر عربا ، وهو رأي بعض علمائنا الماضين ، يقولون : إن البربر في شمالي افريقية إنما يرجعون في نسبهم إلى بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار ، وبر هذا نزح عن جزيرة العرب وغاب عن أهله حتى بلغ افريقية ، فاستقر بها ، وتغيرت لهجته لذلك . وخرج من نسله أهل افريقية . فلما مرت الحقب ودخل العرب المسلمون فاتحين على البربر رجع البربر إلى أصولهم وتعلموا العربية فبرزوا بها لانها كانت لغة آبائهم من قبل ، ومما يقوي هذا الرأي ، أن كتبنا تذكر أبياتا لتماضر بنت قيس عيلان ، أخت بر ، تذكر بعده عن وطنه ، لما جاءها نعيه فرثته ، وهي :

كأني وبرا لم تعزّ ديارنا
بنجد ولم نقسم نهابا ومغنما
وشطت ببر داره عن بلاده
وطوح بر نفسه حيث يمما
وأزرت ببر لكنة أعجمية
وما كان بر في الحجاز بأعجما

وكان سابق البربري معدودا في تابعي التابعين ، وقد أخذ عن مكحول الدمشقي ، عالم الشام ، وأخذ عنه الأوزاعي ، فقيه الشام ، كما ذكر سابقا البربري البخاري في بعض اسانيده . فجاء عنده :

(قال سابق البربري ، روي عنه الأوزاعي ، مرسل ، يعد في الشاميين) . ذكر ذلك ابن عساكر في تهذيبه ، كما جاء في أحد أسانيد ابن عساكر عنه : أخبرنا سابق بن عبدالله ، وكان من البكائين .

وقد ذكر ابن عساكر الأحاديث المروية عن سابق وهي :

١ ـ حديث « كان النبي صلى الله عليه وسلم يوتر من اول الليل ووسطه وآخره ثم ثبت له آخر الليل » .

٢ ـ حديث « الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك مشتبهات فمن رتع فيهن قمن أن يأثم ومن اجتنبهن فهو أرفق بدينه ، كالمرتعي إلى جنب حمى ، ومن ارتعى إلى جنب حمى فيوشك أن يقع فيه ، ولكل ملك حمى ، وحمى الله عز وجل في الارض الحرام » .

[هذا الحديث مروي بغير هذا اللفظ من طرق أخرى ليس فيها سابق ، وإنما الذي فيه سابق هذا لفظه] .

٣ ـ حديث « إذا مدح الفاسق غضب الله عز وجل » وفي رواية « إذا مدح الفاسق اهتز العرش وغضب له الرب عز وجل » .

[هذا الحديث ، تكلم فيه ابن عدي ، احد علماء الحديث، على

الرواية الأولى ، وقال « إنه مروي عن سابق بن عبدالله عن أبي خلف عن انس بن مالك رضي الله عنه ، فأبو خلف هذا لا يعرف » لكن في الرواية الثانية عرف الراوي أبا خلف بأنه خادم أنس بن مالك رضي الله عنه .

ولقد وقع اختلاط عند العلماء في سابق البربري يتبين منه انه :

١ ـ إما أن يكون ثلاثة من الرجال كل منهم اسمه سابق : فواحد يقال له سابق البربري ، وثان يقال له سابق الرقي ، لسكناه الرقة في أعلى الشام (وهي الآن في سورية) وكان قاضيا بها ، وثالث يسمى سابق بن عبدالله ، محدث .

٢ ـ وإما أن يكون الثلاثة هؤلاء رجلا واحدا هو سابق البربري ، الرقي ، ابن عبدالله . وهذا ـ كما يبدو من سرد الذين ترجموا له ـ ولا سيما الاستاذ عبدالله كنون ـ هو الاظهر الاصح .

وكان شعر سابق البربري نهاية في الجودة ، وحسن السبك ، وصفاء الرونق ، وكان كله في الزهد والمواعظ والتذكير بالآخرة والحكمة الراقية ، من ذلك هذه القصيدة ، التي أرسلها في رسالة إلى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله من الرقة :

بسم الذي أنزلت من عنده السور
الحمدلله ، أما بعد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر
فكن على حذر قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المجلوب وارض به
وإن أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لامرىء عيش يسر به
الا سيتبع يوما صفوه الكدر
إن التقى خير زاد أنت حامله
والبر أفضل شيء ناله البشر
من يطلب الجور لا يظفر بحاجته
وطالب الحق قد يهدى له الظفر
وفي الهدى عبر تسقى القلوب بها
كالغيث ينضر عن وسميه الشجر
ما يلبث الشيء ان يبلى اذا اختلفت
يوما على نقصه الروحات والبكر
والمرء يصعد ريعان الشباب به
وكل مصعدة يوما ستنحدر
كم من جموع أشت الدهر شملهم
وكل شمل جميع سوف ينتشر
وكم من آصيد سامي الطرف معتصب
بالتاج نيرانه للحرب تستعر
يظل مفترش الديباج محتجبا
عليه تبنى قباب الملك والحجر
قد غادرته المنايا وهو مستلب
مجدل ترب الخدين منعفر
أبعد آدم ترجون البقاء وهل
تبقى فروع لأصل حين ينقعر
إلى الفناء وإن طالت سلامتهم
مصير كل بنى أنثى وإن كثروا

ولسابق البربري أبيات رائعة في الحكمة والتربية ، كقوله :

فللموت تغذو الوالدات سخالها
كما لخراب الدهر تبنى المساكن

أخذه أبو العتاهية ، فقال :

لـدوا للمـوت وابنـوا للخـراب
فكلكـم يصـير إلى تبـاب

وروي ابن عبد ربه في العقد ان هذا البيت إنما أخذه سابق البربري من حادثة ، وهي ان عبدالعزيز بن زرارة ، وفد على معاوية رضي الله عنه مع ابيه ، وكان زرارة أبوه سيد اهل الكوفة ، فذهب عبدالعزيز للجهاد مع يزيد بن معاوية ، في الصائفة فهلك

هناك ، فكتب يزيد الى معاوية ، فقال معاوية لزرارة ابيه ،أتاني اليوم نعي سيد شباب العرب ، فقال زرارة : يا سيدي هو ابني او ابنك ، فقال معاوية إنه ابنك ، قال : للموت ما تلد الوالدة، اخذه سابق البربري فقال :

فللموت تغذو الوالدات سخالها
كما لخراب الدهر تبنى المساكن

ومن أبياته الحكيمة قوله :

إن عبت يوما على قوم بعاقبة
امرا أتوه فلا تصنع كما صنعوا

كرره فقال في قصيدة اخرى :

إذا عبت أمرا فلا تأته
وذو اللب مجتنب ما يعيب

وهذا هو معنى البيت المشهور :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم

وهذا البيت نسب إلى أبي الاسود الدؤلي ، وإلى المتوكل الليثي وإلى سابق نفسه ، وإلى الاخطل ، والطرماح . وللمعري ابي العلاء في معناه قوله في اللزوميات .

إذا فعل الفتى ما عنه ينهى
فمن جهتين لا جهة اساء

ومن شعر سابق البربري هذان البيتان اللذان يصلحان ان ينقشا على جدار كل صرح تربوي في العالم :

قد ينفع الأدب الابناء في صغر
وليس ينفعهم من بعده الأدب
إن الغصون اذا عدلتها اعتدلت
ولايلين وإن لينته الخشب

وروى ابن ابي الدنيا عن ميمون بن مهران قال دخلت على عمر بن عبدالعزيز وعنده سابق البربري وهو ينشده شعرا ، فانتهى في شعره الى هذه الأبيات .

فكم من صحيح بات للموت آمنا
أتته المنايا بغتة بعدما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة
فرارا ولا منه بقوته امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقنعا
ولايسمع الداعي وان صوته رفع
وقرب من لحد فصار مقيله
وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع

ومن شعر سابق الجميل البليغ :

لاتدفعن لجوجا حين تزجره
إن اللجوج له في الدفع إغراء
وأغض في حسن عفو عن بوادره
فالحر فيه عن الآفات إغضاء
لاتظهرن لذي جهل معاتبة
فربما هيجت بالشيء أشياء
فالماء يخمد حر النار يطفئها
وليس للجهل غير الحلم إطفاء
وكيف يأمن ريب الدهر مرتهن
بعدوة الدهر إن الدهر عداء
ألقى على الجيل من عاد كلاكله
وقوم هود فهم هام وأصداء

ويتبين من البيت الاول ـ هنا ـ ان الشاعر أبا نواس قد اخذ من هذا البيت لسابق بيته المشهور ..

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

وإن كان توارد خواطر فلسابق السبق ، في معنى عد من روائع ابي نواس

واما قول سابق : فالحر فيه عن الآفات إغضاء،هذا كان فعل سادات العرب ، قال معاوية رضى الله عنه :

السّرْوُ التغافل ، وقال : اني لأجر ذيلي على الخدائع .

وفي أغاني أبي الفرج ، في أخبار الشاعر اعشى همدان ، قال : حدثنا ابو غسان قال : قال عمر بن عبدالعزيز يوما لسابق البربري ودخل عليه : انشدني ياسابق شيئا من شعرك تذكرني به ، فقال : اوخيرا من شعري ، فقال هات . قال : قال أعشى همدان ..

وبينما المرء أمسى ناعما جذلا
في اهله معجبا بالعيش ذا أنق
غرا أتيح له من حينه عرض
فما تلبث حتى مات كالصعق
ثمة اضحى ضحى من غب ثالثة
مقنعا غير ذي روح ولا رمق
يبكي عليه وادنوه لمظلمة
تعلى جوانبها بالترب والقلق
فما تزود مما كان يجمعه
الا حنوطا وما واراه من خرق
وغير نفحة اعواد تشب له
وقل ذلك من زاد لمنطلق

القلق: اللبن :

فهذا يدل على سمو نفس سابق ، وانصافه لنفسه وغيره ، فقد طلب منه الخليفة أن ينشده من شعره مع ان الخليفة منصرف عن الشعراء ، يستفزه هذا عن ان يقول الحق وينصح للخليفة لانه علم ان الخليفة انما يريد الموعظة والتذكير بالاخرة فهذه هي البضاعة التي تنفق عنده ، وكان معه يومئذ شعر لغيره صالح لهذه المناسبة التي عرضت فلم يحجبه حبه لنفسه ان يعرض شعر غيره فذكر شعر أعشى همدان في موضوع أخروى يذكر بالموت وانقضاء الحياة

ومن منتخبات شعر سابق البربري قوله في الاغضاء عن هفوات الصديق :

اذا ما كنت طالب كل ذنب
ولم تحلل أخاك عن العتاب
تباعد من تباعد بعد قرب
وصار بك الزمان الى اجتناب

وهذا معنى شريف طرقه بعد سابق كل شاعر حكيم ، فهذا بشار بن برد يقول :

اذا كنت في كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذي لاتعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه
مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

وقال كثير عزة :

ومن لايغمض عينه عن صديقه
وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة
يجدها ولايسلم له الدهر صاحب

وكان النابغة الذبياني قال في الجاهلية :

ولست بمستبق اخا لا تلمه
على شعث أي الرجال المهذب

ولكن يتضح من كل هذا ان بيت النابغة اخص واوجز وبيت سابق البربري اعم وابين لغرض الاغضاء عن عثرات الصديق ، وعلى نهجه سار من بعده . وكان شعر سابق البربري نافقا عند العلية ، مطلوبا من الصالحين وقد روى العلماء خبرا عن محمد بن مصعب القرقشاني ، وهو من علماء الحديث ومشايخ العلم ، فروى ابن عبدالبر عن ابن ابي الحناجر الانصاري قال : كنا على باب محمد بن مصعب القرقشاني جماعة

من اهل الحديث وفينا رجل عراقي بصير بالشعر ونحن نتمنى ان يخرج الينا فيحدثنا حديثا واحدا او حديثين ، اذ خرج الينا فقال : قد خطر على قلبي بيت من الشعر فمن يخبرني لمن هو حدثته ثلاثة أحاديث فسألناه عن البيت فقال :

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلي سواد الظلمة القمر

فقال الرجل البصير بالشعر هذا لسابق البربري . قال صدق فأي شيء بعده . قال :

والعلم فيه حياة للقلوب كما
تحيا البلاد اذا ما مسها المطر

قال صدق والله . واي شيء بعد ؟ قال :

فأنتم جزر للموت يأخذكم
كما البهائم في الدنيا لنا جزر

فحدثنا بستة أحاديث .

ومن يعرف ضن علماء الحديث بالحديث وميلهم دوما الى عدم التحديث يدرك معنى كرم هذا العالم بما معه للطلاب لمعرفة شعر سابق البربري منهم وهذا يدل على قيمته عند الصالحين الاعلام .

ولكن لم لم ينتشر شعر سابق البربري كما انتشر غيره ؟؟ الجواب قد نجده عند الجاحظ حيث يقول :

لوكان شعر صالح بن عبدالقدوس وسابق البربري مفرقا في اشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار ارفع مما هي عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق ، ولكن القصيدة اذا كانت كلها امثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر ومتى لم يخرج السامع من شيء الى شيء لم يكن لذلك النظام عنده موقع !

وملخص رأي الجاحظ ان سبب عدم انتشار شعر سابق البربري كونه في موضوع واحد وهو الزهد والموعظة وذكر الآخرة ، فهو على رفعته فنيا وجلاله ادبيا لم ينتشر لان العرب والجماهير المحبة للشعر والادب تحب ان تكون أشعار الشاعر متنوعة الموضوعات فلما كانت اشعار سابق في موضوع واحد وكذا اشعار شبيه له هو صالح بن عبدالقدوس لم تنتشر الانتشار المطلوب .

ومن شعر سابق في الحكمة قوله في هذا النسق الجميل :

ان كنت متخذا خليلا
فتوق وانتقد الخليلا

من لم يكن لك منصفا
في الود فابغ به بديلا

وعليك نفسك فارعها
واكسب لها عملا جميلا

وتجنب الشهوات واحذر
ان تكون لها قتيلا

فلرب شهوة ساعة
قد اورثت حزنا طويلا

وحدث ابو كامل مولى الغازي بن ربيعة قال : سمعت سابقا البربري ينشد مكحولا وهو في الغزو :

يانفس كل قابر مقبور
ويهلك الزائر والمزور

ويقبض العارية المعير
ليس على صرف الروا غمور

كم من غني مكثر فقير

حتى انتهي الى قوله :

والصدق بر والتقى تطهير
والبر معروف به المبرور

وذو الهوى يسوقه المقدور
فقال مكحول : لا
انكر مكحول الدمشقي عليه قوله الاخير ، لما يشتم منه رائحة الجبر .
ومكحول شيخ سابق البربري هو مكحول بن ابي مسلم . الهذلي بالولاء فقيه الشام في عصره .
ومن حفاظ الحديث ، رحل في طلب العلم وطوف في البلاد ثم استقر بدمشق وبها مات سنة ١١٢هـ قال فيه الزهري : لم يكن في زمنه ابصر منه بالفتيا وهو من التابعين . ونستفيد من هذا الخبر ان سابقا البربري كان يذهب الى الغزو لاداء فرض الجهاد ، وكان مكحول الدمشقي معه في إحدى تلك الغزوات ، وكان العلماء في أمتنا كثيرا ترددهم الى ثغور الجهاد .
وكان مما قاله سابق البربري من شعره الحكيم :

موت التقي حياة لا انقطاع لها
قدمات قوم وهم في الناس احياء

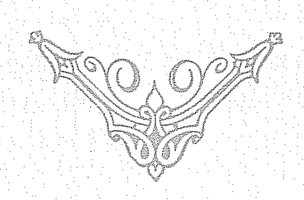
فجعل التقي حيا بعد موته بما يترك من علم وآثار وهذا ينطبق عليه نفسه ، فها نحن أولاء نذكره بعد ثلاثة عشر قرنا وقد نظر احمد شوقي أمير شعراء العصر ، الى هذا البيت حين قال على الروى نفسه :

والناس قسمان : موتى في حياتهم
وآخرون ببطن الارض أحياء

وكذا قول عمر ابي ريشة في الشهيد :

لاتبكه فاليوم بدء حياته
إن الشهيد حياته بمماته

ولكن ما يقال في الشهداء الابطال مصدره الاول قوله تعالى في آل عمران :
« ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »
فبقى قول سابق البربري محضا للتقي الذي يحيا ذكره في الناس بما يترك من اخبار تقوى واثارها .
وكان سابق البربري من البكائين الذين كانوا سريعا دمعهم في حب الله تعالى وخشية عقابه ، ولان شعره كان مذكرا بالاخرة والموت ، مهونا على الطامعين الدنيا وما فيها من مسرات باطلة وقد مات سابق سنة مائة للهجرة ، قبل شيخه مكحول الدمشقي باثنى عشر عاما ، وحسبه من ثناء .
وقدر أن الخليفة الصالح عمر بن عبدالعزيز كان يصرف عنه الشعراء الكبار جريرا وكثيرا ونصيبا ، ويقرب ويسمع سابقا ، فهو شاعر كبير من شعراء الاسلام وهو الاول في تاريخ الشعر العربي وثنى الدهر بعده بأبي العتاهية في العصر العباسي .
ولكن شعر سابق البربري كان ارسخ في الحكمة ، واعرق في العربية ، واصدق قولا لسلوك قائل ... وفي كل الاسلام متلألىء غامر ، والحمد لله رب العالمين .



حول أدب الغموض

الجسور المقطوعة

للدكتور / عماد الدين خليل

لنكن صرحاء ــ فإن (القرف) هو ردُّ الفعل الذي يعاني منه القارىء وهو يتعامل مع مساحات واسعة من معطيات الأدب العربي في العقدين الأخيرين ..

أما القراء الجدد ، أولئك الذين لم يصلب عودهم بعد فإن (القرف) قد يدفعهم الى الانسحاب من معركة (المطالعة) وقفل الأبواب نهائيا على عالمها المترع بالخصوبة والجمال والعطاء ..

يقول احدهم : إنني لست مستعدا لأن ارهق اعصابي واستنفد طاقتي الذهنية وأنا أقرأ هذا الديوان أو ذاك ، وأطالع هذه المجموعة القصصية او تلك واتابع هذا التحليل النقدى او ذاك .. دون ان اصل الى نتيجة إن على مستوى الفكر أو على مستوى الحس والوجدان .. وانا احاول فك الألغاز وحل الطلاسم والرموز في كل فقرة ، بل في كل سطر او كلمة .. ان التواصل بيني وبين العمل الأدبي منعدم تماما ، وإقامة الجسور أمر مستحيل ..

واذ لم يكن هؤلاء القراء (الجدد) قد استذوقوا أدب العقود التي سبقت هذه الموجة الضبابية العارمة ، وتعاملوا مع عطائه الخصب ، الممتع ، المثير .. المتميز بالوضوح الذي لم يكن يوما نقيضا للعمق ، وللقدرة التعبيرية عن التجربة في أعمق اغوارها وابعد افاقها .. أدب

الوضوح العميق ، او العمق الواضح ، اذا صحت التعابير ..
اذ لم يكن هؤلاء قد تعاملوا مع هذا التراث الذي ربى العديد من الاجيال المعاصرة ، وعلمها ، وملأ حياتها بالمتعة في الوقت نفسه .. فإنه قد يكون مبرراً لموقفهم ذاك : أن يغادروا والى الأبد ساحة القراءة وألا يسمحوا لأيديهم أن تكتوى بنار العبث الذي يفرزه حشد من الأدباء الجدد ما كان بمقدور أحدهم يوما ان يعبر عن (التجربة) بالشروط الفنية المتعارف عليها وباللغة القديرة على الرسم والتعبير .. وهم من أجل تغطية عجزهم عن تحقيق الوفاق الهندسي الباهر بين اللغة والتجربة ، يلجأون الى هذا الإغماض والتعتيم والألغاز لكي ما يلبثوا ان يصيبوا الانسان (بالقرف) ، لعله من خلال الدوار والغثيان يفقد قدرته على إصدار حكم نقدي عادل يضع هذه المعطيات في المكان الذي تستحقه !!

★ لا .. ليس للجماهير ★

فأما أولئك القراء الذين عايشوا أدب الكبار ، واستذوقوه ، وتعلموا ، منه فإنهم سيجدون انفسهم مضطرين لأن يبعدوا هذا الغثاء .. يدفعون اكداسه ذات اليمين وذات الشمال لكي يجدوا الطريق مفتوحا امامهم الى احد عالمين ، حيث يجدون فيهما ما افتقدوه ها هنا : الأدب المؤثر والفن الجاد ، عالم الأدباء الكبار ، وعالم الأدب فيما وراء دنيانا العربية حيث يعرف الانسان كيف يتحقق الوفاق المرتجى بين اللغة والتجربة في إبداع فني يتميز بالوضوح والعمق معا .

فهناك كثيرون من الأدباء الكبار الذين إن لم نتعلم منهم شيئا فيكفى أن نتعلم كيف ان الأدب والفن العظيمين لا يتحققان الا بجهد قاس وكفاح صعب من أجل تحقيق التواصل بين الأديب والفنان وبين الجمهور المتلقي ..

وتتهافت ، من ثم ، واحدة من المقولات الخاطئة بهذا الصدد وهي ان أدباء الألغاز والتعتيم هؤلاء يريدون ان يتوجهوا بعطائهم الى الجماهير ، فإن أية احصائية سريعة عن إقبال الجماهير على هذا الأدب او ذاك سوف يعرض أدباء التعتيم للسخرية .

وسوف يتركهم عرايا ولا من يستر على اجسادهم التي يلفحها برد العزلة والغربة ..

★ الجناية المزدوجة ★

وانها – إذن – لجناية مزدوجة على الأدب يرتكبها هؤلاء ، مرة بحق الأدب نفسه ، بتزوير حقيقته وتزييف مهمته لتغطية عجز في التعبير او ضمور في التجربة .. ومرة بحق القراء والمطالعين بصدهم عن الفن الجميل بهذا القرف الذي يركمونه عبر الطرقات وكأنهم – بهذا – يحكمون على القارىء بالأشغال الشاقة

المؤبدة حيث لا سبيل الى التحرر من متاعب هذا الركام وغباره الذي تضيق معه الأنفاس .

★ وما هو برفض كل جديد ★

ولا يخطرن على البال ـ هاهنا ـ بأن الهجوم على هذا الغثاء الجديد هو رفض للجديد نفسه وتشبث تقليدي بالقديم .. فالجمال لا عمر له ولا وطن ...

فليأتنا طلاب مدرسة (الغثيان) هذه بعمل كبير على مستوى ما قدمه الكبار .. ليأتونا به في سبعينات هذا القرن أو ثمانيناته ، او فيما وراء القرن الراهن كله . فإنهم سيجدون يومها التوجه الحقيقي الذي يبتغونه تقديرا واعجابا ..

والمسألة ـ اذن ـ ليست امر عقد مضى او عقد يجيء .. إنما هي ضرورة أن يكون الأديب أو الفنان متحققا ولو بالحد الأدنى من شروط ومواصفات الأدب الجاد والفن الجميل ...

★ ماذا عن مذاهب الأدب الغربي الحديث ★

وثمة سؤال يحيك في الصدور ونحن نتحدث عن الأدب الجديد ماذا عن المذاهب الفنية والأدبية الغربية التي تميزت هي الأخرى بقدر كبير من الالغاز والغموض ، ولكنها مع هذا فرضت نفسها في ساحة الآداب والفنون ؟ ماذا عن الرمزية والدادائية والسريالية وموجات الغضب واللامعقول ؟

الحق انه بمراجعة متأنية لنماذج من معطيات الأدب الغربي التي تميل الى (الاغماض) تتبدى واضحة حقيقة ان القوم هناك لا يتعمدون ذلك لغرض الاغماض او لشهوة تميل الى التعتيم والالغاز اللذين يختفي وراءهما أي هدف على الاطلاق .. وإنما يفعلون ذلك بسبب من الرؤية التي يحملونها تجاه الكون والعالم والحياة والانسان ، او المذهب الأدبي الذي ينتمون اليه والذي يحتم عليهم هذه اللغة او تلك في التعبير ، وهذه الصيغة او تلك في طرح الرؤى والمواقف والمعطيات .

وبغض النظر عن المنطلقات الخاطئة لمعظم تلك المعطيات فإنها على أية حال ـ تفرض اولياتها ومفرداتها على صيغ التعبير فيحاول أن يغطيها بالتكافؤ المطلوب ، فلا تكون المحاولة ـ من ثم ـ سوى ضرورة وليست ترفا او تجوالا في الفراغ ..

★محاولات خارج المألوف ★

هنالك ـ على سبيل المثال ـ **المذهب الطبيعي** (او مذهب العبث واللامعقول) الذي يرى الكون عبثيا لا مجديا يلفه الغموض ، فيعبر عنه ـ او يجابهه بعبارة أدق بالمعطيات الأدبية التي تنطلق ـ كما يرى رواد هذا المذهب ـ من مواقع الصدق

والأمانة ، فتغمض وتعبث ..

وهنالك المذهب السريالي الذي يريد ان يكسر قشرة الوعي ويتوغل الى الأعماق حيث تضطرب المعاني وتتداخل الرؤى والاحلام ويفرز العقل الباطن معطياته المترعة بالغبش والضباب .. فيجيء التعبير الأدبي مغبشا مضببا محاولا ان يتكيء . على القوة الباطنية للكلمة وعلى قدراتها المخفية لكي يحقق الهدف المطلوب بالتعبير عن ذلك العالم الهيولي المتحرك أبدا والذي لا يثبت على شيء .

وهنالك المذهب الرمزي الذي يسعى الى عدم مجابهة الواقع وجها لوجه او الوقوف قبالته لهذا السبب او ذاك من الأسباب الموضوعية او الجمالية البحتة فيسعى الى اعتماد امكانات اللغة المجازية ويستخدم رموزها ودلالاتها للتعبير عن هذا الموقف او المعنى او ذاك ..

وهنالك مذهب (الرواية الجديدة) الذي يدعو الى الغاء وجود الزمن في العمل الروائي ، وتفكيك سلسلة الأحداث وإلغاء الشخصيات واستبدالها بأخرى لا تملك اسماء ولا وجوها .. ولا ما ضيا ولا حاضرا ولا مستقبلا .. وتصفية العقدة والحبكة .. الأمر الذي يحتم على الرواية أن تنحو منحى جديدا غير مألوف ولا متعارف عليه .

وهنالك مذهب الغضب الذي يسعى الى مجابهة اخطاء العالم وجرائمه ولا انسانيته بالعنف الفني الذي قد يصل حد الهذيان والسباب ، ويعتمد لغة يتعمد اصحابها ان يكسروها وهم يرمون بها في وجه العالم كما يرمي الانسان الغاضب بإناء زجاجي فيتفتت وينكسر على هذا الرأس او ذاك .

وهنالك مذهب الإغراب (الملحمي) الذي يتعمد ان (يغرب) في لغته وتكنيكه لكي يحقق الانفصال بين القارىء أو المشاهد وبين العمل الذي يعرض بين يديه .. فهو يمارس ما يمكن اعتباره ضربات مفاجئة بين الحين والحين لكي يحافظ على هذا الانفصال ويضع المشاهد او القارىء قبالة العمل ، وليس فيه ، لكي يتعلم ويثور ..

★ ولكنها تحقق التوصيل ★

ومع ذلك ، فنحن نقرأ - مثلا - (ليوجين يونسكو) او (جان جينيه) او من كتاب الطليعة ، فنفهم ما يقولونه .. ونقرأ (لرامبو) او (ايلوارا) او (ابوللينير) من شعراء السريالية فنستطيع ان نلتقط بعض ما يقولونه .. ونقرأ (لا ليوت) شاعر المجاز المعروف فنعرف جانبا مما يريد ان يعبر عنه .. ونقرأ (لجنترجراس) وهو أحد اتباع الرواية الجديدة فنعرف جيدا لماذا تنمحى الشخصية الروائية ، وتتسطح ، وتغدو مجرد رقم من الأرقام .. ونقرأ (لأوزيورن) رائد المسرح الغاضب ، فنغضب معه ونعرف تماما لماذا هو غاضب وما الذي يريده شخوصه مما يصدر عنهم من أقوال وأفعال .. ونقرأ (لبيترفايس) و(يرتولد برخت)

بعض معطياتهما المسرحية الملحمية فيتحقق الانفصال الذي يريده الرجلان ، ونتلقى من اعمالهما التعاليم التي يريدان ان يوصلاها للناس .

بغض النظر ـ مرة اخرى ـ عن صدق هذه التعاليم أوزيفها وارتطامها مع قناعاتنا وتصوراتنا للكون والحياة والوجود والانسان

لماذا « اللامعقول ؟ »

لن يتسع المجال هنا لطرح النماذج التي قد تقنع عشاق الغموض في بلادنا بخطأ موقفهم ؛ وتهافته .. بل لن يتسع المجال ـ حتى لطرح بعض النماذج والنصوص الفلسفية او النقدية التي يبرر بها اتباع تلك المذاهب الغربية سيرتهم الجمالية تلك .. ولكننا نمر سريعا ببعض ما قيل عن المذهب الطليعي « العبث واللامعقول » لكي نعرف الأسباب .

يذكر رتشارد ـ في كتابه عن (يونسكو) كيف « ان كل النزعات التي كبحتها دكتاتورية العقل خلال قرنين من الزمان اندفعت الى السطح ، وشهد النصف الأول من قرننا العشرين عدة حركات ثورية كالتكعيبية والمستقبلية والربريالية والتعبيرية والدادية والوجودية وكلها حركات تسعى بطرائقها الخاصة الى القاء الضوء على موقف الروح الانساني في كون غاب عنه المنطق وعندما يختفي المنطق تختفي ايضا مبررات الوجود وهكذا نرى ان (يونسكو) مثل كامي وسارتر يرى في وجودنا حقيقة لا هي بالمنطقية ولا هي بالمبررة .

انها حقيقة ولكنها حقيقة عبثية فالوجود الذي لا يبرره منطق عبث »

ويمضي ريتشارد ـ فيبين كيف سعى الطليعيون إلى الغاء النظرة القديمة (الكلاسيكية) الي قواعد الكون الأساسية الزمان والمكان ووحدة الشخصية ، وكيف انهم كتبوا (دراما الساعات المكسورة) بمعنى ان أبطالهم يعيشون في عالم توقفت ساعاته . وحين يفقد الانسان الشعور بالزمن تصبح السن كلمة لا معنى لها ومادمنا قد محونا الزمن فقد محونا (تراكم التجارب) التي يأتي بها الزمن ، وعلى ذلك فلا معنى للقول بأن الشيخوخة مثلا ـ تأتي بالحكمة وقوانين المكان ـ من ناحية أخرى ـ لا معنى لها فهي تعسفية وصدقها وكذبها رهن بالانسان الذي يدركها ، وغياب التتابع المنطقي يستلزم غياب وحدة الشخصية فليست الشخصية سلسلة متصلة من الصفات كما يزعم الكلاسيكيون . وانما هي حالات دائبة التغير يتبع بعضها بعضا وما يقوله (م) يمكن ببساطة ان يقوله (ب) دون ان ينجم عن ذلك ضرر كبير .. أن (الأنا) ما هي الا انعكاس للعالم الخارجي او قل إن العالم الصغير هو صورة مصغرة مثالية للعالم الكبير ففوضى الأول وتشتته تتبدى في الثاني على نطاق اوسع وليس هناك خط واضح يفصل بين الاثنين ... ويبين (يونسكو) بعبارة واضحة تهافت الشخصية الانسانية لأنها ليست بعد أن تكشف عبث العالم ـ

سوى قطعة من ملايين القطع التي يعبث بها الكون « ان كل شخصياتي على خصام مع الدنيا لقد غمرهم القلق التاريخي الذي يسود العالم وتورطوا فيه »

انه عالم رهيب يقول ـ يونسكو ـ الا انه عالم لا يمكن ان يؤخذ مأخذ الجد فهو يوشك لفرط سخفة ان يكون مضحكا . ومن ثم فان رؤية الطليعيين هذه للعبث لم تتح لهم ان يطمئنوا للشكل المسرحي العقلي (الارسطالي) اداة للتعبير فالمضمون في العمل الفني هو الذي يحدد الشكل ، لذا تمرد (يونسكو) ورفاقه على الواقعية المسرحية ورفضوا الواقع المنقوص الذي تصدر عنه وتصوره وتفرضه اعتسافا وانصرفوا الى عرض ما كان يتراءى لحسهم الفني ووعيهم الانساني كواقع شامل بكل ما فيه من مأساة ومن مهزلة وكل ما فيه من عبث وخواء وتناقض .

ومع الواقع تتفكك اللغة وتتهاوى قطعا متناثرة وتفرغ من كل معنى وتفقد قدرتها على التواصل بين الانسان والانسان .

نماذج من دوامات الضباب

اننا نفهم ـ اذا ـ الاسباب التي دفعت بالطليعيين ، وغير الطليعيين ، الى اعتماد اللغة والصيغ التعبيرية الخارجة عن المألوف .. ونفهم ـ كذلك معطياتهم كانعكاس صادق لرؤيتهم للكون وفلسفتهم في الحياة .. ولكن المرء يصعب عليه أن يفهم ما الذي يريد ان يقوله لنا حشد من ادبائنا الجدد .. ولماذا ؟

يقول احدهم « الأقمشة الممزقة ممنوحة لي عبر الشمس ، والمدينة مخدوعة بمعاطف السبت . هذا الفسق ماذا يعرف عن يدي ؟ في الباحة ، المعلم الهولندي يلتقط الجواهر ـ ويخسرها ايضا ـ والساهرة اليتيمة تعتقل الرغبة هناك ما أجمل المتوكلين المحبوبين (رامبو) حين طار جسده مات ، ملاجىء التأرجح (تروتسكي) لم يمتلك خجل الفنادق (جـ) تتدفؤون على وحشة القلب متشبثين بصبوات القصيدة »

ويقول آخر :

أصعد البرق

في منتصف الجسر أي قهقهة فيك امرأة صغيرة تفتح شفتيك وتنزل تأخذك بطمأنينة .. الحب .. العار لا يعرفها ..

سحرت نهرا يصعد ظهر الغشاء سحرت الغشاء

حربي ذلك السر لعاب سلاحي يخشخش فرحا

رأس يوسف النجار على كتفي ، وجميع العصافير ترن فيه» ..

وما هما الا شاهدان من تيار صاحب عنيف ..

★ اين يكمن الخطأ ★

ان تراكم الخبرة الثقافية ـ الجمالية والنقدية على وجه الخصوص عبر العصور وبخاصة في العقود الأخيرة

من قرننا العشرين هذا والتأثير العمقي لهذا التراكم على المعطيات الأدبية والجمالية عموما ، يتوجب ان يجعل الأجيال التالية أعمق واخصب خيالا واكثر قدرة على التوغل في مجاهيل الكون والعالم وامتلاكا لناصية التعبير المؤثر الجميل عن معطياتهما .. أكثر بكثير مما كان عليه أدباء القرون الماضية بل ادباء النصف الأول من هذا القرن.

ولكن الذي يحدث ـ للأسف ـ وعلى مساحات واسعة من أدبنا الحديث ان يتحول هذا السلاح الى أداة مضادة نشهرها ضد أنفسنا بتحويل الخبرة الى عالم ملتوي الدروب . معتم الأفاق يضيع في غبشه وضبابه المفتعل ذوو البصائر والألباب .

ولن تكون (الخبرة الغنية بحال المشجب الذي نعلق عليه أخطاءنا لأن أدباء العالم لم يفعلوا هذا ولن يفعلوه .. بل انهم ازدادوا بالخبرة نضجا وعمقا ..

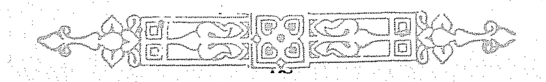
وأغلب الظن أن الخطأ يكمن في الادباء الجدد انفسهم .. في عدم قدرتهم على استيعاب الخبرة وتطويع اللغة للتعبير عن التراكم السريع في معطياتها .. فيلجئون الى الاختباء) خلف دوامات الضباب والتواءات الأغماض والتعقيد .

ولن يكون بمقدور الأرض البور ان تتفجر بالانهار وان تزهو بالحدائق ذات البهجة .. لن يكون بمقدورها الا ان تنبت الشوك والحسك الذي يجرح ويدمي فلا يعطى الجمال المرتجي ..

★ الموقف المطلوب ★

بإيجاز شديد فإن الموقف البديل الذي يتوجب ان يعتمده أدبنا المعاصر بصدد الثابت والمتحول .. الستاتيك والديناميك .. في تيار الابداع الادبي .. انما هو موقف يقوم على رفض السكون التام من جهة والحركة العمياء من جهة اخرى .. موقف يحترم عناصر الديمومة والثبات من جهة وينفتح على قوى التجديد والتغيير والتحول من جهة اخرى ..

ان قبول الجديد المتغير يتوجب الا يكون على حساب التفريط بأى من العناصر الثابتة التي تمثل عصب الابداع الأدبي وهيكله العظمي ـ اذا صح التعبير ـ والا غدا العمل الأدبي رخوا متميعا رجراجا ، لا يشده رابط ولا تمسك به شخصية مستقلة متبلورة . وان الالتزام بالتوصيل لهو واحد من أهم العناصر الاساسية التي يتوجب احترامها .. والا سقنا معطياتنا الأدبية وقراءنا ايضا .. الى الضياع ..





تفسير سورة الاحزاب

كتاب لمؤلفه فضيلة الشيخ/ محمد الاباصيري ـ رحمه الله ـ والكتاب يقع في ١١٨ صفحة من الحجم المتوسط . صادر عن مكتبة المنار الاسلامية . تناول فيه شيخنا تفسير سورة الاحزاب . واضعا كل درس من دروسها تحت عنوان يناسبه .

والنظرة الاجمالية في السورة الكريمة ترينا ـ كما يقول المؤلف : أنها بدأت بتوجيه النبي الكريم الى تقوى الله ، ونهيه عن طاعة الكافرين والمنافقين فيما يريدون ، واتباع ما يوحي اليه من ربه ، فهو العليم بما يصلح امر عباده ، والتوكل على الله فهو الكافي لمن قصده ، وهو العزيز الغالب على أمره .

ومعلوم ان توجيه الله لرسوله في أي أمر عام توجيه لأمته في هذا الأمر ما دامت الحياة .

وكل ما ورد في السورة من تنظيمات وآداب وأحداث مرتبط تمام الارتباط بما بدأت به ، إذ هو الأصل الذي تقوم عليه شرائع الاسلام ونظمه وآدابه ، وهو محور العمل لدى المؤمنين إزاء الأحداث التي تنزل بهم في هذه الحياة .

وقد تحدثت السورة عن عادات وتقاليد كانت سائدة في البيئة العربية قبل الاسلام ، فلما جاء الاسلام عدلها أو أبطلها ، كعادة الظهار وكعادة التبني .

ثم تحدثت عن (غزوة الأحزاب) وبيان الهول الشديد الذي أصاب المسلمين بسببها ، وكيف قابل المؤمنون شدة البلاء بقوة الايمان وجميل الصبر والمصابرة ، وكيف ان المنافقين واليهود غلبت عليهم نزعات الجبن والتردد والخيانة والغدر ، ففارقوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولاذوا بالفرار ... وكيف أنهى الله تلك الغزوة بهتك ستر المشركين ، وافتضاح امرهم ، وتثبيت قلوب المؤمنين على الحق حتى وافاهم بنصره العزيز وكفاهم القتال ..

وكيف أنزل اليهود الذين ظاهروهم من حصونهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ،



ومكن رسوله من قتل رجالهم ، وسبي نسائهم وصبيانهم ، وهم يهود لبني قريظة الذين نقضوا عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقابلوا ما كانوا ينعمون به في جواره من إحسان ووفاء بالغدر والخيانة .

وتصف السورة ما كان عليه بيت النبي من التقشف رغم كثرة الفيء والغنائم ، وتبين امر الله لرسوله بتخيير أزواجه بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة ، وأنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

وتشير الى موضوع تزويج زينب بنت جحش القريشية الهاشمية بنت عمة رسول الله من متبناه زيد بن حارثة ، وما حدث بعد الزواج من طلاق ، وما ترتب على الطلاق من إبطال آثار التبني بسابقة عملية اختير لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لشخصه ليكون زوجا لمطلقة زيد ، لشدة عمق هذه العادة في البيئة العربية .

وتذكر السورة حكم المطلقات قبل الدخول ، وتتناول تنظيم الحياة الزوجية للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتنظيم علاقة المسلمين ببيوت النبي وزوجاته في حياته وبعد وفاته .

وفي السورة توجيه المؤمنين إلى ذكر الله وتسبيحه والصلاة على رسوله وبيان للمهمة التي أرسل الرسول لأدائها .

وفي السورة بيان أن علم موعد الساعة لا يعلمه إلا الله وحده .

ويأتي ختام السورة متلاقيا مع بدئها ، ومتناسقا مع موضوعها ، ومع طبيعة المنهج الذي تتولى السورة تنظيم المجتمع الاسلامي على أساسه ، وهو حمل الانسان أمانة التكليف ، فمن حفظ الأمانة ورعاها كان له الثواب من الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا .

الطلاق ومذاهبه
في الشريعة والقانون

كتاب كان في أصله مذكرات ومحاضرات ألقاها الأستاذ الدكتور/ محمد فوزي فيض الله أستاذ الشريعة الاسلامية على طلابه في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية من جامعة الكويت .

يقول أستاذنا : لكن إدارة الجامعة رغبت معلنة ضرورة تقديم كل أستاذ ، ما يحاضر فيه لطلابه مطبوعا ، لاستمرار العمل الأكاديمي في الجامعة ، ولاستكمال الرقي في المعارج العلمية .

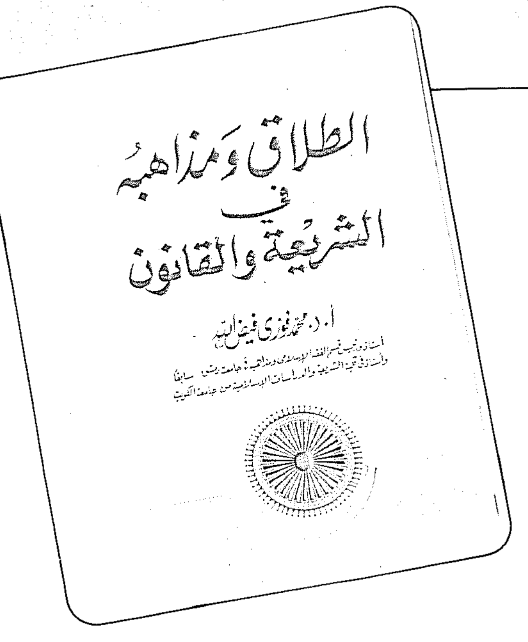
لهذا عمدت الى تنقيح ما كتبته في محاضراتي ، بأسلوب تدريسي واضح ، بعيد عن الإطناب والإيجاز ، تسهل مراجعته على الطالب ، ويتمكن من الإحاطة بأحكامه وأدلته ، في رفق ويسر .

والتزمت الإشارة إلى المذاهب الفقهية المعتبرة ، وموقف القانون منها ، وإلى غيرها من المذاهب ، كلما مست الحاجة إليها ، أو أخذ القانون بها .
والكتاب يقع في ١٥٤ صفحة من الحجم المتوسط ـ من منشورات وتوزيع مكتبة المنار ـ الكويت ـ

وقد قسمه المؤلف إلى فصول ستة ... الفصل الأول : في تعريف الطلاق ، وحكمه .والفصل الثاني : في هدي الإسلام في إيقاع الطلاق . والفصل الثالث : في مقومات الطلاق .

والفصل الرابع : في أقسامه . والفصل الخامس : في التفريق بين الزوجين بالتراضي أو التقاضي،وذلك بالخلع . ثم استعرض المؤلف مشروعية الخلع وحكمه وحكمته ، وحكم أخذ البدل وغير ذلك .

والفصل السادس : في التفريق بين الزوجين بأمر الشارع ، وذلك بالإيلاء ، واللعان ، والظهار . ثم تحدث أستاذنا عن الإيلاء في المطلب الأول ،وعن الظهار في المطلب الثاني ،وعن اللعان في المطلب الثالث بشيء من التفصيل.



والفصل السابع : خصصه الأستاذ الدكتور/ محمد فوزي للحديث عن التفريق بين الزوجين بالقضاء وذلك : لعدم الإنفاق ، وللضرر ، وللعيب ، وللغيبة أو الحبس ، ووضعها تحت مطالب أربعة . ثم ألحق بها مطلبا خامسا في الفرق بين الطلاق والفسخ

والفصل الثامن : ـ وليس السادس كما جاء خطأ في الكتاب ، جاء في آثار الطلاق في الزوجة والأولاد والأقارب ، فأبان الآثار التي تتعلق بالزوجة .

وحصرها في العدة بأنواعها ، والرجعة ، والآثار المتعلقة بالأولاد وحصرها في ثبوت النسب ، والحضانة ، والرضاع ، وأخيرا يعالج المؤلف الكريم موضوع النفقة ، وكيفية توزيع النفقة الواجبة .

والكتاب مهم جدا لطلاب العلم ، ومفيد للقارىء المسلم ، ولكل من يهمه معرفة أحكام دينه ، وبخاصة في مسائل تتعلق بالحياة الاسرية ، فجزى الله المؤلف كل خير .

الفتاوى

حول الأشهر الحرم

○ جاءت رسالة من اللجنة الثقافية في أحد النوادي للشباب بالكويت تطلب تزويدها بأعداد من المجلة وتقول نحن نعلم ان شهر الله المحرم من الأشهر الحرم فما حكم القتال فيه وما السر في تعظيم الأشهر الحرم عن غيرها ؟

ـ الأشهر الحرم التي هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، هذه الأشهر كانت معظمة في شريعة ابراهيم عليه السلام ، وكان العرب قبل الاسلام يعظمونها ، ويحرمون القتال فيها ، حتى اذا لقي الرجل فيها قاتل أبيه لم يتعرض له ، ولم يمسسه بسوء ، وما كانوا يدعون فيها رمحا فيه حديدة ، ولا سهما فيه حديدة الا نزعوها منه ، للأمن فيها من القتال ، وبقي لهذه الأشهر حرمتها في الاسلام ، وروي عن قتاده : ان الظلم في الأشهر الحرم اعظم خطيئة وأشد وزرا ، وان الظلم محرم في كل حال ولكن الله تعالى يعظم من أمره كما شاء ، وتعظيم الأشهر الحرم اختيار الله ومشيئته ، والتفاضل بين الأزمنة والأمكنة وبين الناس أمر تقتضيه الحكمة الالهية ، ولقد صرح القرآن الكريم بالنهي عن الظلم في هذه الأشهر الحرم قال تعالى (**فلا تظلموا فيهن أنفسكم**) وفي ذلك دلالة على أن من يقترف فيها ذنبا هو ظالم لنفسه وهو من المعتدين ، ولا أظلم ولا أبشع من إراقة الدماء وقتل الأبرياء وترويع الآمنين وإهلاك الحرث والنسل ، وإذا كان أهل الجاهلية قد احترموا الأشهر الحرم ؛ فأولى بذلك المسلمون وقد هداهم الله بالاسلام ، أولى بهم أن يطفئوا نارا أوقدها العدو بينهم ، في شهر السلام لا يجوز في دين الله إثارة الرعب وتهديد السلام ومواصلة حرب وقودها الناس والثروات ، وحصادها التمزق وإثارة الأحقاد ، لا يجوز لمسلم أن يروع مسلما ولا يجوز قتل شباب كنا نعدهم لتحرير الأرض والمقدسات ! ذهب العلماء الى تحريم القتال في الأشهر الحرم ، وذهب عطاء بن أبي رباح الى أن القتال فيها يجوز للدفاع لا للاعتداء لعل في شهر الله المحرم يستجيب المتحاربون الى صوت السلام أما طلب المجلة فإنا نزود بها جميع مراكز الشباب،وسنلبي طلب اللجنة الثقافية تباعا ان شاء الله ونشكر الشباب الحريصين على تنمية وعيه الاسلامي .

حكم صلاة عاري الرأس

○ ورد سؤال الى المجلة عن حكم صلاة الرجل مكشوف الرأس هل هي صحيحة أم باطلة والسؤال من القارىء محمد نصر ـ المعمورة ـ اسكندرية ـ ج .م .ع

ـ يجوز للرجل أن يصلي مكشوف الرأس ، لأن الرأس ليست من العورة في حقه ، ولذلك يجب كشفها للمحرم في الحج والعمرة ، غير ان الأفضل ان يصلي على الصورة التي كان يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنها من أفضل الحالات وأكمل الهيئات والثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان من عادته لبس العمامة أو القلنسوة أو هما معا في الصلاة وفي مجالسه وفي خطبه وفي استقباله للوفود وفي السلم والحرب ، ولم ينقل أنه جلس بين أصحابه أو مشى في الطريق أو خطب أو غزا وهو حاسر الرأس ، ولا شك ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يختار لنفسه من الأحوال والأفعال والصفات والهيئات الا أشرفها وأفضلها ، من ذلك . يظهر أن لبس العمامة سنة نبوية وتقليد اسلامي متوارث ، فمن الأفضل المحافظة عليها في الصلاة وغير الصلاة ، وليست الأفضلية بتغطية الرأس بذات العمامة وانما غطاء الرأس يكون بالعمامة وبالطاقية والطربوش وبالغترة والعقال أو بأحدهما وبكل ما يتعارف عليه الناس ، صلاة مكشوف الرأس جائزة وصلاة من يغطي رأسه أعلى درجة ، فمن صلى وهو يغطي رأسه فقد فعل الأكمل ومن صلى عاري الرأس جازت صلاته ، على أن تغطية الرأس لا تكلف المصلي شيئا يكفيه ان يغطي رأسه ولو أثناء الصلاة فقط بأي غطاء وما أيسر الحصول عليه وهذا أفضل وأكمل .

صلاة الجمعة في المصنع

○ وردت رسالة من القارىء ـ النور ابراهيم بمصنع سكر حجر عسلاية ـ جمهورية السودان يقول فيها يوجد بالمصنع مسجد على شكل زاوية فهل يجوز فيه صلاة الجمعة أم لا ؟ مع العلم أن المسجد الذي تقام فيه الجمعة خارج المصنع يبعد عنا بحوالي نصف كيلو ؟

ـ نعم تجوز فيه صلاة الجمعة بشروطها من الأذن العام والجماعة التي تصح بها الجمعة والخطبة وفي ذلك تيسير على العمال ما دام المسجد الذي تقام فيه الجماعة بعيدا ، وكون المسجد زاوية مخصصة للصلاة لا يؤثر ذلك في صحة صلاة الجمعة واذا كانت الجمعة تصح اقامتها في ساحة مكشوفة فاقامتها في مسجد أولى بالجواز ، جاء في المجموع للنووي الشافعي « ولا يشترط إقامتها في مسجد ولكن تجوز في ساحة مكشوفة بشرط أن تكون داخلة في القرية أو المدينة فلو صلوها خارج البلدة لم تصح بلا خلاف سواء كانت بقرب البلدة أم بعيدة منها ـ أما المالكية فقد ذهبوا كما في الشرح الكبير الى أن المسجدية شرط وجوب وصحة معا ، أو شرط صحة فقط ، يعني بدون مسجد لا تصح الجمعة كما لا تصلح في براح يعني متسع من الأرض أحيط باحجار من غير بناء لأنه لا يسمى مسجدا إذ المسجد ماله بناء وسقف على المعتمد ، ولا خلاف بين الفقهاء في جواز إقامتها في مسجد اذا روعيت شروط صحة الجمعة .. وعلى هذا فاقامتها في مسجد المصنع جائزة .

ردود قصيرة

○ **القارىء محمد ابراهيم ابراهيم ـ من القاهرة**

ـ لا تتسرع بقيامك بقتل الكلاب المؤذية بالسم . نعم يجوز قتل الكلب العقور ولكن عليك أن تبلغ الجهات المسؤولة لقيامها بالتخلص منها بطريقتها الخاصة ولا تنفرد أنت بقتلها بالسم الذي قد يتعدى خطره الكلاب الى غيرها من الأحياء .

○ **قارئ طلب عدم ذكر اسمه** ـ نقول له اذهب الى المسجد ما دمت أصبحت مكلفا بالصلاة وليس ذلك عقوقا لوالدك الذي ينهاك عن الصلاة حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، لا تطعه في ترك الصلاة ولا تقاطعه، قال تعالى (**وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا**) .

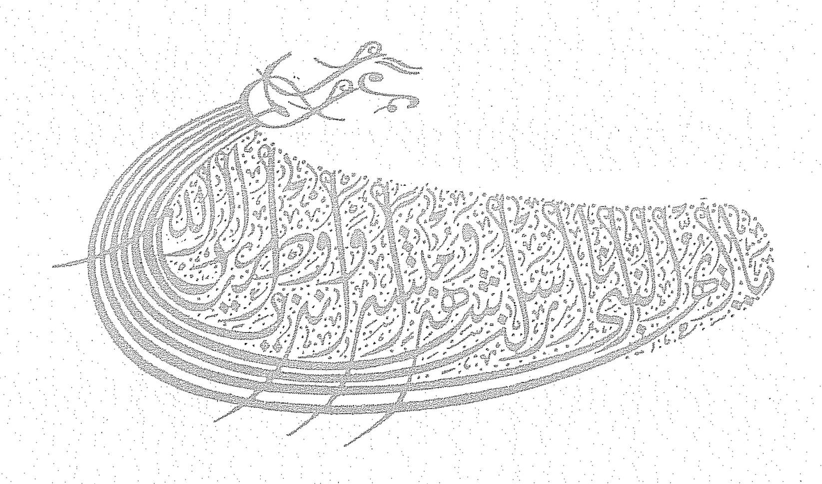
○ **القارئة خديجة سليمان عبدالله من محافظة مستدم ـ سلطنة عمان**

ـ نشكرك على متابعتك قراءة المجلة ، ونجيبك انه يباح كشف الوجه واليدين فقط بالنسبة للمرأة ما لم يكن في كشفهما فتنة .

○ **قارىء يرمز الى اسمه ببعض الحروف** ... نقول له عملك هذا من وحي الشيطان وهذا الزواج باطل ، واحمد الله أنك لم تقربها ، أما أن تكتب ورقة لك بتوقيعها وورقة لها بتوقيعك بالزواج وبأن الشاهد هــو الله .. فليس هذا بزواج ، ولم يتحقق فيه أركان الزواج الشرعي من شهود ومهر وولي .. انت أجنبي عنها لا يحل لك أن تخلو بها . عليكما بتقوى الله ولا تقربها الا بزواج شرعي صحيح .

○ **قارىء لم يذكر اسمه ايضا ولكن طابع البريد من المملكة العربية السعودية . يسأل عن حكم الزواج من فتاة سبق له أن واقع أمها ؟**

ـ ونجيبه ان مثل هذا الزواج جائز عند بعض الفقهاء حيث لا اعتبار لماء الزنا ولكن الأحناف يقررون أن من زنا بامرأة حرمت عليه أصولها وفروعها وعلى هذا لا يجوز لك أن تتزوج هذه الفتاة هذا أحوط وأفضل .



إلى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند إرسال مقالاتكم وإنتاجكم إلينا :

* المقال او البحث المرسل لا يقل عن خمس صفحات فلسكاب - مكتوب بخط واضح - ولا يزيد عن سبع صفحات . وأن يتم إرسال أصل المقال (ولا تقبل صورة المقال) .
* ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة
* لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة . ولا ينشر لكاتب واحد في عددين متواليين ولا يكون جزءا من كتاب أو بحثا جامعيا .
* موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر على الاقل حتى يتسنى نشرها في حينها .
* أن تكون المقالات العلمية والطبية مدعومة بالصور والرسوم المتعلقة بالموضوع
* أن يكون الانتاج المرسل خاصا بالمجلة وألا يكون قد سبق نشره أو إرساله إلى جهة اخرى للنشر . (وأن يتم اخطار المجلة في حالة إرساله الى جهة أخرى)
* النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه

والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية أو النشر . ولا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

* ذكر المراجع حتى يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة
* البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية
* كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث
* ترسل المقالات باسم رئيس تحرير مجلة الوعي الاسلامي .- ص ب ٢٣٦٦٧ دولة الكويت (الصفاة) 13097

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

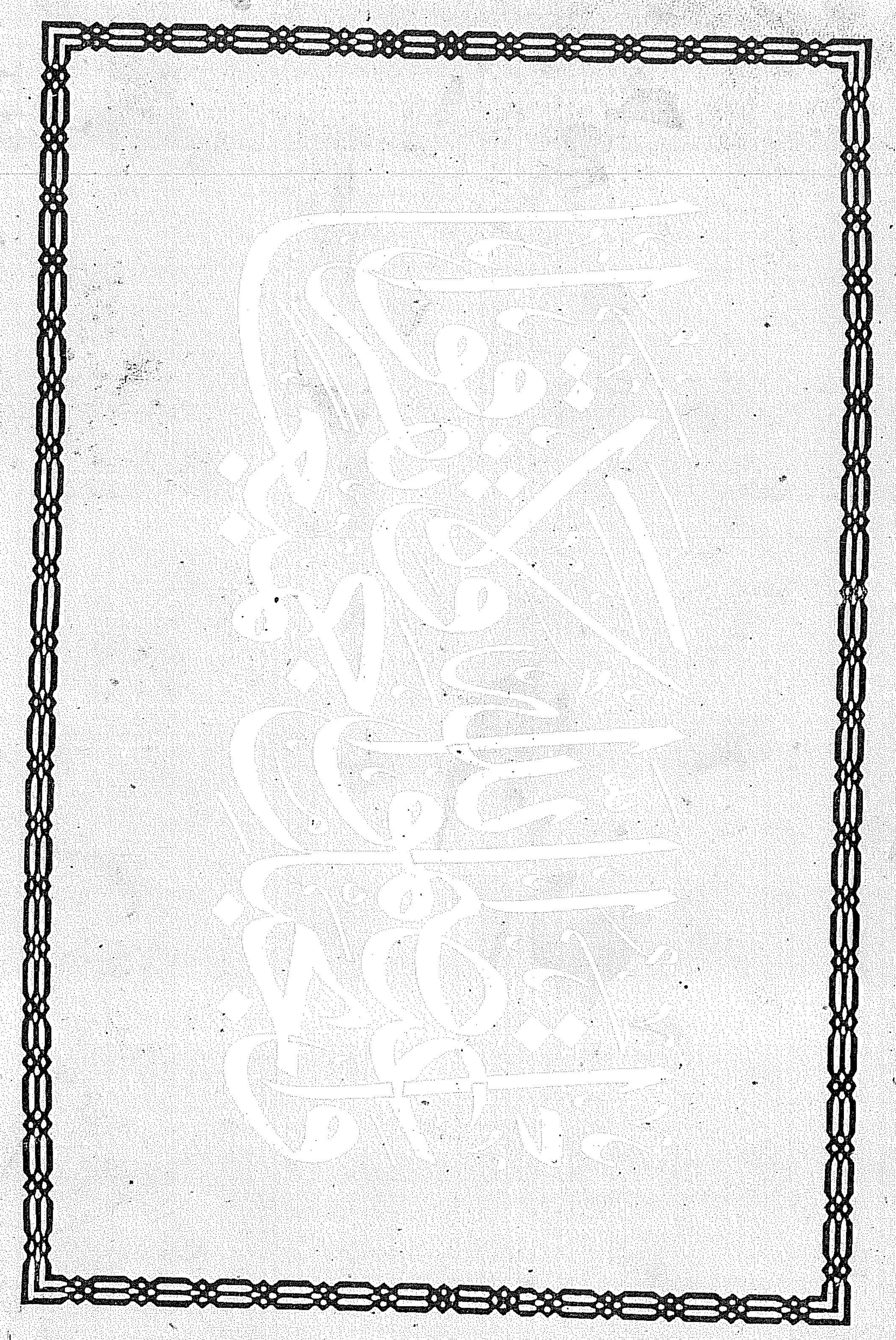
★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

○ الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



طبع في مطابع دار السياسة - الكويت